





مَوْسُوعَةُ اثْرَاتِ البَصَرَةِ

مَحْوِّلُ التِّرَاثِ الْفَلْكِيِّ

الْأَدَابُ فِي البَصَرَةِ

(١٤٥٨/٥٦٥٦ م - ١٢٥٨ م)

إِشْتِقَاصَيْهُ لِلرِّيَادَةِ وَالسَّبُوقِيَّةِ فِي الْمَنْجَرِ الْجَعْلَارِيِّ فِي الْبَصَرَةِ

مِنَ الْمُصَيْرِ إِلَى سُقُوطِ الدُّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ

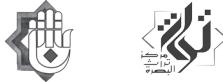
تأليف

أ.د. سَلَمَى عَبْدِ الْحَمِيدِ حُسْنَى الْهَاشَمِي

رَاجِعَهُ وَضَبَطَهُ وَأَخْرَجَهُ

مَحْوِّلُ التِّرَاثِ الْفَلْكِيِّ

قِيمَةُ شُغُونِ الْعِلَافِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِنسَانِيَّةِ



العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة

البصرة-شارع بغداد-حي الغدير- مقابل مجلس القضاء الأعلى
هاتف: ٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣ - ٠٧٨٠٠٨١٦٥٩٧
البريد الإلكتروني: basrah@alkafeel.net
ص. ب/ ٣٢٣

الهاشمي، سلمى عبد الحميد حسين، مؤلف.

الأوائل في البصرة (14 هـ / 635 م - 656 هـ / 1258 م) : استقصاء للريادة والسبق في المنجز الحضاري في البصرة من التنصير إلى سقوط الدولة العباسية / تأليف أ. د. سلمى عبد الحميد حسين الهاشمي ؛ راجعه وضبطه وأخرجه مركز تراث البصرة قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.-طبعة الأولى.-البصرة، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث البصرة، 1439 هـ = 2018.

265 صفحة؛ 24 سم.-موسوعة تراث البصرة: محور التراث الفكري
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية: صفحة 235-264.

1-البصرة (العراق)-تاريخ-635-1258. 2-البصرة (العراق)-الحياة الفكرية-1258-635. ألف. العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث البصرة، مصحح. ب. العنوان.

DS79.9.B3 H37 2018

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

-بطاقة الكتاب-

الكتاب:	الأوائل في البصرة
تأليف:	أ. د. سلمى عبد الحميد حسين الهاشمي
جهة الإصدار:	العتبة العباسية المقدسة-قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
راجعه وضبطه وأخرجه:	مركز تراث البصرة
الطبعة:	الأولى
المطبعة:	دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع:	١٤٣٩ هـ-آذار ٢٠١٨ م
عدد النسخ:	(١٠٠٠) نسخة

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة على الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهُوَ خَلَقُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

مِنْ سُورَةِ فَصْلَتْ، الْآيَةِ (٢١)



الإهداء

إلى روح والدي ...
أدعُو له بالرَّحْمَةِ والمغْفِرَةِ
إلى نُبْعِ الحنانِ .. والدَّقِي ...
حفظها اللهُ وأطَّالَ في عُمْرِهَا

سلمى



مقدمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ وَالآخِرِ، خَابِرِ الضَّمَائِرِ، وَبَاعِثِ الْأَوَّلَيْنَ وَالْآخِرِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ، خَيْرِ حَامِدٍ وَشَاكِرٍ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبَيْنِ
الظَّاهِرِيْنَ أُولَيِ الْأَيْدِي وَالْبَصَائِرِ، وَبَعْدَ:

مفردةُ (الْأَوَّلِ) مِنَ الْمُفَرَّدَاتِ الَّتِي تُشَيِّعُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ عِنْدَ الْكَتَّابِ وَالْمُؤْلَفَيْنِ
مِنْ قَبْلِ قَوْلِهِمْ: (لَوْلَا مَا رَسَمْتَ لَنَا الْأَوَّلَيْنَ فِي كِتَابِهَا، أَوْ: مَا سَنَّتْهُ الْأَوَّلَيْنَ، أَوْ: مَا
أَسَسَهُ الْأَوَّلَيْنَ، وَأَرَأَهُ الْأَوَّلَيْنَ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:
يَقُولُ مَنْ تَرَعَّى أَسْمَاعُهُ: كُمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

وَتُعَدُّ الْكِتَابَةُ فِي تَثِيْتِ الْأَوَّلَيْنَ فِي عِلْمِ الْعُلُومِ أَوِ الْاتِّجَاهِ مِنَ الْاتِّجَاهَاتِ مَا
عَرَفَهُ الْفَكَرُ الْإِسْلَامِيُّ فِي مَرْحَلَةِ نُضُجِهِ الْفَكَرِيِّ وَتَطَوُّرِ مَنَاهِجِهِ فِي التَّأْلِيفِ،
وَلَا بَدِّ مِنْ أَجْلِ التَّعْرِفِ عَلَى هَذَا الْاتِّجَاهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْمَرَادِ بِهِ، وَالْمَقْصُودُ، فَعِلْمُ
الْأَوَّلَيْنَ: «هُوَ عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ مِنْهُ أَوَّلَيْنَ الْوَقَائِعُ وَالْحَوَادِثُ بِحَسْبِ الْمَوَاطِنِ وَالنَّسْبِ،
وَمَوْضِعِهِ وَغَايَتِهِ ظَاهِرَةٌ، وَهَذَا الْعِلْمُ مِنْ فَرْعَوْنِ التَّوَارِيْخِ وَالْمَحَاضِرِ، وَلَكِنْ
لَيْسَ بِمَذْكُورٍ فِي كِتَابِ الْمُوْضِعَاتِ، وَقَدْ أَحَقَّ بَعْضُ الْمَتَّخِرِينَ بِمَبْحَثِ الْآخِرِ
إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

(1) كشف الظنون، حاجي خليفة: ١٩٩/١.

فالملاحظ أن «علم الأوائل يؤرخ لبدايات ظهور الأشياء والحوادث»^(١)، ويظهر من بعض الأقوال أنه قد ظهر التأليف فيه نهاية العصر العباسي الأول على يد أبي الحسن، علي بن محمد بن عبد الله، المدائني (ت ٢٢٨ هـ)^(٢)، ولكن يظهر أن ابن الكلبي، هشام بن السائب (ت ٤٢٠ هـ)، هو أسبق من كتب في هذا العلم، كما سيأتي.

وفي مقابل (الأوائل)، برز علم آخر هو (الأخر)، وهو على العكس من الأول، يتعرض لاستقصاء أواخر الأمور على تنوعها، ويرز في العصر العباسي -أيضاً-، ويذكر أن أول من شهد على يديه فتح مغلق هذا العلم هو الشيخ الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قدس سره (ت ٣٨١ هـ)^(٣)، وقد جاءت مؤلفات بعض العلماء مدرجة العلمين معاً في كتاب واحد، كما سيأتي. ويمكن أن نستجلِّي سبب ع Kovf همة العلماء -آنذاك- على ذكر الأوائل واستقصاء الريادة والسبق في الحوادث والواقع والفنون في:

- ١ - أن الأمر جرى وفق الطبيعة الفطرية للإنسان، الباحثة عن أوائل الأشياء، ومنها تنطلق إلى تطورها، ثم نهايتها، وهي طبيعة بني عليها الخلق، وجرت عليها عادة الناس في جل مراقب حياتهم، فلكل شيء بداية ونهاية.
- ٢ - خوض التنافس الحضاري بين المدن والبلدان من خلال ملاحظة انتشار أوائل الفنون والعلوم والمهارات، ونحوها، ما يؤكّد التقدّم والسبق، ومن ثم

(١) معجم الآخر، د. فؤاد صالح السيد: ص ٧.

(٢) يُنظر: معجم الآخر: ص ٧.

(٣) يُنظر: الرجال، التجاشي: ص ٣٨٩، والذرية: ٤٧٠ / ٢، وهدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي: ٥٣ / ٢، وإيضاح المكنون، له: ٢٧٥ / ٢.

ما يترتب عليه من الجريان في ميدان التكامل والتطور والتقديم، و مباراة الأمم ومجاراتها.

٣- تأكيد البعد التاريخي لجملة من الأمور التي ذكرت أوائلها، ما يعين الدارسين على تشخيص مواضع النّشأة والتطور، وما يستلزم من تشخيص المدعين والمتطفلين على جملة من العلوم، بالادعاءات الكاذبة.

٤- بيان فضل المتقدم على المتأخر، وحفظ جهده، فيما بذله من فكره الذي استنار به من جاء بعد وفّر عليه.

٥- حسم جملة من الأمور العقائدية التي ترتبط بعض التّسميات؛ إذ بمعرفة الإطلاق الأول ثبتت أصالة الأمر، وحقيقة المتقدمة، دون اللاحق، مما سيفرغ في خدمة السياسات المعاقبة.

هذا جزءٌ يسيرٌ مما جاد به الذهنُ من فوائد معرفة الأوائل والتّأليف فيها، ولعل في ذهن القارئ الكريم الكثير مما انحسر عناً وفاض في ساحة فكره. ولقد جرى قلم التّأليف في هذا العلم، فبزغت جملة كثيرة من المؤلفات فيه، بعضها مطبوع وبعضها مخطوط، وبعضها مما ذكر في كتب الفهارس، مما يحتاج إلى استجلاء شأنه، فنذكر منها:

١- كتاب الأوائل لابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٤٢٠هـ)^(٤).

٢- كتاب الأوائل، لأبي الحسن، علي بن محمد بن عبد الله، المدائني (ت ٢٢٨هـ)^(٥).

(٤) يُنظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي: ١١١ / ١٠، وذكره ابن إدريس الحلبي في السرائر: ١١ / ٢٤.

(٥) يُنظر: الفهرست، لابن النديم: ص ١٠٨، ومعجم الأدباء: ٦ / ١٥٤.

٣ - الأَوَّلُ، لابن أَبِي شِيبة، عبد الله بن مُحَمَّد (ت ٢٣٥ هـ)، مطبوع، بيروت
١٤٠٩ هـ.

٤ - المَعْرُفُ، لابن قتيبة الدِّينوْرِيِّ (ت ٢٧٦ هـ)؛ إِذْ أَفْرَدَ وَرِيقَاتٍ عَنِ الْأَوَّلِ
فِيهِ^(١).

٥ - كِتَابُ الْأَوَّلِ، لأَحْمَدَ بْنَ عَمْرُو بْنَ أَبِي عَاصِمِ الشَّيْبَانِيِّ، الْبَصْرِيِّ
(ت ٢٨٧ هـ)، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدَ بْنَ نَاصِرِ عَجْمَىِّ، دَارُ الْخَلْفَاءِ، الْكُوِيْتُ، ١٤٠٥ هـ
وَتَحْقِيقُ ثَانٍ لِلْدَّكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَبُورِيِّ، بَيْرُوتُ، ١٤٠٥ هـ، وَتَحْقِيقُ ثَالِثٍ لِمُحَمَّدِ
سَعِيدِ بَسِيُونِيِّ زَغْلُولُ، بَيْرُوتُ ١٤٠٧ هـ.

٦ - كِتَابُ الْأَوَّلِ، لِأَبِي عَرْوَةِ، الْحَسِينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مَعْشَرِ، الْجَزَرِيِّ،
الْحَرَّانِيِّ (ت ٣١٨ هـ)، تَحْقِيقُ: مُشْعُلُ بْنَ بَابِيِّ الْجَبَرِيْنِ، نَسْرُ: دَارُ ابْنِ حَزْمٍ، لِبَنَانُ،
بَيْرُوتُ، الطِّبْعَةُ الْأُولَى، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

٧ - كِتَابُ الْأَوَّلِ، لِأَبِي الْقَاسِمِ، سَلِيْمانَ بْنَ أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيِّ (ت ٣٦٠ هـ)،
تَحْقِيقُ: مُحَمَّدَ شَكُورَ بْنَ مُحَمَّدَ الْحَاجِيِّ امْرِيرُ، مَؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوتُ، الطِّبْعَةُ
الْأُولَى، ١٣٨٤ هـ.

٨ - كِتَابُ (الْأَوَّلِ)، لِلشِّيخِ الصَّدُوقِ، ذِكْرُه النَّجَاشِيِّ، وَقَالُ الصَّدُوقُ
فِي الْخَصَالِ، حَدِيثُ (٣٩): «وَقَدْ أَخْرَجْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ فِي كِتَابِ
الْأَوَّلِ»^(٢).

٩ - الأَوَّلُ، لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، الْحِمْرَيِّ، أَبْو جَعْفَرِ الْقَمِّيِّ، رَوَى

(١) يُنْظَرُ: الْمَعْرُفُ، نَسْرُ الْمَكْتَبَةِ الْحَيْدَرِيَّةِ، الطِّبْعَةُ الْأُولَى، ١٤٢٧ هـ، تَحْقِيقُ وَتَقْدِيمُ: ثَرَوْتُ عَكَاشَةُ: ص ٥٥١-٥٥٨.

(٢) الْخَصَالُ: ص ٤٧٧.

عنه أبو القاسم، جعفر بن محمد بن قولويه قَدِّسَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَعْمَانَ (المتوفى ٣٦٨هـ)، وأحمد ابن داود
القمي حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَذْرَهُ، ومحمد بن يعقوب الكليني قَدِّسَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَعْمَانَ (المتوفى ٣٢٩هـ)^(١).

١٠ - الأوائل، لأبي هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل، العسكري (ت ٣٩٥هـ)،
دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١١ - أوائل المقالات، للشيخ محمد بن محمد بن النعمان، المفيد (ت ١٣٥هـ)،
مطبوع عدّة طبعات، منها: طبعة دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت - لبنان،
الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، بتحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، وطبع
ضمن مصنّفات الشيخ المفيد، المجلد الرابع.

١٢ - محسن الوسائل في علم الأوائل، لبدر الدين محمد الشلبي، السبكى
(ت ٧٦٩هـ) (مخطوط)^(٢).

١٣ - روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، لابن الشحنة، محمد بن محمد
بن محمد بن محمود بن غازي (ت ٨١٥هـ)^(٣).

١٤ - الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، لعبد الكريم بن إبراهيم
الجليلي (ت ٨٣٢هـ)^(٤).

١٥ - إقامة الدلائل على معرفة الأوائل، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)^(٥).

(١) يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء، تأليف: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٤ / ٤١٠.

(٢) يُنظر: كشف الظنون: ٢/١٦٠٩، والأعلام، للزيركي: ٦/٢٣٤، والذرية: ٢/١٥٣.
٤٠٨.

(٣) يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء: ٩/٢٦٥.

(٤) يُنظر: كشف الظنون: ١/١٨١، ومعجم المطبوعات العربية، إليان سركيس: ١/٧٢٨.

(٥) يُنظر: فتح الباري، لابن حجر: ٦/٢٧٦، وكشف الظنون: ١/١٣٤، وهدية العرفين:

١٦ - الوسائل إلى معرفة الأوائل، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) لخَصَ فيه أوائل العسكري (١)، ولعله هو نفسه كاتبه: (الوسائل إلى مسامرة الأوائل) (٢)، الذي نشره النمساوي (جودة R. Gosche). سنة (١٨٦٧ م)، ثم نُشر في بغداد سنة (١٩٥٠ م) (٣).

١٧ - محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، لعلي ددة السكتواري البشري (ت ١٠٧ هـ)، طُبع سنة ١٣٩٨ هـ نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٨ - كتاب الأوائل، لأبي يحيى، أحمد بن داود بن سعيد، الجرجاني، الفزاري (... - كان حياً قبل ٢٥٤ هـ) (٤).

١٩ - الأوائل في الحديث، لعثمان بن محمد، الأزهرى، المصرى، أبو الفتح، الشهير بالشامى (... - بعد سنة ١٢١٣ هـ) (٥).

٢٠ - أوائل الأربعين حديث، (مجهول) (رسالة أوائل الكتب الحديثية المشتملة على أوائل كتب الأربعين من الحديث الشريف)، نسخ عبد القادر طاهر كورانى (١١٩٦ هـ)، في كتابخانة سليمانية در استنبول، تركيا (٦).

١٢٩/١

(١) يُنظر: كشف الظنون: ٢ / ٢٠٠٧، ويُنظر: الأعلام: ٣٠٢ / ٣، ونفحات الأزهار: ٤٥١ / ١.

(٢) الأعلام: ٣٤٨ / ٨، وشرح إحقاق الحق، السيد المرعشى: ٤ / ٤٤.

(٣) يُنظر: ما طُبع من مخطوطات مصادر التاريخ الإسلامي والمؤلفة بين القرنين الثاني والثالث عشر الهجريّين، حسام الدين النقشبندى: ص ١٧٣.

(٤) يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء: ٣ / ٧٠.

(٥) يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء: ١٣ / ٧٣٤.

(٦) يُنظر: فهرس (فنخا)، مصطفى درايتى: ٥ / ٣٣٩.

- ٢١ - أوائل المكاتب (مجهول)، (مخطوط)^(١).
- ٢٢ - تأسيس الشّيعة الـكـرام لعلوم الإـسلام، للـسـيد حـسن الصـدر الكـاظـميـ (تـ١٣٤٥ـهـ)، تـحـقـيقـ الشـيـخ مـحمد جـوـاد الـمـهـمـودـيـ، مؤـسـسـة تـرـاث الشـيـعـةـ، قـمـ، الطـبـعةـ الـأـولـىـ، ١٤٣٨ـهـ.
- ٢٣ - أـنمـوذـجـ مـحـاسـنـ الـوـسـائـلـ فـيـ مـعـرـفـةـ الـأـوـاـلـىـ، للـسـيدـ الـحـسـنـ بـنـ أـبـيـ الـحـسـنـ الـمـوـسـوـيـ الـكـاظـميـ (تـ١٣٥ـهـ)، وـهـ اـخـتـصـارـ لـكـتابـ (مـحـاسـنـ الـوـسـائـلـ)، للـسـبـكـيـ، المتـقـدـمـ^(٢).
- ٢٤ - كـتابـ الـأـوـاـلـ وـالـأـوـاـخـرـ، للـسـيدـ مـحـسـنـ الـأـمـيـنـ الـعـامـلـيـ (تـ١٣٧١ـهـ)^(٣).
- ٢٥ - الـأـوـلـيـاتـ، للـسـيدـ هـبـةـ الدـيـنـ، مـحـمـدـ الـعـلـيـ بـنـ السـيـدـ حـسـينـ، الشـهـيرـ بالـشـهـرـ سـتـانـيـ (تـ١٣٨٦ـهـ)^(٤).
- ٢٦ - معـجمـ الـأـوـاـلـ فـيـ تـارـيـخـ الـعـرـبـ وـالـمـسـلـمـيـنـ، فـؤـادـ صـالـحـ السـيـدـ (مـعاـصرـ)، دـارـ الـمـناـهـلـ، بـيـرـوـتـ، الطـبـعةـ الـأـولـىـ، ١٤١٢ـهـ.
- ويأتي كتابنا هذا (الأوائل في البصرة)، بقلم مؤلفه الأستاذ الدكتور (سلمى عبد الحميد الهاشمي)، ليكون رقمًا في تلك السلسلة، مع ملاحظة أنه قد انفرد في تقضي وإبراز أوائل البصرة في المجالات الحضارية والفكريّة والإدارية؛ اعترافاً بهذه المدينة المعطاء، ونظرًا في إرثها الشّرّ، فشكّر الله سعي المؤلف، وواتر عليه مسارب توفيقه، إنه ولئلا ذلك. ونحن -إذ نخرج هذا الكتاب ضمن موسوعة

(١) يُنظر: فهرس (فنخا)، مصطفى درايتي: ٣٤٢ / ٥.

(٢) يُنظر: الذريعة: ٤٠٨ / ٢، وأعيان الشّيعة: ٣٢٦ / ٥.

(٣) يُنظر: الذريعة: ١٧٥ / ١٧.

(٤) يُنظر: الذريعة: ٢٦٩ / ٢.

تراث البصرة / محور التراث الفكريّ، نُقدّمه ولم نأْلُ من الجهدِ والواسع ما يلزم
لإخراجه رائقاً شائقاً لطلّاب المعرفة، وقد جرت مراحل العمل به كما الآتي:

- ١ - تقويم الكتاب علمياً من ذوي الاختصاص، وجرى على مرحلتين.
 - ٢ - تدقيق الكتاب لغويّاً وصياغيّاً، بما يناسب، وجرى على ثلاث مراحل.
 - ٣ - تدقيق ومراجعة بعض المطالب الواردة فيه.
 - ٤ - مراجعةٌ نهائيةٌ للكتاب.
 - ٥ - إخراج الكتاب طباعيّاً، وتصميم غلافه الخارجيّ.
- فتأمل أن نكون قد وفقنا في تقديم هذا الكتاب إلى المكتبة العربية والإسلامية،
والبصرية خصوصاً، بما يروم - إن شاء الله - وهو تعالى وحده الموفق للصواب
وهو الغاية، والحمدُ لله رب العالمين.

مركز تراث البصرة / البصرة الفيحاء

رجب ١٤٣٩ هـ - آذار ٢٠١٨ م

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ أَوْلًا وَآخِرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَوْلَى الْمَخْلوقِينَ مُحَمَّدٌ، وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الْمُتَجَبِّينَ، وَسَلَّمَ.

برزتْ ضِمنَ مَجمُوعَةِ الْمَصْنَفَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الَّتِي أَفْتَ على مَدِيِّ الْعَصُورِ الإِسْلَامِيَّةِ، مَصْنَفَاتٌ سَلَطَتْ الضَّوءَ عَلَى أَوَّلِ النُّظُمِ وَالإِسْهَامَاتِ، وَالْتَّدَابِيرِ وَالْإِجْرَاءَاتِ، وَالاِكْشَافَاتِ، وَالظَّواهِرِ الإِيجَابِيَّةِ مِنْهَا وَالسَّلَبِيَّةِ، وَعَلَى الْأَصْعَدَةِ كَافَّةً، وَضِمنَ عِنْوَانِ (الْأَوَّلَ).

وَقَدْ كَانَ لِمَدِينَةِ الْبَصْرَةِ قَصْبُ السَّبِيقِ وَالرِّيَادَةِ فِي اسْتِحْدَاثِ بَعْضِ النُّظُمِ وَالعَدِيدِ مِنَ الْإِسْهَامَاتِ، الَّتِي تَرَسَّخَتْ فِيهَا، أَوْ تَلَكَ الَّتِي اِنْتَقلَتْ مِنْهَا إِلَى مُخْتَلِفِ أَنْحَاءِ الْبَلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ. فِي الْبَصْرَةِ، بَرَزَ قَسْمٌ كَبِيرٌ مِنَ الرَّوَادِ الْأَوَّلِ، الَّذِينَ أَرْسَوُا أَسْسَ الْعَدِيدِ مِنَ التَّنْظِيمَاتِ الإِدَارِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ، وَكَانَتْ لَهُمْ إِسْهَامَاتٌ مَهْمَّةٌ، وَدُورٌ فَاعِلٌ، تَرَكُتْ أثْرًا فِي الْجَوَانِبِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ تَارِيخِ الْبَصْرَةِ السِّيَاسِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ وَالْإِدَارِيِّ وَالْعَمَرَانِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ وَالْاِقْتَصَادِيِّ وَالْفَكَرِيِّ، وَنَظَرًا إِلَى هَذِهِ الْأَهْمَمَيَّةِ وَالرِّيَادَةِ وَالسَّابِقَةِ، فَقَدْ شَكَّلَ ذَلِكَ دَافِعًا إِلَى تَتَبَّعِ الْأَوَّلِ فِي الْبَصْرَةِ، بِمَا يَشْمَلُ ذَلِكَ أَوَّلَيْ ما اِبْتَكَرَهُ وَأَنْجَزَهُ الْبَصْرِيُّونَ، فَضْلًا عَنْ أَوَّلِ الْخَطَطِ وَالْوَحْدَاتِ وَالْمَؤَسَّسَاتِ الَّتِي أَرْسَيْتُ فِي الْبَصْرَةِ، وَأَوَّلَيْ الظَّواهِرِ الَّتِي بَرَزَتْ فِيهَا، لِلْحَقْبَةِ الْمُتَدَدِّةِ مِنْ بَدَايَةِ تَصْيِيرِ الْبَصْرَةِ سَنَةَ (١٤/٦٣٥ م)، وَلِغَايَةِ سَقْطِ الْحُكْمِ العَبَّاسِيِّ سَنَةَ (١٢٥٨/٦٥٦ هـ). وَمِنْ بَابِ التَّغْلِيبِ فِي الْلُّغَةِ، فَقَدْ

ارتَأينا أنْ يكونَ عنوانَ الكتاب: (الأوائل في البصرة)، إذ إنَّ أغلب الإسهامات والمبتكرات هي تلك التي أنجزَها الأشخاص.

وقد قسمت الدراسة على خمسة فصول، وكما يأتي:

الفصل الأول: ركز على إيراد الأوائل في الجانب السياسي، فكانتُ الأوائل المواقع العسكرية والحركات والثورات قد دارت رحاها في البصرة، وقد عانى أهلُها من المحن والبلاءات المختلفة، جراء الأوضاع السياسية والعسكرية المتردية، كالتهجير والهجمات العدائية التي شنّها الخوارج والزنج والقراطمة، وهجمات الأعراب، التي روّعت أهل البصرة وعيثت في ممتلكاتهم سلباً ونهباً.

وكرس الفصل الثاني: لمتابعة الأوائل النظم الإدارية المستحدثة في البصرة، كأوائل الولاة، وأوائل القضاة، وأوائل في مجال الشرطة والحرس، وفي الرقابة على الأسواق، وأوائل من تولى الوظائف الإدارية، كالكتاب والعمال، فضلاً عن الأوائل النظم التي أسهمت في تطوير المؤسسات الإدارية، وأوائل الجرائم والجنایات، وأوائل العقوبات، والتجاورزات في العقوبات التي فرضتها السلطات الجائرة.

وتناول الفصل الثالث: الأوائل في الجانب العماني، فالبصرة، هي أول مدينة إسلامية مُصرّت خارج جزيرة العرب، وفيها أُرسِيت أوائل الخطط والوحدات العمرانية، كأوائل المساجد ودور العبادة والكنائس والأديرة، وأوائل خطط الأهالي والبيوت والقصور، وأوائل مؤسسات الدولة، كدار الإمارة والسجن والديوان، وأوائل المدارس العامة والخاصة، وأوائل المقابر والمحمامات الخاصة بالرجال والنساء، وأوائل الأنهر التي حُفرت للإرواء أو لتحلية ماء البصرة.

وتطرق الفصل الرابع: إلى الأوائل في الجانبين الاجتماعي والاقتصادي، فعلى الصعيد الاجتماعي، فإن البصرة بوصفها أول مدينة إسلامية مُصرّت خارج جزيرة العرب، نزّلها العديد من القبائل العربية والأقوام الأجانب، فجاء التركيز على أول قبيلة عربية نزلت البصرة، وأوائل الأقوام الأجانب من: (فرس، وسند، وحبش، وأتراك). وبرز في البصرة أوائل الملابس، ودعوات الطعام، وأوائل العادات والرسوم الاجتماعية، وأوائل الطقوس الدينية المستحدثة فيها، وتعرّضت للعديد من الكوارث الطبيعية، ولاسيما الأوائل منها، كأول حريق، وأول غرق، وأول طاعون.

أما على الصعيد الاقتصادي، فقد بُرِزَ في البصرة أوائل المهن والأعمال الاقتصادية، والنظام الخاصة بالجانب المالي، كالعطاء والضرائب والقرود والمعاملات في الأسواق.

وُخُصِّصَ الفصل الخامس: لمتابعة أوائل الإسهامات في الجانب الفكري، ولعل هذا الجانب من أوفر الجوانب وأخصبها وأهمها؛ إذ كان للبصرىين الريادة في العديد من الإسهامات الفكرية، فالبصرة كانت موطنًا لنشأة علوم: النحو، والعروض، والكلام، والاعتزال، وفي كلّ حقلٍ علميٍّ أو معرفيٍّ كان في البصرة علماء أوائل تركوا بصمات ميّزتهم عن غيرهم، وهي تعكس التطور الفكري الذي شهدته البصرة على مدى العصور الإسلامية، فشمل ذلك التطور حقل التعليم وتنوع المؤسسات التعليمية، والتّطور في العلوم العقلية، ولاسيما في علم الطب بفروعه واحتصاصاته المختلفة، وفي علم الحيوان، والنجوم، فضلاً عن العلوم الدينية، وقد دُوّنت أوائل المصنّفات المهمة المشهورة بأقلام عددٍ من مشاهير علماء البصرة ومفكّريها.

فالبصرة كانت طول العصور الإسلامية مدينة الأوائل، وفيها بُرِزَ أوائل الأوائل، واستحقّت أن تُنال لقب (عين العراق)، ولقب (أمّ العراق)؛ لما لها مِنْ أهميّة وريادة، وهي -كذلك- أول من اشتهر بلقب (قبة الإسلام وخزانة العرب).

والله ولي التوفيق..

د. سلمى الماشمي
أستاذة التاريخ الإسلامي
جامعة البصرة - كلية الآداب

الفصل الأول

الأوائل في الجانب السياسي

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

الأوائل في الجانب السياسي

لم تكن مدينة البصرة بعيدةً أو بمعزل عن المتغيرات السياسية، والتحركات العسكرية، التي شهدتها الدولة الإسلامية، ولا سيما ما يخص تداول السلطة، وكل ما يتعلّق بذلك من صراعات وثورات ومواقف سياسية وعمليات عسكرية.

لقد أصبحت البصرة منذ فتحها وتصريرها سنة (١٤/٦٣٥) ولغاية سقوط الحكم العباسي (١٢٥٨/٦٥٦) مركزاً ثقلياً سياسياً وعسكرياً، وشهدت العديد من الحركات والثورات المناوئة للسلطات الحاكمة، وقد عانى أهل البصرة من مختلف أنواع المحن والويلات جراء العمليات العسكرية التي دارت رحاها في ربوع مديتها، وجراء السياسات القهرية التي مورست من قبل رجالات السلطات الحاكمة، فكان لأهل البصرة السبق والقدم في العديد من المواقف السياسية، وبرز فيها أوائل المعارك العسكرية الفاصلة التي واجهت العراق والعالم الإسلامي بأسره، وعلى النحو الآتي:

أول قائد من قادة الفتوحات الإسلامية نزل البصرة (١٢ هـ/٦٣٣ م)

ذُكِرَ أَنَّ أَوَّلَ قَائِدٍ عَسْكُريًّا بُعْثِتَ إِلَى الْبَصْرَةِ هُوَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ^(١)، بَعْثَهُ أَبُو بَكْرٌ إِلَى أَرْضِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَتْ تُسَمَّى (أَرْضُ الْهَنْد)، فَسَارَ إِلَيْهَا، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ السَّوَادِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ (قَطْبَةُ بْنُ قَاتَدَةَ السَّدُوْسِيِّ)^(٢) سَنَةَ (١٢ هـ/٦٣٣ م)^(٣).
وَجَاءَ: أَنَّ خَالِدًا لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْيَهَامَةِ^(٤)، كَتَبَ لِهِ أَبُو بَكْرٍ -وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْيَهَامَةِ- : «إِنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ حَرْبَ الْعَرَبِ، فَاجْسُرْ عَلَى مَنْ ثَبَتَ عَلَى إِسْلَامِهِ، وَقَاتِلْ أَهْلَ الرَّدَّةِ مَمَّا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعَرَاقِ... ثُمَّ سِرْ نَحْوَ فَارَسَ، فَادْخُلْ بَهِمَ الْعَرَاقَ، بِمَا أَسْفَلَهَا، فَابْدَأْ بِفَرْجِ الْهَنْدِ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ الْأَعْلَى...»، فَسَارَ خَالِدٌ فِي الْمَحْرَمِ إِلَى أَرْضِ الْكُوفَةِ،

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله، القرشي، المخزومي، قيل: إنه أسلم بين الحديبية (٦ هـ) وخبير (٧ هـ)، وتوفي في حمص، وقيل: في المدينة سنة (٢١ هـ)، يُنظر: ابن عبد البر النميري، أبو عمرو، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجليل - بيروت / ١٤١٢ هـ) ج: ٢، ص ٤٢٧، ٤٣١.

(٢) قطبة بن قتادة بن جرير، السدوسي، الشيباني، أبو حويصلة، من بكر بن وائل، أسلم بعد فتح مكة، واستخلفه خالد بن الوليد على البصرة سنة (١٢ هـ). ابن عبد البر النميري، الاستيعاب: ج ٣، ص ١٢٨٢.

(٣) يُنظر: ابن خيّاط، خليفة بن خيّاط (ت ٢٤٠ هـ)، تاريخ خليفة بن خيّاط، (تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت / د.ت) ج ١، ص ٧٧-٧٨.

(٤) اليهامة: مدينة على مرحلتين من الطائف، ويوم اليهامة هو اليوم الذي كانت فيه الواقعة بين المسلمين وبين بني حنيفة، أصحاب مسيلمة الكذاب، وكانت في ربيع الأول سنة (١٢ هـ)، يُنظر: العيني، أبو محمد، محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ)، عمدة القارئ، (دار إحياء التراث العربي - بيروت / د.ت) ج ١٤، ص ١٣٨.

وفيها المثنى بن حارثة الشيباني^(١)، وجعل طريقه البصرة، وفيها قطبة بن قتادة السدوسي^(٢).

أول من فتح البصرة ومصرها (١٤ هـ/٦٣٥ م)

ذكر أن قطبة بن قتادة هو أول من فتح الأبلة بعد أن استخلفه خالد على البصرة^(٣)، وفي رواية أخرى وهي الأرجح-قيل: إن عتبة بن غزوان المازني^(٤)،

(١) المثنى بن حارثة الشيباني، أسلم وقدم على رسول الله ﷺ سنة (٩ هـ)، وقيل: (١٠ هـ)، بعثه أبو بكر سنة (١١ هـ) إلى العراق، فأبلى بلاءً حسناً؛ إذ كان في سواد الكوفة، فخرج إلى خالد، وقدم معه البصرة، وتوفي سنة (١٤ هـ). ابن عبد البر التميمي، الاستيعاب: ج ٤، ص ١٤٥٦.

(٢) يُنظر: ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)، المتنظم في تاريخ الملوك والأمم، (ط١، دار صادر-بيروت/١٣٥٨ هـ): ج ٤، ص ٩٧.

(٣) يُنظر: السمعاني، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ)، الأنساب، (تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان للطباعة والنشر-بيروت/١٩٨٨ م): ج ١، ص ٤٥؛ وابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (دار الكتاب العربي-بيروت/د.ت): ج ٤، ص ٢٠٥.

(٤) عتبة بن غزوان بن جابر المازني، أبو عبد الله، هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، واستعمله عمر على البصرة، وهو الذي مصرها واحتطّها، قدم على عمر فرده والياً إلى البصرة، فهات في الطريق سنة (١٤ هـ)، وقيل: (١٥ أو ١٦ هـ)، يُنظر: ابن خياط، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)، الطبقات، (تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر- بيروت/١٩٩٣ م): ص ٣٨؛ والخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت/١٩٩٧ م): ج ١، ص ١٦٦، ١٦٨، ١٦٧؛ وابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)، صفة الصفوة، (تحقيق، محمود فاخوري و د. محمد رواسى قلعة جي، ط٢، دار المعرفة-بيروت/١٩٧٩ م): ج ١، ص ٣٨٧؛ والمتنظم: ج ٣، ص ٢٤٤؛ والنّووي، محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، (تحقيق: مكتب البحث والدراسات، ط١، دار الفكر-بيروت/١٩٩٦ م): ج ١، ص ٢٩٥.

هو أوّل من فَتَحَ البصرة، ولم ينزل قطبة بأرض البصرة^(١)، وقد وَرَدَ أنَّ قطبة لم يتولَّ فتح البصرة، وإنما كان يُغَيِّر على ناحية الْخْرِيَّة من البصرة^(٢)، وقد كتب لعمر: لو كان معه عدُّ لظَّفَرَ بِمَن في ناحيَتِه من العجم، فبعث إِلَيْهِ عُمَرَ عَبْتَةَ بْنَ غَزَوانَ في ثلَاثَائَةِ رَجُلٍ، وانضمَّ إِلَيْهِ في طرِيقِهِ نَحْوَ مَائِتَيِّ رَجُلٍ، فَدَخَلَ عَبْتَةَ الْأَبْلَةَ سَنَةَ ١٤ هـ / ٦٣٥ مـ^(٣).

وكان عمر حينها وجّه عتبة إلى البصرة قد أوصاه: «إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَوْجِهَكَ إِلَى أَرْضِ الْهَنْدِ...؟ لِتَمْنَعَ أَهْلَهَا أَنْ يَمْدُوا إِخْرَانَ فَارَسَ»، فَتَرَاهَا فِي رِبَيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ١٤ هـ / ٦٣٥ مـ)، وكان فيها سبُّعُ دَسَاكِرَ^(٤)، فَأَمْرَهُ عَمَرُ أَنْ يَجْمِعَ النَّاسَ فِي مَوْضِعٍ

(١) يُنظر: ابن الأثير، أُسْدُ الغَابَةِ: ج٤، ص٢٠٦.

(٢) يُنظر: الطَّبَرِيُّ، أَبُو جَعْفَرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ (ت١٠٣١ هـ)، تارِيخُ الرَّسُولِ وَالْمُلُوكِ، (مراجعة وتصحيح: نَخْبَةُ الْعُلَمَاءِ الْأَجَلَاءُ، مؤسَّسَةُ الْأَعْلَمِيِّ - بَيْرُوتُ، د.ت): ج٣، ص٩١، وابن الجوزيُّ، المتنَظِّم: ج٤، ص١٨٤؛ وابن الأثير، أَبُو الْحَسْنِ، عَلَيْ بْنُ أَبِي الْكَرْمِ (ت١٣٣٠ هـ)، الكَاملُ فِي التَّارِيخِ، (تَحْقِيقُ: عَبْدُ اللهِ الْقَاضِيِّ، ط٢ - بَيْرُوتُ، ١٤١٥ هـ): ج٢، ص٣٣٣؛ والنويريُّ، شَهَابُ الدِّينِ، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ (ت٧٣٣ هـ)، نَهَايَةُ الْأَرْبَبِ فِي فُنُونِ الْأَدْبِ، (مَطْبَعَةُ كُوستَاتِسُومَاسِ، الْقَاهِرَةُ / د.ت): ج٥، ص٢٩١.

(٣) يُنظر: أَبُو هَلَالِ الْعَسْكَرِيِّ، الْحَسْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ (ت٣٩٥ هـ)، الأَوَّلَى، (تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ السَّيِّدِ الْوَكِيلِ)، الْمَدِينَةُ الْمُنْوَرَةُ / ١٩٦٦ مـ): ص٨٦؛ وابن الجوزيُّ، المتنَظِّم: ج٤، ص١٨٢.

(٤) الدَّسْكَرَةُ: بَنَاءٌ عَلَى هِيَةِ الْقَصْرِ، فِيهِ مَنَازِلُ بَيْوَاتِ الْخَدْمِ وَالْحَشْمِ، وَهِيَ كَلْمَةٌ لَيْسْتُ عَرَبِيَّةً، وَالدَّسْكَرَةُ: الصَّوْمَعَةُ، يُنظر: ابْنُ مَنْظُورٍ، مُحَمَّدُ بْنُ مُكَرَّمَ (ت٧١١ هـ)، لِسَانُ الْعَرَبِ

(قِمٌ / ١٤٠٥ هـ): ج٤، ص٢٨٦.

واحدٍ، وكتب إلى العلاء بن الحضرمي^(١) أن يمد عتبة بعرفجة بن هرثمة^(٢)، وأوصى عتبة أن يتّخذ من عرفجة مستشاراً له، وكتب عمر: «وادع إلى الله، فمن أجابك، فاقبل منه، ومن أبى، فالجزية، وإلا فالسيف، واتّق مصارع الظالمين»^(٣). فسار عتبة بن غزوan حتى أتى مكان البصرة، ولم تكن هناك يومئذ إلا الخربة، وكانت منازل خربة، وبها مسالح لكسرى تمنع العرب من العبث في تلك الناحية، فنرّها، ثم سار حتى أتى الأُبَلَة فافتتحها، وكتب إلى عمر: «أمّا بعد، فإن الله - وله الحمد - فَتَحَ عَلَيْنَا الْأَبْلَةَ، وهي مرقى سفن البحر من عُمان والبحرين وفارس والهند والصين، واغتنمنا ذهبهم وفضّتهم وذرارتهم، وأنا كاتب إليك ببيان ذلك إن شاء الله»^(٤). فكان عتبة بن غزوan هو أول من فتح البصرة، ففتح الأُبَلَة

(١) العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي عبد الله بن حماد بن سلمى بن أكبر، من حضرموت من اليمن، وكان حليفاً لبني أمية بعثه رسول الله عليه السلام إلى البحرين، ثم عزله، وولاه أبو يكر البحرين، وبعثه عمر إلى البصرة، فخرج، فلما كان قريباً من الصعاب-والصعب من أرض بني تميم-مات، يُنظر: ابن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، (دار صادر- بيروت/د.ت): ج ٤، ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢.

(٢) عرفجة بن هرثمة بن عبد العزّى بن زهير، البارقي، أحد الأُمراء في الفتوح، شارك في حروب الرّدّة، وقيل: إنّ عمر بعثه إلى البصرة، وقيل: إلى الموصل وتكريت، يُنظر: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، (تحقيق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط ١-بيروت/١٤١٥هـ): ج ٤، ص ٤٠.

(٣) ابن الجوزي، المستظم: ج ٤، ص ٨١؛ أورد ابن الأثير نصّ كتاب عمر إلى عتبة بن غزوan بلغظ مشابه، يُنظر: الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٤) أبو حنيفة الدّينوري، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)، الأخبار الطّوال، (إعداد وتحقيق وفهرسة: د. عمر فاروق الطبّاع، دار القلم-بيروت/د.ت): ص ١١٢.

والفرات وأبرقاذ^(١)، وسبى من ميسان سبياً^(٢).

أول امرأة رافقت الحملة العسكرية لفتح البصرة وحرّضت النساء على القتال

تُعدُّ (أزدة بنت الحارث بن كلدة الثقفيّة)^(٣)، زوج أمير البصرة وقادها عتبة بن غزوان، أول امرأة قدمت البصرة برفة الحملة العسكرية الوجهة لفتح البصرة مع زوجها عتبة، وذكر: أنَّ (أزدة) أخذت بتحريض النساء اللواتي خرجن مع المقاتلين على القتال؛ إذْ روِيَ: أنَّ عتبة لما قاتلَ أهل ميسان اجتمعَتْ (أزدة) بالنساء، وقالت لهنَّ: «إنَّ رجالنا في نهر العدوّ، ونحن خلوف، ولا آمنُ أنْ يخالفوا إلينا، وليس عندنا مَنْ يمنعنا، وأُخْرى أخاف أنْ يكثُر العدوّ على المسلمينَ فيهزِّ مونهم، فلو خرجنا لأمِنَّا مَا نخاف من مخالفته العدوّ إلينا، ويظنُّ المشركونَ آنَّا عدُّ ومدُّ أَتَى المسلمينَ، فيكسرُهم ذلك، وهي مكيدة»، فأجبنَّها إلى ما رأتُ، فاعتقدتْ لواءً من خمارها، واتَّخذت النساء رايَاتٍ من حُمُرِهنَّ، وأمضينَ رأيُهنَّ ومضينَ، وهي أمَاهنَّ، وهي تقول:

(١) أبرقاذ: من طسسيج المدار بين البصرة وواسط، وقيل: إنَّ هذا الموضع يجاور ميسان ودستميسان. يُنظر: الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان (قدّم له: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت / ٢٠٠٨): ج١، ص ٦٨.

(٢) يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ خليفة بن خيّاط: ج ١، ص ٨٦.

(٣) أزدة بنت الحارث بن كلدة الثقفيّ، زوج عتبة بن غزوan المازفيّ، قدمت معه إلى البصرة لما قدم لفتحها وتصيرها؛ وبسببها قدم إخواتها من أمّها: أبو بكرة، ونافع، وزياد بن عبيد، وأمهem سمية مولاة الحارث بن كلدة. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٨، ص ١٠.

يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ صَفَّاً بَعْدَ صَافٍ
إِنْ تُهْزِمُوا وَتُدْبِرُوا عَنَا نَحْفُ

أَوْ يَغْلِبُوكُمْ يَغْمِزُوا فِينَا الْقُلُوفُ

فَلِمَّا رَأَى الْعُدُوُّ الرَّايَاتِ، قَالُوا: «هَذَا عَدُوُّ وَمَدُّ أَتَى الْعَرَبِ»، فَانْهَزَمُوا

مِنْهُمْ^(١).

أَوَّلُ معارضة سياسية وأَوَّلُ تهجير سكاني لأهل البصرة (٦٥٣/٥٣٣)
 اعتاد العديد من المؤرخين على وصف البصرة بأنّها مدينة تميّزت بالهدوء،
 وأنّ أهلها أناس مساملون، وقد غلب القول إنّ أهل البصرة عثمانيو الهوى،
 فقيل: إنّ البصرة كانت عثمانية^(٢)، تعبيراً عن ولائها لعثمان بن عفان^(٣)، إلا إنّ
 الواقع التاريخي يؤكّد خلاف ذلك، فكما يوجد في البصرة أناس مواليون لعثمان أو
 لبني أمية على العموم، يوجد أناس معارضون لحكم عثمان، ومنتقدون لسياساته
 وسياسة بني أمية أيضاً، إذ إنّ أَوَّل معارضة سياسية لعثمان تمثّلت بقيام بعض
 أهل البصرة في التأليب عليه، وهذا ما دفع عثمان إلى إصدار عقوبة تقضي بتهجير
 المعارضين لحكمه وإخراجهم من البصرة سنة (٦٥٣/٥٣٣)، فنُقلَ بعضهم
 إلى الشّام، والبعض الآخر إلى مصر، فكانت عقوبة التهجير الجماعي أَوَّل عقوبة

(١) يُنظر: ابن طيفور، أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر البغدادي (ت ٢٨٠ هـ)، *بلاغات النساء*، (مكتبة بصيريقي-قم المقدّسة/ د.ت): ص ١٣٠.

(٢) العثمانية: هم أنصار عثمان بن عفان، والمحتججون لفضله، المناضلون عنه، الدّافعون
 مطاعن المخالفين فيه، يُنظر: الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، *العثمانية*، (شرح
 وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الجيل-بيروت/ د.ت): ص ٥ (مقدمة المحقق).

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)، *أنساب الأشراف*، (حقّقه وقدّم له:
 د. سهيل زكار، ود. رياض زركلي، دار الفكر-بيروت/ د.ت): ج ٤، ص ١٠٩.

تعرّض إليها عددٌ من سكّان البصرة لأسباب سياسية^(١).

وحينما ثار أهل الأمصار الإسلامية ضدّ عثمان سنة (٦٥٥ هـ / ١٣٥ م)، كان لأهل البصرة دورٌ في تلك الثورة؛ إذ خرج من البصرة حكيم بن جبلة العبدى^(٢)، في مائة رجلٍ حتّى قدموا المدينة يريدون خلع عثمان^(٣).

أوّل خليفة دخل البصرة (٦٥٦ هـ / ١٣٦ م)

أوّل خليفة دخل البصرة وأقام بها هو الإمام عليّ بن أبي طالب^(٤)، فقيل: إنّه دخلها يوم الاثنين سنة (٦٥٦ هـ / ١٣٦ م).

(١) يُنظر: ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٤٠، ٤١؛ وابن كثير، أبو الفدا، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، (مكتبة المعرف - بيروت / د.ت): ج ٧، ص ١٨٦.

(٢) حكيم بن جبلة بن حصين، من بني عبد القيس، صحابي شريف مطاع، من أشجع الناس، ولّاه عثمان السند، وبعثه والي البصرة عثمان بن حنيف في سبعمائة من عبد القيس وبكر بن وائل، فلقي طلحة والزبير بالزبوقة قرب البصرة، فقاتلهم قتالاً شديداً، حتّى قطعت رجله، فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله، ولم يزل يقاتل ورجله مقطوعة حتّى استشهد سنة (١٣٦ هـ). يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ٤٠؛ والزركي، خير الدين، الأعلام، (دار العلم للملائين - بيروت / ١٩٨٠ م): ج ٢، ص ٢٦٩.

(٣) يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ خليفة بن خيّاط: ج ١، ص ١٢٤؛ وابن شبة النميري، عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ)، تاريخ المدينة المنورة، (تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطبعة قدس - قم / ١٤١٠ هـ): ج ٤، ص ١١٥٢؛ وابن حبان البستي، محمد بن حبان بن أحمد (ت ١٣٥٤ هـ)، الثقات، (ط ١، حيدر آباد الدّكّن - الهند / ١٣٩٣ هـ): ج ٢، ص ٢٦٠؛ وابن العربي، أبو بكر، محمد (ت ١٤٣ هـ)، العواصم من القواسم، (تحقيق: محب الدين الخطيب، ط ٢ - جدة / ١٣٨٧ هـ): ج ١، ص ١٢٤؛ ابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ٥٠.

(٤) يُنظر: ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٩٣؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ١٤٣.

أول معركة دارت رحاها في البصرة (٦٥٦هـ/٣٦)

أول معركة دارت رحاها في البصرة هي معركة الجمل سنة (٦٥٦هـ/٣٦)، فقد ذُكر أن طلحة والزبير استأذنا الإمام علياً للخروج إلى مكة، وكانا قد بايعا الإمام علياً سنة (٦٥٥هـ/٣٥) إلا إن خروجهما إلى مكة كان بقصد نقض البيعة والتمرد، وفي مكة التقى بعد الله بن عامر بن كريز^(١)، ومروان بن الحكم، فاجتمعوا، واجتمعت بنو أمية، وحرضوا على دم عثمان، وتم تجهيز طلحة والزبير بالمال والرجال، وأرادوا التوجه نحو الشام، فصدقهم عنها ابن عامر، ونصحهم بالتوجه إلى البصرة؛ لماله فيها من مؤيدين وأتباع، لقوله: «لا ميعاد لكم بمعاوية، ولهم بالبصرة صنائع...»^(٢).

وفي البصرة دارت معركة فاصلة بين جيش طلحة والزبير ومن وقف إلى جانبيهما من بنى أمية وأتباعهم، ومن ورائهم عائشة على جمل ضخم، وبين جيش الخلافة الذي يقوده الإمام علي^(٣)، عرفت باسم (معركة الجمل)، وكانت المعركة بالزاوية ناحية طف^(٤) البصرة.

(١) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب، القرشي، ابن خال عثمان، ولد عهد النبي عليه السلام، ولد عثمان البصرة سنة (٢٩هـ)، وضم إليه فارس، شهد الجمل مع طلحة والزبير، ولم يحضر معركة صفين، ولد معاوية البصرة ثلاثة سنين، ثم عزله، فأقام في المدينة حتى وفاته (٥٨هـ)، ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٥، ص ١٤-١٥.

(٢) ابن العربي، العواصم من القواصم: ج ١، ص ١٤٨.

(٣) الطف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وإنما سمي طفًا لأنَّه دان من الريف، من قوله: خُذْ ما طَفَ لك واستَطَفَ، أي: ما دنا وأمكن. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٦، ص ٢٦٢.

(٤) ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ: ج ١، ص ١٣٥.

وقد انتهت المعركة بانتصار الإمام عليٰ، وإعادة استقرار أوضاع البصرة، ومباعدة أهلها للإمام عليٰ^(١).

أولٌ صاحبٍ قُتِلَ في معركة الجمل (٦٥٦هـ/٣٦٥م)

رويَ أنَّ طلحة بن عبيد الله هو أولُ من قُتل بالجمل سنة (٦٥٦هـ/٣٦٥م)^(٢)، قتله مروان بن الحكم ثاراً لعثمان؛ إذْ ذُكر آنَّه حينما وجَّه سهمَه نحو طلحة فأرداه قتيلاً، قال: «لا أنتظِرُ اليوم بثاري في عثمان»^(٣)، وجاء: أنَّ مروان قال بعد قتْلِ طلحة: «اللَّهُمَّ خُذْ لعثمان مِنِّي الْيَوْمَ حَتَّى تَرْضَى»^(٤).

أولٌ خليفةٌ دُعِيَ له على المنبر في البصرة

استحدثَ عبد الله بن عباس والي البصرة في خلافة الإمام عليٰ الدّعاء للخليفة في الخطبة، فكان ابنُ عباس أولَ من دعا للإمام عليٰ في خطبته، قائلاً: «اللَّهُمَّ انْصُرْ عَلَيَّ عَلَى الْحَقِّ؛ لَأَنَّهُ أَصْلُ مَا اتَّصلَ بِهِ الْعَمَلُ مِنْ ذَلِكَ»^(٥).

(١) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ١٤٣.

(٢) يُنظر: خليفة بن خيّاط، تاريخ: ج ١، ص ١٣٨؛ والبخاري، أبو عبد الله، إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦هـ)، التّاريخ الصّغير، (تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط ١، دار المعرفة- بيروت/١٤٠٦هـ): ج ١، ص ١٠٠.

(٣) ابن عبد ربّه الأندلسيّ، أحمد بن محمد (ت ٣٢١هـ)، العقد الفريد، (ط ٣، دار إحياء التّراث العربيّ-بيروت/١٩٩٩م): ج ٤، ص ٢٩٩.

(٤) البلاذريّ، أنساب: ج ٣، ص ٤٣، وابن عبد ربّه الأندلسيّ، العقد الفريد: ج ٤، ص ٢٩٩.

(٥) القلقشنديّ، أحمد بن عليٰ (ت ٨٢١هـ)، مآثر الإنابة في معالم الخلافة، (تحقيق: عبد السّتار أحمد فراج، ط ٢، مطبعة حكومة الكويت-الكويت/١٩٨٥م): ج ٢، ص ٢٣١؛ وابن الأزرق، أبو عبد الله بن الأزرق (ت ٨٩٦هـ)، بدائع السّلوك في طبائع الملك، (تحقيق: د. علي سامي النّشار، ط ١، وزارة الإعلام-العراق/د.ت): ج ١، ص ٢٢٠.

أول خطبة ألقاها خليفة في البصرة

بعد أن قدم الإمام علي^{عليه السلام} إلى البصرة، توجّه إلى مسجدها، واجتمع الناس إليه، فألقى فيهم خطبة، وهي أول خطبة ألقاها خليفة في البصرة، وقد روى الحسن البصري^(١): أنَّ الإمام عليًّا ^{عليه السلام} بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على نبيه ^{عليه السلام}، قال: «يا أهل البصرة، يا بقابا ثمود، ويَا جُند المرأة، ويَا أتباع البهيمة، رغا فاتَّبَعْتُمْ، وعُقَرَ، فانهزمْتُمْ، أما إِنِّي لَا أقولُ رغبةً فِيْكُمْ، ولا رهبةً مِنْكُمْ، غير إِنِّي سمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: تُفْتَحُ أَرْضٌ يُقالُ لَهَا: الْبَصَرَةُ، أَقْوَمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسَ، وَعَابِدُهَا أَعْبَدُ النَّاسَ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ النَّاسَ، وَمَتَصَدِّقُهَا أَعْظَمُ النَّاسَ صَدْقَةً، وَتَاجِرُهَا أَعْظَمُ النَّاسَ تِجَارَةً، مِنْهَا إِلَى قَرِيَّةٍ يُقالُ لَهَا: الْأَبْلَةُ أَرْبَعَةُ فِرَاسِخٍ^(٢)، يُسْتَشَهِدُ عَنْهَا مسجدٌ جَامِعُهَا أَرْبَاعُونَ أَلْفًا، الشَّهِيدُ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّهِيدِ مَعِي يَوْمَ بَدْرٍ»^(٣).

(١) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن، واسم أبي الحسن يسار، من سبي ميسان، اشتربه الربيع بنت التضر عمّة أنس بن مالك، فأعنته، وقيل: إنَّ أمَّ الحسن كانت مولاً لأم سلمة زوج النبي ^{عليه السلام}. ولد بالمدينة لستين بقيتا من حكم عمر بن الخطاب، تولَّ قضاء البصرة أيام عمر بن عبد العزيز، وتوفي سنة (١١٠هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٥٦، ١٧٨؛ ووكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ)، أخبار القضاة، (صححه وعلق عليه: عبد العزيز مصطفى المراغي، عالم الكتب- بيروت/ د.ت): ج ٢، ص ٣، ٧.

(٢) الفراسخ: ثلاثة أميال، أو ستة، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٣، ص ٤٤.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، (ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت/ ٢٠٠٢م): ص ١٥٥.

أول ثورة للخوارج^(١)، في البصرة (٤١ هـ / ٦٦١ م)

خرج في البصرة سنة (٤١ هـ / ٦٦١ م) سهم بن غالب المجيسي^(٢)، على عبد الله ابن عامر والي البصرة في سبعين رجلاً، منهم: الخطيم الباهلي، وهو يزيد بن مالك، قيل له: (الخطيم)؛ لضربةٍ ضربها على وجهه، فنزلوا البصرة، فمرّ بهم عبادة ابن فرص اللثي^(٣)، ومعه ابنه وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: «من أنتم؟ قالوا: مسلمون، فقالوا: كذبتم. فأجاب عبادة: سبحان الله، أقبلوا منا ما قبل رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- مني، فإني كنتُ وقاتلته، ثم أتيته فأسلمتُ، فقبل ذلكَ مني، فقالوا: أنتَ كافر، وقتلوه، وقتلوا مَنْ معه، فخرج إليهم ابن عامر بنفسه وقاتلهم، فقتلَ منهم عدّة، وانحاز بقيتهم إلى أجمة^(٤)، وفيهم سهم والخطيم،

(١) الخوارج: فرقة نشأت في أعقاب معركة صفين عندما طلب معاوية التحكيم من الإمام علي[ؑ]، وهي كلمة حق يراد بها باطل، وهي خدعة حربية استعملها معاوية بإشارة من عمرو بن العاص، وحينها أجبروا الإمام على قبول التحكيم، وبعد ما تبيّن لهم خدعة رفع المصاحف والتحكيم احتجّوا على الإمام[ؑ] قبوله التحكيم، فخرجوا عليه واستباحوا دماء المسلمين الذين يخالفون عقيدتهم، وكفروا جميع المسلمين، فاضطُرَ الإمام[ؑ] إلى محاربتهم في التهروان سنة (٣٧ هـ)، يُنظر: الشاكري^١، الحاج حسين، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، (ط١، مطبعة ستارة-قم / ١٤١٨ هـ): ص ١١١-١١٤.

(٢) سهم بن غالب المجيسي، من زعماء الشائرين على معاوية، خرج سنة (٤١ هـ) في البصرة، وقاتل حتى فني أكثر أصحابه، فاستخفى، ثم ظهر، فطلب زيد حتى قبض عليه عبد الله بن زيد فصلبه في البصرة، وقيل: صلبَه زيد. الزركلي، الأعلام: ج ٣، ص ١٤٤.

(٣) عبادة بن فرص اللثي^(٣)، ويُقال: عبادة بن قرق العبيسي، ويُقال: ابن قرط، سُكَنَ البصرة، وُقُتلَ سنة (٤١ هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٨٢؛ وابن حبان البستي^٢، الثقات: ج ٣، ص ٣٠٣.

(٤) أجمة: مفرد الآجام، وتعني الشجر الكثيف الملتف، يُنظر: فتح الله، د. أحمد، معجم ألفاظ

فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ أَبْنَا عَامِرَ الْأَمَانَ، فَقَبَلُوا، إِلَّا إِنَّ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى أَبْنَا عَامِرَ يَأْمُرُهُ بِقَتْلِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبْنَا عَامِرَ، قَائِلاً: «إِنِّي قُدْ جَعَلْتُ لَهُمْ ذَمَّتَكَ»، فَآمَنُوهُمْ وَعَفَا
عَنْهُمْ^(١).

أوَّلُ مَنْ حَذَقَ^(٢) الْخَيْلَ، وَأوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ رَكْبَ الْحَدِيدِ

جاء: أَنَّ رَكْوبَ^(٣) الْعَرَبِ كَانَتْ مِنَ الْخَشْبِ، فَاتَّخَذَ الْمَهْلِبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ^(٤)،
رُكْبَ الْحَدِيدِ بَدْلَ الْخَشْبِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَأَوَّلُ مَنْ حَذَقَ الْخَيْلَ أَيْضًا،
فَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَضَرَبَتْ لِلْحَدَّثَانِ وَالْحَرْبِ	ضَرَبُوا الدَّرَاهِمَ فِي إِمَارَتِهِمْ
كَمَنَاكِبِ الْحَمَالَةِ الْجَرْبِ	حَلَقاً تَرَى فِيهَا مَرَاقِفَهُمْ

الفقه الجعفري (ط١ ، مطابع المدخل-الدمام / ١٩٩٥ م): ص ٢١.

(١) يُنظر: الطبرى، تاريخ: ج٤، ص ١٣٠.

(٢) الحذق والخذافة: المهارة في كل عمل، ابن منظور، لسان العرب: ج١٠، ص ٤٠؛ وقد فرسَ فلان إذا حذق بأمر الخيل، يُنظر: الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣هـ)، الصّاحح، (تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين-بيروت / ١٩٨٧ م): ج٣، ص ٩٥٨؛ والزمخشري، أبو القاسم، محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، (دار ومطابع الشعب-القاهرة / ١٩٦٠ م): ص ٧٠٧.

(٣) الرّكُب: الرّكُب هو ما تُجْعَلُ فِي الرّجُلِ عِنْدِ الرّكْوبِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعَادُهُ مِنَ الْجَلدِ وَالْخَشْبِ، ثُمَّ عُدِلَّ عَنِ ذَلِكِ إِلَى الْحَدِيدِ. الْقَلْقَسْنَدِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ عَلَيٍّ (ت ٨٢١هـ)، صَبَحَ الْأَعْشَى فِي صَنَاعَةِ الْإِنْشَا، (تحقيق: د. يوسف علي طويل، ط١، دار الفكر-دمشق / ١٩٨٧ م): ج٢، ص ١٤٤.

(٤) المهلب بن أبي صفرة، واسمُ أبي صفرة: ظالم بن سراق، ويُكْنَى بِأَبِي سَعِيدٍ، ولِي خراسان، ومات بمرو الروذ سنة (٨٣هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج٧، ص ١٢٩.

وذلك أنّ الفارس يصلُ الرّاجل بركابه، فِيُوهن مِرْفَقَه^(١).

أوّلُ مَنْ أَمْرَ بِاتَّخَادِ السَّيُوفِ الْحَنِيفِيَّةِ

الحنيفيَّة ضربٌ من السَّيُوف تُنْسَب إلى الأحنف بن قيس^(٢)؛ لآنَه أوّلُ مَنْ أَمْرَ بِاتَّخَادِه^(٣)، وأوّلُ مَنْ عَمِلَهَا، ووُصِّفتَ بأنها المعدول الذي على غير قياس^(٤).

أوّلُ ثُورَةٍ عَامَّةٍ فِي البَصْرَةِ عَلَى الْحُكْمِ الْأَمْوَيِّ (٦٨٤ هـ / ٩٠ م)

شهدت البصرةُ شأنها شأن غيرها من أرجاء الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ هياجاً جماهيرياً، وغَضِبَّاً عارماً وعامماً إزاء السياسة الأمويَّة الجائرة، وما انتابَ العَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ ويلاتٍ وبلاءاتٍ وانتهاكاتٍ للحرمات المقدّسة إبان حكم يزيد بن معاوية^(٥)، فكانت الفرصة سانحة لهم بالخروج عن طاعة بنى أمية، وإعلان ثورتهم ضدّ نظامهم الجائر في أعقاب موت يزيد سنة (٦٨٣ هـ / ١٠٥ م)؛ إذ خرجن على الوالي

(١) يُنظر: أبو هلال العسكري، الأوائل، ص ١٠٥؛ والقلقشني، صبح الأعشى: ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) الأحنف بن قيس، واسمُه: الضّحّاك بن قيس بن معاوية، من بنى زيد مناة بن قيم، ولدته أمّه وهو أحنف، يُكتَنِي بأبي بحر، وفُدِّ على مصعب بن الزّبير في الكوفة، فتوّيَ هناك، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٩٣، ٩٧.

(٣) يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، العين (تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط ٢، دار الهجرة-إيران / ١٤٠٩ هـ): ج ٣، ص ٢٤٨؛ وابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ٥٨؛ والبسنوبي، الشّيخ علاء الدين دده السّكتوارمي (ت بعد ٩٩٨ هـ): ص ٧٩٩٨. محاصرة الأوائل ومسامرة الآخر، (ط ١، المطبعة العامرية التّشرفيَّة / ١٣١١ هـ): ص ٧٤-٧٥.

(٤) يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٢٤٨؛ وابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ٥٨.

(٥) يُنظر: البلاذري، أنساب: ج ٣، ص ٤١٧، ٤١٧، ٥، ج ٣٣٨، ٣٣٨؛ والطبرى، تاريخ: ج ٤، ص ٣٦٨.

الأموي عبيد الله بن زياد^(١)، وحاصروه في داره حتى أرغموه على الخروج هارباً مذعوراً، فاستجار بمسعود بن عمر الأزدي^(٢)، فهاجم الثوار مسعوداً الأزدي وقتلوه، فتوّجه ابن زياد هارباً إلى الشام^(٣)، وانضم إلى مروان بن الحكم، الذي كان هو الآخر قد فر من المدينة بعد ثورة أهلها على الأمويين وطردتهم منها^(٤). ولا شك في أن ثورة أهل البصرة ضد الأمويين دفعت بهم إلى تأييد عبد الله بن الزبير ومبaitه^(٥).

(١) عبيد الله بن زياد بن أبيه، أبو حفص، تولى العراق سنة (٥٥٥هـ)، وصف بأنه كان سفيهاً سفاكاً للذماء، أغضبه المسلمون لما فعل بالإمام الحسين^{رض}، فلما هلك يزيد، هرب إلى الشام وانضم إلى مروان، قُتل يوم عاشوراء سنة (٦٦٧هـ)، يُنظر: الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، (أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرناؤوط، ط ٩، مؤسسة الرسالة-بيروت/١٩٩٣م): ج ٣، ص ٥٤٥-٥٤٦.

(٢) مسعود بن عمر، الأزدي، الفهمي، سيد الأزد، وهو الذي منع من قتل عبيد الله بن زياد؛ وبسبب ذلك، فإنه قُتل سنة (٦٦٥هـ)، يُنظر: السماوي، الشيخ محمد، إبصار العين في أنصار الحسين^{رض} (تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، ط ١، مطبعة حرس الثورة الإسلامية، طهران/١٤١٩هـ): ص ٤١.

(٣) يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المعارف، (تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف-مصر/١٩٦٩م): ص ٧٩؛ والطبراني، تاريخ: ج ٤، ص ٤٠٢.

(٤) يُنظر: البلاذري، أنساب: ج ٦، ص ٥٧-٥٦، ٢٥٧، وينظر: الهاشمي، د. سلمى عبد الحميد، آل عثمان بن عفان وموقعهم من الحكم الأموي، (مطبعة دار الكتب-جامعة البصرة/٢٠١٢م): ص ١١١.

(٥) يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، (تحقيق: علي شيري، منشورات الشّريف الرّضي-بيروت/١٩٩٠م): ج ٢، ص ٢٠.

أوائل ثورات الزنج^(١) في البصرة أيام الحكم الأموي

لم تكن ثورة الزنج التي وقعت سنة (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) هي أوائل ثورات الزنج في البصرة، وإنما هي أشدّها وطأة، وأكثُرها خطورة؛ لما أحدهُ من خرابٍ وتدميرٍ، وما ألحقت بأهل البصرة من ويلاتٍ ومحنٍ^(٢).

إن أوائل ثورة للزنوج في البصرة كانت في آخر أيام مصعب بن الزبير^(٣)، الذي تولى البصرة (٦٧-٦٨٧ هـ / ٦٨٦-٦٩١ م) للمرة الأولى، وسنة (٦٩٢-٦٩٣ هـ / ٦٨٨-٦٩١ م) للمرة الثانية، فقد رُوي: أن الزنج اجتمعوا بفرات البصرة،

(١) الزنج: الزنجون جيلٌ من السُّودان، بلادهم تمتدّ من المغرب إلى قرب الحبشة، وبعض بلادهم على نيل مصر، يُنظر: الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس، (تحقيق: علي شيري، دار الفكر- بيروت / ١٩٩٤ م): ج ٣، ص ٣٩٣. وقد تعرضت البصرة لأقوى وأشد هجمة من قبل الزنج سنة (٢٥٥ هـ) بقيادة رجلٍ زعم أنه يتسبّب إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، الذي جمع حوله قطاع الطرق والعيّد السُّود من غلمان أهل البصرة، وقادهم بهجمات شملت مختلف أنحاء البصرة قتلاً وتدميراً، واستمر ذلك لغاية (٢٧٠ هـ)؛ إذ تمكنت السلطة العباسية من قتله، يُنظر: اليافعي، أبو محمد، عبد الله بن أسعد اليمني (ت ٧٦٨ هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، (دار الكتاب الإسلامي- القاهرة / ١٩٩٣ م): ج ٢، ١٦١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ١٢، ص ٣٧٥.

(٢) الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام، (تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب العربي- بيروت / ١٩٨٧ م): ج ١٩، ص ٢٤؛ وسير أعلام النبلاء: ج ١٢، ص ٧٣٥؛ واليافعي، مرآة الجنان: ج ٢، ١٦١، ١٦٩.

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد، أبو عبد الله، تولى البصرة سنة (٦٧ هـ) لأنّيه عبد الله بن الزبير، وقتل سنة (٧٢ هـ)، قتله عبد الملك بن مروان. ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ١٨٢-١٨٤.

ولم يكونوا بالكثير، فأفسدو وتناولوا الشّمار، وولي خالد بن عبد الله بن خالد^(١) البصرة، وقد كثروا، فشكّا الناس إليه ما ناهم منهم، فجمع لهم جيشاً، فلما بلغهم ذلك تفرقوا، وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم، فلما كان مِنْ أمر ابن الجارود^(٢)، خرج الزّنج أيضاً، فاجتمع منهم خلقٌ كثيرٌ بالفرات، وجعلوا عليهم رجلاً اسمه (رباح)، ويُلقب (شير زنجي)، يعني: أسد الزّنج، فأفسدوا، فلما فرغ الحجاج^(٣)، مِنْ ابن الجارود أمّرَ زياد بن عمرو، وهو على سُرْطنة البصرة، أنْ يُرسل إليهم جيشاً يقاتلهم، ففعل، وسيّر إليهم جيشاً بقيادة ابنه حفص بن زياد، فقاتلهم، فقتلوه وهزموا أصحابه، ثمْ أُرسِلَ إليهم جيشاً آخر، فهزمَ الزّنج وقتلهم، واستقامت البصرة^(٤).

(١) خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسَيْد بن عليّ بن أبي العِيص بن أُمِيَّة، يُكَنِّي بـأبي أُمِيَّة، القرشي، المكي، الأموي، كان مع مصعب في العراق، ثمْ لحق بعد الملك، وشهد معه قتل مصعب، وولاه البصرة، ثمْ عزله وأحضره واستوثيق منه البيعة للوليد، يُنظر: ابن عساكر، أبو القاسم، عليّ بن الحسن (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق (تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر - بيروت / ١٤١٥هـ): ج ١٦، ص ١٢٢.

(٢) ابن الجارود، هو عبد الله بن الجارود بن المعلّى، العبدى. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٧، ص ٢٣٧-٢٣٨. وكان من أمر ابن الجارود في البصرة آنَه خَلَعَ الحجاج بن يوسف الشفّي، فاتّبعه بشرٌ كثيرٌ، فقتله الحجاج. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨، ص ١٥٨؛ والزرّكلي، الأعلام: ج ٤، س ٧٤.

(٣) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، أبو محمد، النّفّي، ولّاه عبد الملك على الحجاز، فقتل ابن الزّبير، ثمْ عزله وولاه العراق، توفي سنة (٩٥هـ)، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢، ص ١١٣، ١٩٧.

(٤) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٤، ص ١٤٧-١٤٨.

أول الموارين في البصرة من بني العباس في دعوتهم، والداعين لهم

بعد أن قام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس^(١) بالدعوة العباسية في أواخر أيام الحكم الأموي، شرع بإرسال الرجال إلى مختلف الانحاء للدعوة إلى بني العباس^(٢)، فذكر أنه وجّه ابنه أبا جعفر إلى البصرة ليدعوه من بها إلى الرضا من آل محمد^(٣).

وجاء: أنّ أبا جعفر حينما قدم البصرة استر ونزل على سليم بن سالم^(٤)، مولىبني سعد، فولاه السوس^(٥)، وجنديسابور^(٦)، حين أفضى الأمر إليه فيما بعد^(٧)، فأبُو جعفر المنصور العباسي هو أول من دعا للعباسيين في البصرة، وأول من نزلها مستتراً من العباسيين.

(١) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ولد إماماً لهاشميّن سرّاً بعد سنة (١٢٠ هـ)، وكان مقامه بأرض الشّرة بين الشّام والمدينة، ومات هناك سنة (١٢٥ هـ). الزّركلي، الأعلام: ج ٦، ص ٢٧١.

(٢) يُنظر: الزّركلي، الأعلام: ج ٦، ص ٢٧١.

(٣) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٤، ص ١٨٣.

(٤) ورد أنّ اسمه: سهيل بن سالم، وربما كان تصحيفاً، وقيل: إنه كان من أشراف أهل البصرة، ومن عمال المنصور، ثم قتله بعد ذلك، يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين (٣٥٦ هـ)، الأغاني، (دار إحياء التراث العربي/ د.ت): ج ١٤، ص ٣٢٢.

(٥) السّوس: بلدة بخوزستان، قيل: إنّ أول من بنى كور السّوس وحرف نهرها أردشير بن بهمن القديم ابن أسنديار. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٩٢.

(٦) جنديسابور: مدينة بخوزستان، بناها سابور بن أردشير، فنسبت إليه، وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٨١.

(٧) يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٤، ص ٣١٨.

أول من غلب على البصرة من أعونبني العباس (١٣٢هـ/٧٤٩م)

بعد نجاح الثورة العباسية، سيطر العباسيون على البصرة، وكان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب^(١)، أول من غلب على البصرة وسُوّد^(٢).

أول أمان عباسي منح للأمويين في البصرة

ما أن استحوذ العباسيون على الحكم حتى أخذوا بتصفية الأمويين واستئصالهم، بقتل من يقع بأيديهم، وتشريد الآخرين، فكانت حادثة نهر أبي فطروس^(٣) الشهيرة، وغيرها من الإجراءات الانتقامية التي اتبّعها العباسيون؛ ثاراً من الأمويين، حتى شمل القتل نساء البيت الأموي أيضاً^(٤).

لقد تم مطاردة الأمويين وقتلهم في البصرة؛ إذ روي: أن سليمان بن علي بن

(١) سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، كان عامل المنصور على البصرة، يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، (تقديم: كاظم المظفر، ط٢، المكتبة الحيدريّة-النجف الأشرف/١٩٦٥م): ص٢١٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، (دار صادر-بيروت/د.ت): ج٢، ص٣٤٥.

(٣) مجرزة نهر أبي فطروس: لما قُتل مروان بن محمد آخر حكام بني أمية، تفرق بنو أمية في البلاد؛ هرباً بأنفسهم، وقد كان عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس قاتل منهم على نهر أبي فطروس من بلاد فلسطين نحو ثمانين رجلاً. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ)، التبيه والإشراف، (دار صعب-بيروت/د.ت): ص٢٨٥.

(٤) يُنظر: الحلفي، صبيح نوري خلف، نساء البيت الأموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الأموي، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة-كلية الآداب/٢٠٠٦م): ص٢٩٤-٢٩٢.

عبد الله بن عباس^(١)، قَتَلَ جماعة من بني أمية عليهم الشّباب الموشية المرتفعة، وأمر بهم فجُرُوا منْ أرجلهم، وألقوا على الطريق فاكتلتهم الكلاب، فلما رأى بنو أمية ذلك اشتدّ خوفهم، وتشتّت شملهم، واحتفى منْ قدر على الاختفاء، وكان من اختفى عمرو بن معاوية^(٢)، وقال: «وكنت لا آتي مكاناً إلا عرفت فيه، فضاقت عليّ الأرض، فقدِمت على سليمان بن عليّ، وهو لا يعرفي، فقلت: لفظتني البلاد إليك، ودلّني فضلُك عليك، فإما قلتني فاسترحت، وإما ردّتني سالماً فأمنتُ، فقال: ومن أنت؟ فعَرَفته نفسي، فقال: مرحبا بك، ما حاجتك؟ فقلت: إنّ الحرم اللّواتي أنت أولى الناس بهنّ وأقربهم إليهنّ قد خفنَ لخوفنا، ومن خافَ خيفَ عليه»، وحيناً سمع سليمان بن عليّ ما قاله عمرو بن معاوية بكى، وقال: «يحقنُ اللهُ دمَكَ، ويوفِّرُ مالَكَ، ويحفظُ حرمَكَ»، ثم كتب إلى أبي العباس السفّاح: «يا أمير المؤمنين، إنه قد وفَّدَ وافد من بني أمية علينا، وإننا إنما قتلناهم على عقوبهم لا على أرحامهم، فإننا يجمعنا وإياهم عبد مناف، والرحم تبل ولا تقتل، وترفع وتوضع فإن رأى أمير المؤمنين أن يهبهم لي فليفعل، وإن فعل فيجعل كتاباً عاماً إلى البلدان نشكر الله تعالى على نعمه عندنا وإحسانه إلينا»، فأجابه إلى ما سأله، فكان هذا أول أمانٍ لبني أمية^(٣).

(١) سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس، كان أحد الأجواد، ولد البصرة من قبل أبي العباس السفّاح، وأضاف إليه كور دجلة والبحرين وعمان سنة (١٣٣هـ)، فأقام بها إلى أنْ عزله المنصور (١٣٩هـ)، وتوفي سنة (١٤٢هـ)، يُنظر: الذّهبي، سير أعلام النّبلاء: ج ٦، ص ١٦٢؛ وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن عليّ (ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التّهذيب، (ط ١، دار الفكر - بيروت/١٩٨٤م): ج ١، ص ٣٩٠.

(٢) عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، الأموي، العتبوي، البصري، يُنظر: الذّهبي، سير أعلام النّبلاء: ج ١١، ص ٩٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل: ج ٥، ص ٧٨-٧٩.

وجاء في رواية ثانيةٍ ما يخالف الرواية الأولى تماماً؛ إذ ذكر: أن سليمان بن عليٍّ كان حليماً رفِيقاً لم يعرض لمن كان في البصرة منبني أمية «فلم يسلموا في بلد سلامتهم بالبصرة»^(٤)، وورد أيضاً أن سليمان بن عليٍّ حينها سمع قصة عمرو بن معاوية بكى، وقال له: «يا بن أخي، يحقن الله دمك، ويحفظك في حرملك، ويوفِّر عليك مالك»، ثم قال له: «ووالله، لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت»^(٥)، أي: إن سليمان منح الأمان لعمرو بن معاوية وأهله فقط، دون أن يكتب لأبي العباس السفاح، أو يستأذنه بالأمر.

فالرواية الثانية هي الأرجح لسبعين، الأول: أن الرواية الأولى يظهر فيها أن سليمان بن عليٍّ أعطاه الأمان، وتعهد بحقن دمه وماليه وعرضه، فما الداعي لمكتابته أبي العباس السفاح بعد ذلك، والسبب الثاني: أن السفاح كان متشدداً في ملاحقة الأمويين وقتلهم، واستمر على هذا النهج أخوه أبو جعفر المنصور؛ إذ لم يمض على الحكم الأموي زمانٌ يكفل للعباسيين التعاطف معهم، أو العفو عنهم، فكيف له أن يُحيِّب سليمان بن عليٍّ في منح الأمان؟! ليس لعمرو بن معاوية وأهله في البصرة فقط، بل الأمان عام لجميع الأمويين في كل مكان، فالأمان الذي منحه سليمان كان أماناً خاصاً، وإن البصرة كانت ملجاً آمناً وبعيداً عن أنظار السلطة العباسية أكثر من غيرها من البلاد، ويبدو أن سليمان كان متفهمًّا أكثر من غيره من العباسيين؛ لذلك لجأ إليه عمرو بن معاوية لحسن ظنه به، لهذا فقد أصبح محظوظاً في نظر بنى أمية؛ إذ جاء أن الحكم ومحمدًا وعمرو بن ي يوسف بن عمر،

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٤، ص ١٢٤.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٤، ص ٤٩٤-٤٩٥.

قدموا إلى البصرة، ونزلوا في بني سعد^(١) متخفّين، فشاع أمرهم، وسعوا بهم إلى سليمان بن عليّ، فأرسل إليهم، وطلب منهم أنْ يتخفّوا في الزُّطّ والاندغار^(٢)، أو في عبد القيس^(٣)، أو بني راسب^(٤)، وأطلق سراحهم^(٥).

أَوَّلُ مُصْنِعٌ لِصُنْعِ السُّفُنِ الْحَرْبِيَّةِ فِي الْبَصَرَةِ

ذُكِرَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَجْرَى فِي الْبَحْرِ السُّفُنَ الْمُقِيرَةَ الْمَسْمَرَةَ غَيْرَ الْمَحْزَزَةَ، وَالْمَدْهُونَةَ، وَغَيْرَ ذَوَاتِ الْجُؤْجُؤِ، هُوَ الْحَجَاجُ^(٦)، وَقِيلَ: إِنَّ السُّفُنَ كَانَتْ تُصْنَعُ مِنَ الْخَشْبِ، وَتُحَرَّزُ بِالْلَّيْفِ^(٧)، وَيُبَدَّوْ أَنَّ صَنَاعَةَ هَذِهِ السُّفُنِ كَانَ فِي الْبَصَرَةِ؛ إِذْ وَرَدَتْ إِلَيْهَا إِلَاقِعَاهَا مِنَ الْبَصَرَةِ فِي الرَّبِيعِ، ثُمَّ قَفَوْلَاهَا إِلَى الْبَصَرَةِ فِي الْخَرِيفِ، وَاسْتَخْدَامَهَا

(١) بنو سعد: إحدى بطون قبيلة تميم التي سكنت البصرة، وموضع بنو سعد في البصرة يكون عند الفرضة، وعند الجبل، يُنظر: العليّ، د. صالح أحمد، خطط البصرة ومناطقها، (مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد/١٩٨٦م): ص ٨٩، ٩٠.

(٢) الزُّطّ والاندغار، سيتّم التطرق إليهما في الفصل الرابع.

(٣) عبد القيس: أحد أخمس البصرة، ويبدو أن خططهم كانت عند نهر معقل ودار الرّزق، أي: في الأطراف الشّماليّة الشرقيّة من البصرة، يُنظر: د. صالح أحمد العليّ، خطط البصرة: ص ٩٦.

(٤) بنو راسب: من بطون قبيلة الأزد في البصرة، وخططتهم قريبة من خطط أهل العالية، وخطط الأزد كانت في الأطراف الجنوبيّة الغربيّة من البصرة، د. صالح أحمد العليّ، خطط البصرة: ص ٩٧، ١٠٠.

(٥) البلاذريّ، أنساب الأشراف: ج ٤، ص ١٢٤-١٢٥.

(٦) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتّبيين، (تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب - بيروت / د.ت): ج ١، ص ٣٦٤.

(٧) العليّ، د. صالح أحمد: التّنظيمات الاجتماعيّة والاقتصاديّة في البصرة في القرن الأوّل الهجريّ، (ط ٢، دار الطّليعة - بيروت / ١٩٦٩م): ص ٢٧٤.

في غزو الدّيبل^(١)، والهند^(٢)، وكانت الأُبْلَة ميناءً للسُّفن البحريّة^(٣).

إلا إنّ أول إشارة صريحة لإنشاء مصنع لصناعة السُّفن الحربيّة في البصرة كان في سنة (١٤١ هـ / ٧٥٨ م)، فقد أنشأ أبو جعفر المنصور العُبَّاسي مصنعاً في منطقة سليمانان^(٤)، وكان يُقيم فيها والي البحر الذي عُهِدَ إليه مهمّة محاربة لصوص البحر، الذين كانوا يُمارسون القرصنة البحريّة، ولصوص البحر من الميد، وهم أقوام هنديّة كانت تقطن نهر مهران^(٥) في منطقة السّند^(٦).

أول ثورة قام بها العلوّيون في البصرة سنة (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م)

أصبحت البصرة موطناً للمناوئين والمعارضين للحكم العُبَّاسي، فكان فيها معارضونٌ شيعة، قيل: إنّهم كانوا يجتمعون في منزل امرأةٍ من عبد القيس، يُقال

(١) الدّيبل: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند. ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٣١.

(٢) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعيّة والاقتصاديّة: ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٣) الطبرّي، تاريخ: ج ٢، ص ٥٥٤.

(٤) سليمانان: قطيعة لعيبد بن نشيط صاحب الطّواف أيام الحجّاج، فرابط به رجل من الزّهاد يُقال له: سليمان بن جابر، فنسب إليه، وهي مدينة على ضفة نهر دجلة، يُنظر: الإدريسي، محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠ هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ط ١، عالم الكتب - بيروت / ١٩٨٩ م): ج ١، ص ٣٩٩؛ وياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤٤.

(٥) مهران: موضع لنهر السّند وهو نهر عظيم تجري به السُّفن، ويُسقي بلاًداً كثيرة، ويصبُ في البحر عند الدّيبل. ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ج ٨، ص ٣٤٦.

(٦) ناجي، د. عبدالجبار، من تاريخ البصرة السياسي، إسهامات البصريين العسكريّة وصمودهم إزاء التّحدّيات في التاريخ الإسلاميّ، (مطبعة دار الحكمة - جامعة البصرة / ١٩٩٠ م): ص ٦٠، ٥٩.

لها: (مارية بنت سعد)، وكانت تتشيّع، وأصبح منزلها مقراً لجتمع فيه الشّيعة^(١)، وربّما كان اجتماعهم في بيت مارية كونه يقع في مكان غير ملتفٍ للأنظار، فضلاً عن كونه بيت امرأة، وربّما كان البيت كبيراً يُتسع لعقد الاجتماعات فيه.

ولاشك في أنَّ وجود الشّيعة في البصرة كان قد شجّع إبراهيم بن عبد الله الحسني^(٢) في التوجّه نحو البصرة؛ ليتخذ منها مقرّاً لحركته السّرية المناوئة للعبّاسيين، ومن ثم الشّروع بالثورة ضدّهم، فقد توجّه إبراهيم إلى البصرة أول سنة (٤٣ هـ / ٧٦٠ م)^(٣)، فأقام مستتراً، وهو يكاتب الناس ويدعوهم إلى طاعته^(٤)، ونزل عند يحيى بن زياد ابن حسان النّبطي^(٥)، ثم نزل في بني ضبيعة^(٦)، في دار الحارث بن عيسى^(٧)، فكان

(١) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ٣٨٦.

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب رض، أحد الأمراء الأشراف الشّجعان، خرج في البصرة على أبي جعفر المنصور، وسير الجموع إلى الأهواز وفارس وواسط، وهاجم الكوفة، قتلها حميد بن قحطبة سنة (٤٥ هـ). الزّركلي، الأعلام: ج ١، ص ٤٨.

(٣) يُنظر: الطبرى، تاريخ: ج ٦، ص ٢٤١.

(٤) يُنظر: اليعقوبى، تاريخ: ج ٢، ص ٣٧٦.

(٥) يحيى بن زياد بن حسان، النّبطي، لم نعثر على ترجمة له، وتوجد ترجمة لأبيه زياد بن حسان، النّبطي، يُنظر: البخارى، أبو عبد الله، إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ)، التّاريخ الكبير، (المكتبة الإسلامية، ديار بكر - تركيا / د.ت): ج ٣، ص ٣٥.

(٦) بنو ضبيعة: إحدى بطون قبيلة بكر بن وائل في البصرة، وكانت خطط بكر في شرقى وشمال شرق المسجد الجامع، وهي قريبة من خطط الأزرد، يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ٩٣، ٩٤.

(٧) لم نعثر على ترجمة له، وورد ذكر الحارث بن عيسى الذي كان في دمشق حينها ثار عليٌّ بن عبد الله، الأُموي، السّقiano، الملقب بأبي العميطر سنة (١٩٥ هـ)، وثورة مسلمة بن يعقوب من سلالة مسلمة بن عبد الملك، المروانى، الأُموي، في إطار دمشق وحوران، فقضى عليهم زعيم

أول من بايعه نُميلة بن مرّة، العشمي^(١)، وعفو الله بن سفيان^(٢)، عبد الواحد بن زياد^(٣)، عمرو بن سلمة، الهجيمي^(٤)، عبد الله بن يحيى بن حصين، الرّقاشي^(٥)، وندبوا الناس، فأجابهم خلق كثير^(٦)، وشهر امره، فقالوا له: «لو تحولت إلى وسط البصرة أتاك الناس، وهم مستريحون»، فتحول إلى دار أبي مروان مولىبني

القيسية ابن بيهم، وأقام الدّعوة للّمأمون، يُنظر: الْرِّكْلِيُّ، الأعلام: ج٤، ص٣٠٣؛ وكان الحارث بن عيسى ممن خرج إلى صور لـهرب مسلمة وأبي العميطر، فلم يزل كذلك حتّى قدم عبد الله بن طاهر دمشق، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج٥، ص٣١.

(١) نُميلة بن مرّة بن عبد العزّى بن بشر بن أوس بن عمرو بن حابس بن مؤلة، كان على شرطة إبراهيم بن عبد الله الحسني أيام قيامه في البصرة، يُنظر: ابن حزم الأندلسي، عليّ بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ)، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٨٣ م): ص١٤٧.

(٢) عفو الله بن سفيان، التّقّي، تولّ خراج الأهواز من قبل إبراهيم الحسني حينما غلب على البصرة. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٣٢.

(٣) عبد الواحد بن زياد، أبو بشر الثّقفي، وهو مولى عبد القيس، مات سنة (١٧٧ هـ) في أيام حكم هارون، يُنظر: ابن سعد، الطّبقات: ج٧، ص٢٨٩.

(٤) عمرو بن سلمة بن الحكم بن هنيك، من ولد الهجيم بن عمرو بن قيم، كان مع إبراهيم الحسني، فقتله عقبة بن سلم، وولَدَ الهجيم بن عمرو (عمرو بن الهجيم، سعد بن الهجيم، عامر بن الهجيم، ربعة بن الهجيم، وأنمار بن الهجيم)، يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٥٩، ٦٠.

(٥) عبد الله بن يحيى بن حصين، الرّقاشي، يبدو أنه كان أحد القادة، وذكر أنه كان مع نصر ابن سيار حينما وصل إليه كتاب أبي مسلم الخراساني، فانضم إلى العباسيين، يُنظر: مجهول، مؤلف، أخبار الدولة العباسية، (تحقيق: د. عبد العزيز الدّوري، ود. عبد الجبار المطّبّي، دار صادر-بيروت/د.ت): ص٢٨٦.

(٦) يُنظر: الطّبرّي، تاريخ: ج٦، ص٢٤٥؛ وابن الأثير، الكامل: ج٥، ص١٦٩.

سليم في مقبرة بني يشكر، ودعا الناس إلى بيعة أخيه^(١)، وقد تمكّن العباسيون من قمع الثورة وقتل أغلب كبار قادتها، بما فيهم إبراهيم بن عبد الله الحسني^(٢).

أولُ من دَخَلَ البَصْرَةَ وَاسْتَوَى عَلَيْهَا مِنَ الْقَرَامِطَةِ^(٣) (٩٢٣ هـ / ١١٣٥ م) بدأ خطر القرامطة يهدّد البصرة منذ عام (٨٩٩ هـ / ٢٨٦ م)؛ إذ ظهر أبو سعيد الجنابي، القرمطي^(٤) أنه يُريد البصرة بعد أن سيطر على البحرين والقطيف، وفي

(١) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٥، ص ١٦٩؛ وابن كثير، البداية والنهاية: ج ١٠، ص ٩١.

(٢) للمزيد من التفاصيل، يُنظر: ابن شبة النميري، عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ)، أخبار البصرة، (جمع ودراسة وتحقيق: د. سلمى عبد الحميد الهاشمي، مراجعة وتدقيق وضبط: مركز تراث البصرة / العتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل للطباعة والنشر، ٢٠١٥ م): ص ٣٩٩-٤١١؛ وأبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص ٢١٢-٢٣٢.

(٣) القرامطة: نسبة إلى رجلٍ يُقال له: حمدان قرمط، لقب بذلك لقرمطة في خطّه، وكان في ابتداء أمره أكّاراً من أكرة سواد الكوفة، والقرامطة طائفه قالت بإمامته محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ؓ ظاهراً، وبالإلحاد وإبطال الشريعة باطنًا؛ لأنّهم يحلّلون أكثر المحرمات، يُنظر: البغدادي، أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ)، الفرق بين الفرق، (٢، دار الآفاق الجديدة- بيروت / ١٩٧٧ م): ج ١، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ والمازندراني، الشيخ محمد صالح الحائرى (ت ١٠٨١ هـ)، شرح أصول الكافي، (تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراوى، صحّحه: السيد علي عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي- بيروت / ٢٠٠٠ م): ج ٧، ص ٣٤٥.

(٤) أبو سعيد الجنابي: هو أبو الحسن بن بهرام، كثیر القرامطة، ظهر بالبحرين سنة (٢٨٦ هـ)، واجتمع عليه جماعة من الأعراب والقرامطة، وقوي أمره، وقيل: إنه كان يبيع الطعام للناس، قُتل سنة (٣٠١ هـ). الصّفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤ هـ)، الوافي بالوفيات (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي- بيروت / د.ت): ج ١، ص ٣١٤.

سنة (٢٨٨ هـ / ٩٠١ م) اقترب أصحاب أبي سعيد الجنابي من البصرة، فخاف أهلها، وهموا بالهرب، إلا إن متولى البصرة أحمد بن محمد بن يحيى الواقعي^(١)، منعهم من الهروب^(٢).

لم يتمكن القرامطة من دخول البصرة إلا في سنة (٩٢٣ هـ / ١١١ م)، فدخلها أبو طاهر، سليمان بن أبي سعيد القرمي^(٣)، ليلاً في (٧٠٠، ١) رجلاً، ومعه السلام، فوضعوها على سور البصرة، وتمكنوا من فتح الباب، وقتلوا الموكلين بحراسته، وكان على البصرة -آنذاك- (سبك المفلحي)^(٤)، ولم يعلم أنهم القرامطة، بل اعتقاد أنهم عرب تجمعوا، فركب إليهم ولقيهم، فقتلواه، ووضعوا السيف في أهل البصرة^(٥).

(١) أحمد بن محمد بن يحيى، أمير البصرة، لقب بالواقعي نسبة إلى الحاكم العباسى الواقى؛ إذ كان أبوه محمد بن يحيى مقرباً من الواقى، وكان أخصّهم به، وقيل: إن الواقى أصطنعه وقربه واختص به حتى لقبه الواقعي باسمه، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٤، ص ٢٠-٢١.

(٢) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٦، ص ٣٩٦، ٤٠٨.

(٣) أبو طاهر، سليمان بن الحسن بن بهرم الجنابي، عهد أبوه إمرة زعامة القرامطة سنة (٣٠١ هـ) إلى أخيه سعيد، فعجز عن الأمر، فغلبه سليمان، وأغار على بعض أنحاء البلاد الإسلامية، كالبصرة، والكوفة، ومكة، وعاد إلى هجر، وهناك مات بالجدرى سنة (٣٣٢ هـ)، الزركلي، الأعلام: ج ٣، ص ١٢٣.

(٤) سبك المفلحي تولى البصرة نيابة عن شفيع المقتصري سنة (٣٠٥ هـ)، قتله القرامطة سنة (٣١١ هـ). ابن الأثير، الكامل: ج ٦، ص ٤٩٧، ج ٧، ص ١٥؛ وذكره القرطبي باسم (سبك الطولوني)، ينظر: القرطبي، عريب بن سعد (ت ٣٢٠ هـ)، صلة تاريخ الطبرى، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت/ د.ت): ص ٥٣.

(٥) المدائى، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ)، تكملة تاريخ الطبرى، (تحقيق: ألبرت يوسف

أول أسرة حكمت البصرة وأطرافها بالوراثة (٣٢٠-٥٣٣٥هـ/٩٤٦-٦٣٢م)

عُرفت البصرة حكومة شبه مستقلّة، ففي أوائل القرن الرابع الهجريّ / العاشر الميلاديّ، حكمت أُسرة آل البريديّ، وهم أربعة أخوة: (أبو عبد الله محمد، وهو الأخ الأكبر، وأبو عبد الرحمن محمد، الذي قوي نفوذه حتّى إنه هدّد المتّقي بالله العباسيّ في بغداد، وأبو يوسف، يعقوب بن محمد، وأبو الحسين، عبد الله بن محمد). وقد حكم البريديّون كلاً من: البصرة، والأهواز، وواسط، حتّى بلغوا أطراف بغداد، وامتدّ حكمهم من سنة (٣٢٠هـ/٦٣٢م)، ولغاية (٥٣٣٥هـ/٩٤٦م)^(١).

أول من ملك البصرة من البويعيين (٥٣٣٦هـ/٩٤٧م)

تمكنَ المطیع لله العباسيّ من استعادة البصرة من البريديّين بمساعدة البويعيين، فذُكر أنَّ المطیع انحدر سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) مع معز الدولة البويريّ^(٢)، لمحاربة

كنعان، ط٢، المطبعة الكاثوليكيّة-بيروت/١٩٦١م): ج١، ص٤٠؛ وابن الأثير، الكامل: ٧، ص١٥؛ والذهبیّ، أبو عبد الله، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)، العبر في خبر من عبر، (تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط٢، مطبعة حكومة الكويت/١٩٨٤م): ج٢، ص١٥٣؛ وابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف الأتابكيّ (ت٨٧٤هـ)، التّجوم الزّاهرة في أخبار مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ-مصر/د.ت): ج٣، ص٢٠٧-٢٠٨؛ وابن العهاد الخنبليّ، أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دار بن كثیر-دمشق/١٤٠٦هـ): ج٢، ص٢٦١.

(١) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج٧، ص١٧١، ١٧٥-١٧٦. ٢٢١.

(٢) معز الدولة: أحمد بن بویه بن فناخسرو بن ثما، من سلالة سابور ذي الأكتاف، السّاسانيّ، من ملوك بني بویه في العراق، يقال له: الأقطع؛ لأنَّ يديه قُطعت في معركة مع الأكراد، توَّلَ كرمان وسجستان والأهواز، ثمَّ امتلك بغداد سنة (٣٣٤هـ)، ودام حكمه (٢٢) سنة إلَّا شهرًا، توفّي في بغداد سنة (٣٣٥هـ). الزِّركليّ، الأعلام: ج١، ص١٠٥.

البريديين، وسار من واسط إلى البصرة، فاستولى معز الدولة على البصرة^(١).
وقيل: إن معز الدولة حينها دخل البصرة ووصل إلى الدرهمية، استأمن إليه
جيش أبي القاسم بن أبي عبد الله، البريدي^(٢)، وهرب أبو القاسم إلى هجر^(٣)
والتجأ إلى القرامطة، وملك معز الدولة البصرة^(٤).

أول غارات الأعراب على البصرة ونهبهم لها أيام السلاجقة سنة
(١٠٩٠هـ / ١٠٩٠م)

تعرضت البصرة في جمادى الأولى سنة (١٠٩٠هـ / ١٠٩٠م) للنهب والسلب
من قبل رجل أشقر من سواد النيل^(٥)، يدعى الأدب والنجم، ظهر في بغداد،

(١) الهمданى، تكملة تاريخ الطبرى: ج ١، ص ٦٠؛ وذكر ابن الأثير: أن استياء معز الدولة
على البصرة كان سنة (٣٣٥هـ)، يُنظر: الكامل في التاريخ: ج ٧، ص ٢٢١.

(٢) أبو القاسم بن أبي عبد الله، البريدي هو الذي توأط مع الدليم والأتراك للإيقاع بعمّه
أبي الحسين، فعقدت الرئاسة له في البصرة سنة (٣٢٢هـ)، وحينما شعر عمّه بعدم قدرته على
استرجاع البصرة، عقد معه صلحاً حصل بموجبه على الأمان، وبقي أبو القاسم في البصرة
حتى تمكّن معز الدولة البوهيمى من السيطرة على البصرة سنة (٣٣٦هـ)، وفي سنة (٣٣٧هـ)،
طلب أبو القاسم الأمان، ودخل بغداد، يُنظر: مسکویه، احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تجارب
الأمم، (تحقيق: د. أبو القاسم إمامي، ط ١، دار سروش للطباعة والنشر / ٢٠٠٠م): ج ٦،
ص ٩٢، ١٤٣، ١٤٦.

(٣) هجر: قاعدة البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلّها هجر. ياقوت الحموي، معجم البلدان:
ج ٨، ص ٤٦٩.

(٤) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٧، ص ٢٢١؛ وابن تغري بردي، التّجوم الراهنة: ج ٣،
ص ٩٢٥.

(٥) النّيل: بلدية في سواد الكوفة قرب حلة بنى مزيد، يخترقها خليج كبير حفره الحجاج،
وسماه بنيل مصر. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٨، ص ٤٢٥.

فلقبه أهل بغداد (تليا)، فقد روي: أنه توجّه إلى أحد أمراء العرب من بنى عامر في الأحساء^(١)، وحسن له نهب البصرة وأخذها، فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف رجل، وقصد البصرة، وبها (العميد عصمة)، وليس معه من الجند إلا اليسير؛ لأنّ البصرة كانت آمنة -آنذاك-؛ ولأنّ الناس في جنّة من هيبة السلطان، فدخل الأعراب البصرة وملكوها، ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً، وأحرقوا عدة مواضع، ومن جملة ما أحرقوه داران للكتب بها نفائس الكتب، وخرّبْتْ وقف البصرة التي لم يكن لها نظير، من جملتها وقف على أعمال الدائرة على شاطئ دجلة، وكان فعل الأعراب بالبصرة أول خرق جرى أيام السلطان ملكشاه^(٢)، فلما وصل الخبر إلى بغداد، انحدر سعد الدولة كوهريين^(٣)، وسيف الدولة صدقة بن مزيد^(٤)، إلى البصرة؛ لإصلاح أمورها، فوجدوا العرب قد فارقوها، ثم إنّ (تليا)

(١) الأحساء: أحساء القطيف في طريق مكة، وأحساء البحرين معروفة مشهورة، كان أول من عمرها وحسنها وجعلها قصبة هجر، هو أبو طاهر، الحسن بن أبي سعيد، الجنابي، القرامطي، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٩٧.

(٢) السلطان ملكشاه: جلال الدولة، أبو الفتح، ملكشاه بن السلطان آل أرسلان محمد بن طغل بيك، السلاجوفي، التركي، تملّك بعد أبيه، وخُطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن مملكة الروم إلى اليمن، وافتتح حلب، ودانت له الدنيا، مات سنة (٤٨٥هـ). الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ١٩، ص ٥٥، ٥٧-٥٨.

(٣) سعد الدولة كوهريين: كان خادماً كبيراً محششاً، وي بغداد، وخدم ملوكها، ورأى ما لم يره من نفوذ الكلمة والعزّ، وكان حلبياً كريباً حسن السيرة، قتل سنة (٤٩٣هـ)، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٣٤، ص ٢٣.

(٤) صدقة بن منصور بن دليس، المزيدي، الأسيدي، أبو الحسن، سيف الدولة، أمير بادية العراق، وباني مدينة الحلة، أسكن بها أهله وعساكره سنة (٤٩٥هـ)، قُتل سنة (٥٠١هـ). الزركلي، الأعلام: ج ٣، ص ٢٠٣.

أخذ بالبحرين، وأرسل إلى السلطان، فشهَرَهُ ببغداد سنة (٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م) على جملٍ، وعلى رأسه طرطور^(١)، وهو يُصقَعُ بالدّرّة، والنّاس يشتمونه، ثم أمر به فصلب^(٢).

(١) الطّرطور: قلنسوة للأعراب طويلة دقّيقة الرّأس، يُنظر: الجوهرى، الصّاحح: ج ٢، ص ٧٢٦.

(٢) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٨، ص ٤٦٤ - ٤٦٥.



الفَصلُ الثَّانِي

الْأَوَالُ فِي الْجَانِبِ الإِدَارِيِّ

الفَصْلُ الثَّانِي

الأوائلُ في الجانبِ الإداريِّ

كان لمدينة البصرة الصّدارة في العديد من التنظيمات الإدارية، وكان لأهلها قصب السبق في استحداث بعض النظم، والعديد من الإسهامات في الجانب الإداريّ، التي انتقلت منها إلى مختلف أرجاء البلاد الإسلامية.

- أوائل الولاة

أولُّ وال على البصرة (١٤ هـ/٦٣٥ م)

بعد تصوير البصرة سنة (١٤ هـ/٦٣٥ م)، عهدَ عمر بن الخطاب ولاية البصرة لعتبة بن غزوان، المازني، فهو أولُّ مَنْ مَصَرَّها وتوَلَّ إدارتها^(١). وجاء أنَّ عمر حين بعث عتبة إلى البصرة، قال له في كتاب التولية: «إني قد استعملتُكَ على أرضِ الهند...، واتق الله فيها ولّيت»، إلى أنْ يقول: «انطلق أنتَ ومَنْ معكَ، حتّى إذا كُشِّمْتُ أقصى أرض العرب وأدْنَى أرض العجم، فاقِيمُوا»^(٢)، ويظهر في نصّ كتاب التولية أنَّ عتبة بن غزوan جمع بين القيادتين: الإدارية، والعسكرية.

أولُّ خطبة ألقاها أولُّ وال على البصرة

حينما فتح عتبة بن غزوan البصرة ومَصَرَّها، وتوَلَّ إدارتها، خطب في أهلها

(١) يُنظر: ابن قتيبة الدِّينوريّ، المعارف: ص٥٦٣؛ وابن الجوزيّ، المتنظم: ج٤، ص٢٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل: ج٢، ص٣٣٣.

خطبة تُعدُّ أَوَّل خطبة خطبها أميرٌ في البصرة، تحمل مضامين وعظية؛ إذ أشار فيها إلى نعم البارئ -عز وجل- عليه، حتى صار أميراً على البصرة، بقوله: «الحمدُ لله، أَحَمَدُه وَأَسْتَعِنُهُ، وَأَؤْمِنُ بِهِ، وَأَتُوكَلُ عَلَيْهِ، وَأَشَهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ: أَيَّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا قُدْرَةٌ حَذَّاءٌ، وَآذَنْتُ أَهْلَهَا بِوَدَاعٍ، فَلَمْ يَقِنْ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةُ الْإِنْاءِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ تَارِكُوهَا لَا مَحَالَةٌ، فَاتَّرَكُوهَا بِخَيْرٍ مَا بِحُضْرَتِكُمْ، أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْعَجْبِ أَنْ يُؤْتَى بِالْحَجَرِ الضَّخْمِ، فَيُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فِيهِوْيِ سَبْعِينَ عَامًا حَتَّى يَلْغَى قُرْهَا، وَاللَّهُ لِتُمَلَّأَنَّ، أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْعَجْبِ، أَنَّ لِلْجَنَّةِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، عَرَضَ مَا بَيْنَ جَانِبِيِ الْبَابِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ عَامًا، وَأَيْمُ اللَّهِ لِتَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا سَاعَةً وَهِيَ كَظِيْفَةٌ مِنَ الرَّحْمَانِ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ- سَابِعَ سَبْعَةِ مَالِنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرْقُ الشَّامِ وَشَوْكُ الْفَنَاءِ، حَتَّى قَرَحْتُ أَشْدَاقَنَا^(١)، وَلَقَدْ التَّقَطَتُ بُرْدَةٌ^(٢) يَوْمَئِذٍ، فَشَقَقَتْهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ^(٣)، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَا مَنَّ أَيُّهُ الْرَّهَطُ السَّبْعَةُ إِلَّا أَمِيرٌ عَلَى مَصْرٍ مِنْ

(١) قَرَحَتْ أَشْدَاقَنَا: أي: تَجَرَّحَتْ أَفْوَاهُهُمْ مِنْ خُشُونَةِ الْوَرْقِ وَحِرَارَتِهِ، وَالشَّدَقُ جَانِبُ الْفَمِ، يُنْظَرُ: الصَّالِحِيُّ، الشَّامِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ (ت ٩٤٢ هـ)، سُبْلُ الْمَهْدِيِّ وَالرَّشَادِ، (تَحْقِيقُ: الشَّيْخُ عَادِلُ أَحْمَدُ عَبْدُ الْمُوْجُودِ، وَالشَّيْخُ عَلِيُّ مُحَمَّدُ مَعْوِضٍ، ط١، دَارُ الْكِتَابِ الْعَلْمِيَّةِ-بَيْرُوت٢٠٩٣ م): ج٦، ص١٨٢.

(٢) الْبُرْدَةُ كَسَاءُ يُلْتَحَفُ بِهِ، وَقِيلَ: إِذَا جُعِلَ الصَّوْفُ شَقَّةً وَلِهِ هَدْبٌ، فَهُوَ بُرْدَةٌ، وَجَمِيعُهَا بُرْدٌ، وَهِيَ الشَّمْلَةُ الْمَخْطَطَةُ، يُنْظَرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: ج٣، ص٨٧.

(٣) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، وَأَبُو وَقَاصٍ مَالِكُ بْنُ أَهْيَبٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، مِنْ بَنِي زَهْرَةٍ بْنِ كَلَابٍ، يُكَنِّي بِأَبِي إِسْحَاقٍ، شَهَدَ بِدْرًا، وَهُوَ الَّذِي افْتَحَ الْقَادِسِيَّةَ، وَنَزَلَ الْكُوفَةَ وَأَخْتَطَهَا، وَوَلَيْهَا لَعْنَ وَعْنَانَ، ثُمَّ عَزَّلَهُ عَثَانَ عَنْهَا، فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَهَاتَ فِي قَصْرِهِ بِالْعَقِيقَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعَ سَنَةٍ (٤٥ هـ)، وَقِيلَ (٥٥ هـ)، يُنْظَرُ: ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَّقَاتِ: ج٦، ص١٢-١٣.

الأوصار...»^(١).

أولٌ والٍ في البصرة عُوقب بالعزل

ذُكِرَ أنَّ أَوْلَى وَالِّيَّ فِي الْبَصَرَةِ عُوقَبَ بِالْعَزْلِ هُوَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ^(٢)؛ لِأَرْتَكَابِهِ جُرْيَمَةِ الزِّنَا^(٣)؛ إِذْ كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى امْرَأَةٍ بَغَيَّ تُدْعِي: أُمُّ جَيْلٍ، وَشَهَدَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ شَهُودٌ رَأَوْهُ يَرْتَكِبُ الْجُرْيَمَةَ، بَيْنَمَا تَوَقَّفُ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ أَبِيهِ، فَدُرِئَتْ عَنْهُ عَقْوَبَةُ الرِّجْمِ، إِلَّا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ عَزَّلَهُ عَنْ وَلَايَةِ الْبَصَرَةِ سَنَةَ ٦٣٨/١٤٦ هـ^(٤).

أولٌ والٍ للأمويين في البصرة

أَوْلُ مَنْ تَوَلَّ الْبَصَرَةَ مَعاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفِيَانَ (٤١/٦٦١ هـ) هُوَ بُشَّرُ بْنُ أَرْطَاءَ^(٥)،

(١) ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٦-٧، ووردت الخطبة بألفاظ مختلفة قليلاً، يُنظر: الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد (٣٦٠ هـ)، المعجم الأوسط، (تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين ١٩٩٥ م): ج ٥، ص ٢٨٩؛ وابن الجوزي، صفة الصفة: ج ١، ص ٣٨٧-٣٨٩، وابن الأثير، الكامل: ج ٢، ص ٣٣٥.

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر، التّنفّي، وله عمر البصرة، ثم عزله وولاه الكوفة، وأقرَهُ عليها عثمان، توفي سنة (٥٥٠ هـ)، وقيل (١٥٥ هـ)، يُنظر: التّوسي، تهذيب الأسماء واللغات: ج ٢، ص ٤١٢-٤١٣.

(٣) سيُتمُّ التّطرق إلى جريمة الزِّنا لاحقاً في (أول من ارتكب جريمة الزِّنا).

(٤) الجوهرى، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز (ت ٣٢٣ هـ)، السّقيفة وفديك، (جمع وتحقيق: د.الشيخ محمد هادي الأميني، ط ٢، شركة الكتبية للطباعة والنشر-بيروت ١٩٩٣ م): ص ٩٤.

(٥) بسر بن أرطاء، واسم أبي أرطاء: عمير بن عويمر بن عمران، القرشيُّ، العامريُّ، أبو عبد الرحمن، شهد فتح مصر، وكان من شيعة معاوية، بعثه إلى اليمن والحجاز أول سنة (٤٠ هـ)، مات أيام معاوية، وقيل: أيام عبد الملك، أو الوليد سنة (٨٦ هـ). ابن حجر العسقلاني، الإصابة:

فقدم البصرة، وخطبَ على منبرها، وشَّتَّم الإمام علياً^(١).

أولُ مَنْ جُمِعْتُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَا الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ -العراقان- (٥٥٠ / ٦٧٠ هـ)

أجمعَتُ المصادر أنَّ زياد بن أبيه هو أولُ من جُمعَتْ إِلَيْهِ وَلَا يَتَا الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ، سنة (٥٥٠ هـ / ٦٧٠ م)^(٢)، فكان زياد يُقيم ستة أشهرٍ في البصرة، وستة أشهرٍ في الكوفة، وحينما يكون بالكوفة كان يستخلف على البصرة سمرة بن جندب^(٣)، لينوبَ عنه في إدارتها^(٤)، وانفرد المقدسي بالقول: إنَّ المغيرة بن شعبة هو أولُ مَنْ جُمِعْتُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَا الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ^(٥).

ج ١، ص ٤٢٢.

(١) يُنظر: ابن الجوزي، المتنظم: ج ٥، ص ١٨٦؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ٢٧٨.

(٢) يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ: ج ١، ص ١٥٨؛ وابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص ٣٤٦، ٣٤٩؛ وابن واليعقوبي، تاريخ: ج ٢، ص ٢٢٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٥، ص ٣٦٧؛ وابن الجوزي، المتنظم: ج ٥، ص ٢٢٤؛ وابن شاكر الكتبى، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ)، فوات الوفيات، (تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت / ١٩٧٤ م): ج ٢، ص ٣٢؛ والبسنوى، محاضرة الأوائل: ص ٨٩.

(٣) سمرة بن جندب بن هلال بن جريج، الفزارى، نزل البصرة، واستخلفه زياد عليها، توفيَ سنة (٥٥٩ هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٤٩؛ وابن حبان البستى، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤ هـ)، مشاهير علماء الأمصار، (تحقيق: مروزق على إبراهيم، ط ١، المنصورة / ١٤١١ هـ): ص ٦٧.

(٤) يُنظر: الطبرى، تاريخ: ج ٤، ص ١٧٤؛ وأبو هلال العسكرى، الأوائل: ص ٢٤٠؛ وابن الجوزي، المتنظم: ج ٥، ص ٢٢٤؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ٣١٧.

(٥) المقدسى، المظھر بن طاهر (ت ٣٥٥ هـ)، البدء والتاريخ (مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد/ د.ت): ج ٦، ص ٢؛ وينظر: النويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)، نهاية الأربع في فنون الأدب، (مطبعة كوستاتسوماس، القاهرة/ د.ت): ج ٥، ص ٤١١.

أول وال للعباسيين في البصرة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م)

عند مجيء العباسيين للحكم كان أول وال على البصرة سفيان بن معاوية، المهلبيُّ، الذي عيّنَ من قبل أبي العباس السفّاح سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م)^(١)، وقيل: إن سفيان غالب على البصرة وسُود^(٢).

أما محمد بن سليمان بن علي^(٣)، فهو أول وال في البصرة زاد له هارون فيما كان يتولاه من أعمال البصرة (كور دجلة، البحرين، الغوص، عمان، اليمامة، كور الأهواز، وكور فارس)، ولم تُجمِع هذه لأحدٍ غيره^(٤).

أول أسرة سيطرت على إدارة ولاية البصرة سنة (٩٣٢ هـ / ٥٣٢ م) تُعدُّ أسرة آل البريدي -المذكورة آنفاً- أول أسرة سيطرت على حكم ولاية البصرة؛ إذ شمل حكمُهم -فضلاً عن البصرة- كلاً من: الأهواز، وواسط، من سنة (٩٣٢ هـ / ٥٣٢ م)، ولغاية (٩٤٦ هـ / ٥٣٥ م)^(٥).

أول من تولى منصب (عميد) في البصرة

خلال حقبة التسلط السُّلُجُوقِي (٤٤٧-٤٤٧ هـ / ١٠٥٥-١١٩٣ م)، تم استحداث وظيفة (العميد)، ومهمته الإشراف على النواحي الإدارية والمالية،

(١) يُنظر: الطبراني، تاريخ: ج ٦، ص ١١١؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٥، ص ٨٧.

(٢) يُنظر: اليعقوبي، تاريخ: ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، كان عظيمَ أهله، وجليل رهطه، ولي البصرة أيام المهدى، وأقرَّه الرشيد، وزاد في عمله، توفي سنة (١٧٣ هـ) عن عمرٍ ناهز (٥١) سنة، يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ: ج ٢، ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٤) يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ: ج ٢، ص ٣٨٦.

(٥) يُنظر: الهمداني، تكملة تاريخ الطبراني: ج ١، ص ٩٩.

فكان أَوَّلَ مَنْ تقلّد هذه الوظيفة في البصرة سنة (٤٧٥هـ / ١٠٨٢م) – وقيل سنة (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) – هو العميد (عصمة)، فكان حاكِماً على البصرة من قبل السلاجقة^(١).

- أَوَّلُ النُّظم الإِدارِيَّةِ فِي البَصْرَةِ

كان لبعض ولاة البصرة السَّبق في مجال التنظيم الإِدارِيِّ ليس في البصرة فحسب، بل في العالم الإسلاميّ – أيضاً – وهي كالآتي:

أَوَّلُ وَالْأَهْتَمُ بِتَنْظِيفِ طُرُقَاتِ الْبَصْرَةِ وَأَحْيائِهَا

ذُكِرَ أَنَّ الْوَالِيَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعُرِيَّ (٦٣٨هـ / ١٧٢م)^(٢)، أَوَّلُ مَنْ اهتمَ بِتَنْظِيفِ طُرُقَاتِ الْبَصْرَةِ مِنَ الْأَوْسَاخِ، وَهَذِهِ الإِشارةُ هِيَ الْأَوْلَى بِشَأنِ الْإِهْتَمَامِ بِأَمْرِ تَنْظِيفِ الطُّرُقَاتِ، لَيْسَ فِي الْبَصْرَةِ فَقَطُّ، بَلْ فِي أَرْجَاءِ الْبَلَادِ إِلَيْهَا؛ إِذْ رُوِيَ بِهَذَا الشَّأْنِ قَوْلُ الْأَشْعُرِيِّ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ، حِينَما قَدِمَ إِلَيْهِمْ: «بَعْثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ... وَأَنْظِفْ طَرَقَكُمْ»^(٣).

أَوَّلُ وَالْأَهْتَمُ بِعِمَالَةِ لِتَنْظِيفِ طُرُقِ الْبَصْرَةِ

أَبْدَى زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ اهْتِمَاماً بِنَظَافَةِ الْبَصْرَةِ، فَأَصْدَرَ أَمْرًا يَقْضِي بِضُرُورَةِ تَنْظِيفِ

(١) ابن الأثير، الكامل: ج ٧، ص ١٧١، ١٧٥ – ١٧٦، ٢٢١.

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر، ولِي البصرة لعمر وعثمان، ثم ولِي الكوفة، توفي بالكوفة سنة (٥٠هـ)، أو (٥١هـ). ابن خياط، الطبقات: ص ٣٤٣.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢، ص ٦٩؛ والمتقي الهندي، علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال، (تحقيق: الشيخ بكر حياني، مؤسسة الرسالة – بيروت / ١٩٨٩م):

ج ٥، ص ٦٩٣.

ما بين فناء الدّور من الطّين بعد المطر، ومنْ لمْ يفعل ذلك يُلقى الطّين في محلّته^(١)، فأخذ الناس بتنظيف طرقهم من القدر والكنسات، ثمَّ إنَّه اشتري عبيداً، وأوكل إليهم مسؤولية التنظيف^(٢)، فكان زياد أوّل من استخدم عمّا لا لتنظيف طرق البصرة.

أوّل من أنشأ ديواني الخاتم^(٣) والزّمام^(٤)

نظراً إلى ظهور حالات التزوير في الكتب الرسمية، فقد ذُكر: أنَّ معاوية هو أوّل من أنشأ ديوان الخاتم، على أثر تزوير في رسالة بعثها لزياد يأمره فيها بإعطاء حامل الرسالة مائة ألف درهم، فبدل حاملها مقدار المبلغ إلى مائتي ألف درهم^(٥)، إلا إنَّ

(١) المحْلَب: الإناء يُحْلَب فيه، يُنظر: ابن فارس، أبو الحُسين بن فارس بن ذكريّا (ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي / ١٤٠٤ هـ): ج ٢، ص ٩٥؛ وربما يُقصد بـالقاء الطّين في فناء داره.

(٢) يُنظر: البلاذريُّ، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٤٤.

(٣) ديوان الخاتم: ذُكر أنَّ الكُتاب القائمين على إإنفاذ كتب السلطان، يختتمون عليها إما بعلامة، أو بالخرم، ويُطلق اسم الديوان على مكان جلوس أولئك الكتاب، يُنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ): تاريخ ابن خلدون، (ط ٥، دار القلم - بيروت / ١٩٨٤ م): ج ١، ص ٢٦٦.

(٤) ديوان الزّمام: ديوان يُشرف ويراقب على بقية دواوين الدولة؛ إذ إنَّ الكتاب الذي يوضع عليه الخليفة يتمُّ تحويله إلى ديوان التّوقيع -الذي يتولّ تأشير الكتب التي يُهمّش عليها الخليفة- لتدقيق ذلك التّوقيع، وبعد حفظ نسخة منه، يتمُّ تحويله إلى ديوان الزّمام من أجل التّدقيق والفحص، ويتوالّ ديوان الزّمام مهمّة تبويب ذلك الكتاب، وتحديد الجهة التي يُمكن أنْ تتولّ التّصرّف به، وتتنفيذ ما جاء فيه. التّنويحيُّ، أبو عليّ، المحسن بن عليّ (ت ٣٨٤ هـ)، نشور المحاضرة وأخبار المذاكرة، (تحقيق: عبد الشّالجي المحامي / ١٩٧٣ م): ج ٨، ص ٣٥.

(٥) يُنظر: الطّبريُّ، تاريخ: ج ٤، ص ٢٤٤.

هناك مَنْ أَكَدَ أَنَّ زِيادًاً هُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَحْدَثَ دِيوانَ الْخَاتِمِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ أَنْشَأَ الْخَاتِمَ وَدِيوانَ الزَّمَامِ كَمَا كَانَتِ الْفَرْسَ تَفْعَلُهُ، فَقُدْمُ كَانَ الْمَلِكُ مِنْ مُلُوكِ فَارِسٍ يَجْعَلُ لَهُ خَاتَمًاً لِلْسَّرِّ، وَخَاتَمًاً لِلرَّسُلِ، وَخَاتَمًاً لِلتَّخْلِيدِ، يَخْتُمُ بِهِ السُّجَالَاتِ وَالْإِقْطَاعَاتِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَبِ، وَخَاتَمًاً لِلْخَرَاجِ، فَكَانَ صَاحِبُ الزَّمَامِ يُلِيهَا، وَرِبَّهَا أَفْرَدٌ بِخَاتِمِ السَّرِّ وَالرِّسَائِلِ رَجُلٌ مِنْ خَاصِّهِ الْمَلِكِ^(١).

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ زِيادًاً هُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَحْدَثَ دِيوانَ الْخَاتِمِ وَالزَّمَامِ فِي الْبَصْرَةِ، وَرِبَّهَا يَكُونُ قُدْمَ قَدْمٍ مِنْهَا مِنَ الْدِيَوَانِيِّينَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ خَاصِّهِ وَثَقْتِهِ، وَرِبَّهَا يَكُونُ مِنْ أَقْرَبَائِهِ، وَمِنْ أَنْصَارِ بْنِي أُمَّيَّةَ.

أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ الْكُتُبَ الرِّسْمِيَّةَ بِنُسْخَتِيْنِ

لَمْ يَكْتُفِ زِيادٌ بِإِنْشَاءِ تَلْكَ الدَّوَاوِينِ لِأَغْرَاضِ الْقِبْطِ الإِدارِيِّ وَمَنْعِ وَقْعِ التَّنْزِوِيرِ وَالتَّلَاعِبِ بِمَكَاتِبَاتِ وَلَاهِيَّةِ الْبَصْرَةِ الْمُهَمَّةِ، وَإِنَّمَا أَمْرَ بِجَعْلِ الْكُتُبِ الرِّسْمِيَّةِ بِنُسْخَتِيْنِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْبَصْرَةِ، وَرُوِيَّ بِهَذَا الشَّأنِ: أَنَّ زِيادًاً أَمْلَى عَلَى كَاتِبِهِ كِتَابًاً إِلَى مَعَاوِيَةَ، وَسَهَا زِيادًاً، إِذَا أَمْلَى عِبَارَةً: «قَالَ هَذَا الرَّجُلُ عُمَرَانُ بْنُ الْفَضْلِ، الْبَرْجَمِيُّ...»، وَلَمْ يُكُمِّلْ الْعِبَارَةَ، فَكَتَبَ الْكَاتِبُ الْعِبَارَةَ، ثُمَّ أَمْلَى عَلَيْهِ زِيادًاً عِبَارَةً أُخْرَى، فَصَارَ فِي الْكِتَابِ قَطْعٌ وَعَدْمُ تَوَاصِلٍ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى مَعَاوِيَةَ، كَتَبَ إِلَى زِيادٍ: «ذَكَرْتَ فِي كِتَابِكَ عُمَرَانَ بْنَ الْفَضْلِ، وَلَمْ يُذَكِّرْ هَذَا الْكَلامُ مَا يَتَّصَلُ بِهِ»، فَسَأَلَ زِيادَ كَاتِبَهُ، فَقَالَ: «أَنْتَ أَمْلِيَتِهِ؟»، فَقَالَ زِيادٌ: «حَدِيثُ نَفْسٍ، فَلَا تَكْتُبُوا كِتَابًا إِلَّا جَعَلْتُمْ لَهُ نَسْخَةً»، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ النَّسْخَ^(٢)، فَزِيادًاً أَوَّلُ مَنْ أَمْرَ

(١) يُنْظَرُ: الْبَلَادِرِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ (ت ٢٧٩ هـ)، الْبَلَدَانُ وَفَتوحُهَا وَأَحْكَامُهَا، (حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ: د. سَهْلِيْلُ زَكَار، ط١ - بَيْرُوت / ١٩٩٢ م): ص ٥٠٨.

(٢) يُنْظَرُ: ابْنُ عَسَاكِرٍ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دَمْشَقٍ: ج ١٩٦، ص ١٩٦.

بكتابه نسخة الكتاب قبل أن يبيّض، ويعني بذلك أنه جعل للكتاب مسودة^(١).

أول من أطّال الكتب

ضمن التّطوير في عمل الكاتب، فقد ذكر أنّ عمر بن نافع^(٢)، كاتب عبيد الله بن زياد هو أول من أطّال الكتب^(٣)، هذا فضلاً عما سبق ذكره من تطوير عمل الكتابة بإنشاء ديوان الخاتم، وفي نسخ الكتب بنسختين.

أول من أضاف للإمارة أبهة الملك

أدخل زياد بعض الرسموم التي لم تكن معروفة، أو متداولة، مقتدياً بذلك بمعاوية، وبما كان لدى الملوك الجبابرة من أبهة، فزياد أول من اتخذ المنبر، وخطب وهو جالس^(٤)، وقيل: إنه أول من عمل المقصورة^(٥)، وأول من مُشي بين يديه بالحراب والعمد^(٦).

(١) يُنظر: البستي، محاضرة الأوائل: ص ٤٢.

(٢) عمر بن نافع، الثقفي، أبو عثمان، كاتب ابن زياد، يُنظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد، عبد الرحمن (ت ٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، (ط١، حيدر آباد الديكـنـ الهندـ ١٩٥٢م): ج ٦، ص ٢٦٦؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٢٩٧.

(٣) يُنظر: أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ)، مقتل الحسين، (تحقيق وتعليق: حسين الغفاري، المطبعة العلميةـ قمـ د.ت): ص ٢٧١.

(٤) يُنظر: ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، المصنف، (تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكرـ بيروتـ ١٩٨٩م): ج ٨، ص ٣٢٩؛ والصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٥، ص ٧.

(٥) يُنظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٩.

(٦) يُنظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩١؛ وأبو الفدا، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، (دار المعرفة للطباعة والنشرـ بيروتـ د.ت): ج ١، ص ١٢٨؛ وابن

- الأوائل القضاة والنظم القضائية في البصرة

أول قاضٍ عُيِّنَ في البصرة (١٤ هـ / ٦٣٥ م)

عُيِّنَ عمر على البصرة قاضياً ليتولّ مهمّة حلّ الخصومات وفضّل المنازعات بين أهلها، وكان ذلك في سنة تنصيرها نفسها (١٤ هـ / ٦٣٥ م)، وقد اتفق أغلب المؤرّخين على عدّ أبي مريم الحنفي^(١) أول قاضٍ عُيِّنَ في البصرة^(٢)، في حين رأى عددٌ قليلٌ منهم أنّ كعب بن سور^(٣)، هو أول منْ عُيِّنَ قاضياً على البصرة^(٤)، وانفرد ابن سعد بالقول: إنّ أبي مريم الحنفي تولّ القضاء بعد عمران بن حصين^(٥)، دون

خلدون، تاريخ: ج ٣، ص ١١؛ والقلقشندى، صبح الأعشى: ج ١، ص ٤٧٣.

(١) أبو مريم الحنفي: إيسا بن صبيح بن محشر، من بني الدّول بن حنيفة بن لجيم، ولّاه عمر القضاء، ووصف بالضعف، فعزله. وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ: ج ١، ص ١١؛ والطبقات: ص ٣٤٣؛ والفسوي، أبو يوسف، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ)، المعرفة والتاريخ، (تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية- بيروت / ١٩٩٩ م): ج ٢، ص ١٤٢؛ ووكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٦٩-٢٧٣؛ وأبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٢٤٠؛ وابن حجر العسقلاني، الإصابة: ص ٤٨٠؛ والبسنوبي، محاضرة الأوائل: ص ٩٦.

(٣) كعب بن سور بن عبد الله بن ثعلبة، الأزديُّ، تولّ قضاء البصرة، فلم يزل قاضياً حتى قُتل عمر سنة (٢٣ هـ)، فأقرّه عثمان، واستمرّ حتى قُتل في معركة الجمل سنة (٣٦ هـ)، يُنظر، وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٤) يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص ١٢٧؛ وابن حبان البستي، الثقات: ج ٥، ص ٣٣٣؛ وأبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٢٨٥.

(٥) عمران بن الحسين بن عبيد بن خلف، أبو نجيد، أسلم وغزا مع رسول الله ﷺ، نزل البصرة حتى مات بها سنة (٥٢ هـ)، استقضاه زياد على البصرة، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٩، ١٢؛ ووكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٨٨.

أن يحدّد مَنْ هو أَوْلُ قاضٍ على البصرة، هل هو عمران بن حصين، أو غيره؟^(١).
إلا إنّ الراجح هو أنّ أباً مريم الحنفي أَوْلُ قاضٍ؛ لاتفاق المؤرّخين على ذلك
على وفق رواية أهل البصرة أنفسهم، أمثال: ابن سيرين^(٢)، الذي أكد أنّ أَوْلُ
قاضٍ في البصرة هو أبو مريم الحنفي^(٣)، ونقلاً عن أقدم المصنّفات التي أُلفت في
أخبار قضاة البصرة، ككتاب قضاة البصرة، لأبي عبيدة مَعمر بن المثنى^(٤)، وكتاب
قضايا أهل البصرة، للمدائني^(٥)، وغيرهما^(٦).

(١) يُنظر: الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٩١.

(٢) ابن سيرين: محمد بن سيرين، أبو بكر، مولى أنس بن مالك، كان فقيهاً مأموناً ثقةً إماماً،
كثير العلم، ورعاً أصله من سبي عين التمر، ولد لستين بقيتا من حكم عثمان، ومات بعد
الحسن البصري بمائة يوم سنة (١١٠ هـ). ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٩٣، ٢٠٦.

(٣) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٦٩.

(٤) أبو عبيدة، مَعمر بن المثنى، التيمي، تيم قريش، مولى لهم، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها،
وله العديد من المصنّفات، توفي سنة (٢٠٩، أو ٢١٠ هـ)، يُنظر: الزبيدي، أبو بكر، محمد بن
الحسن (ت ٣٧٩ هـ)، طبقات النحوين واللغويين، (تحقيق: أحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢،
دار المعارف- مصر / ١٩٧٣ م): ص ١٧٥؛ وينظر: الهاشمي، سلمى عبد الحميد، أخبار القضاة
لوكيع مصدرًا لدراسة أحوال البصرة الحضارية، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة
البصرة- كلية الآداب / ١٩٩٠ م): ص ١١٢- ١١٩.

(٥) المدائني: أبو الحسن، عليّ بن محمد بن عبد الله، مولى سمرة بن جندب، مولده ومنشأه في البصرة،
ثم صار إلى المدائن، وبعدها إلى بغداد، ولم يزل في بغداد حتى وفاته (٢٢٥ هـ)، يُنظر: ابن النديم،
أبو الفرج، محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٨٥ هـ)، الفهرست، (تحقيق: رضا- تجدد- قم / د.ت):
ص ١١٣؛ وياقوت الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، معجم الأدباء،
(ط ١، دار الكتب العلمية- بيروت / ١٩٩١ م): ج ١٤، ص ١٢٥- ١٢٦.

(٦) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٦٩، ٢٧٣.

أول من جمع له القضاء والولاية

بعد عزل أبي مريم الحنفي عن قضاء البصرة سنة (١٥ هـ / ٦٣٦ م)، جمع عمر بن الخطاب القضاء مع الولاية للمغيرة بن شعبة، وكتب أن يقضي بين الناس، وقال له: «أمير الأمة أجدر أن يهاب»، وكان هذا الإجراء من أجل تعين قاضٍ آخر؛ إذ عين عمر كعب بن سور، الأزدي، على قضاء البصرة سنة (١٨ هـ / ٦٣٩ م)^(١). فالمغيرة بن شعبة هو أول من جمع له بين منصبي القضاء والولاية في البصرة.

أول قاض للأمويين في البصرة

أما عن أول قاضٍ تولى قضاء البصرة من الأمويين، فهو عمير بن يثري، الضبي^(٢)، الذي استقضاه والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز، ولم يزل على القضاء حتى عزل ابن عامر عن البصرة سنة (٤٥ هـ / ٦٦٥ م)^(٣).

أول قاض للعباسيين في البصرة

ذكر أن أول من تولى قضاء البصرة لبني العباس هو الحجاج بن أرطأة^(٤)، سنة

(١) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) عميرة بن يثري، استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة أيام معاوية، حتى عزله زياد خلال ولاليته على البصرة. وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٣) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٩٠.

(٤) الحجاج بن أرطأة بن ثور بن هبيرة، النحوي، المذججي، يكنى بأبي أرطأة، من صحابة أبي جعفر المنصور العباسي، فضممه إلى ابنه المهدى، فلم يزل معه حتى توفي بالرّي في أيام حكم المنصور، تولى القضاء مدة شهر واحد، فعزله سليمان بن علي، وكان أول قاضٍ في البصرة للعباسيين، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ٣٥٩؛ وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ٥٠، ٥٣، وقد ورد أنه كان من أصحاب الإمامين الバقر والصادق عليهما السلام، وأنه توفي في الرّي

(١٣٢هـ / ٧٤٩م)؛ إذ تم تعيينه من قبل أبي جعفر المنصور، الذي كان -آنذاك- بواسط في أيام حكم أخيه أبي العباس السفاح^(١).

أول قاض على البصرة قلده خليفة

عند تتبع تعينات القضاة في البصرة منذ أيام عثمان، وحتى بداية العصر العباسي، نرى أنها كانت من قبل الولاية؛ وإن أبدى بعض الحكام تدخلًا في تعين عدد من القضاة، أو بإشراف مباشر من قبلهم عند اختيار القضاة^(٢).

واستمر الأمر على هذا النحو حتى أيام أبي جعفر المنصور (١٣٨هـ / ٧٥٥-٧٧٤م)، فالمتصور كان أول من جعل مسؤولية تعين القضاة مناطة به، فكان سوار بن عبد الله، العنبرى^(٣)، أول قاضٍ تولى القضاء من قبل

زمن أبي جعفر (الباقر عليه السلام)، الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، رجال الطوسي، (تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، قم / ١٤١٥هـ): ص ١٣٣، وقد شُكّل السيد الخوئي في أنه من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وأكّد أن ذكره في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ينافق موته في زمان الإمام الباقر عليه السلام، ولا يبعد أن يكون ما ورد مات في زمان أبي جعفر عليه السلام-قد أضيف إليها جملة- عليه السلام-زيادة من النسخ، ويكون المراد من أبي جعفر، المنصور العباسى، وليس الإمام الباقر عليه السلام، يُنظر: السيد الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، (ط٥، د.م / ١٩٩٢م): ج ٥، ص ٢١٢.

(١) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ٥٠؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٨، ص ٢٢٨؛ وابن الجوزي، المتنظم: ج ٨، ص ١٢٣.

(٢) يُنظر: سلمى عبد الحميد الماشمي، أخبار القضاة لوكيع مصدرًا عن دراسة أحوال البصرة الحضارية: ص ١٣١-١٣٢.

(٣) سوار بن عبد الله بن قدامة بن نقب، من بني العنبر، التميمي، ولي القضاء للمنصور سنة (١٣٨هـ)، توفي سنة (١٥٦هـ). ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٢٦٠-٢٦١؛ وابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ٢٣٦-٢٣٧.

الْحَكَامُ^(١)، وَلَمْ يَكُنْ قُدْمُ عُيْنٍ مِنْ قَبْلِهِمْ عَلَى نَطَاقِ الْبَصْرَةِ، بَلْ عَلَى نَطَاقِ الْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، وَمَا فَعَلَهُ الْمُنْصُورُ لَمْ يَظْهُرْ الْاِلتَّزَامُ بِهِ مِنْ قَبْلِ بَقِيَّةِ حَكَامِ بْنِي الْعَبَّاسِ؛ إِذْ دَلَّتِ الْمَصَادِرُ عَلَى أَنَّ تَعْيِينَ بَعْضِ الْقَضَايَا فِي الْبَصْرَةِ كَانَ مِنْ وَلَاتِ الْبَصْرَةِ^(٢).

أَوَّلُ قَاضٍ فِي الْبَصْرَةِ عَلَى الْمَذَهَبِ الْحَنْفِيِّ

كَانَ ظَهُورُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ إِيَّادَانَا^٣ بِإِخْضَاعِ أَمْرِ الْخِتَارِ الْقَضَايَا وَفَقَادَ الْمَذَهَبَ السَّائِدَ فِي كُلِّ بَلْدٍ أَوْ مَدِينَةً أَوْ وَلَاءَ، وَقُدِّمَ دُخُولُ الْمَذَهَبِ الْحَنْفِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ عَلَى يَدِ زُفْرَ بْنِ الْمَذِيلِ، الْبَصْرِيِّ^(٤)، (ت ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م)، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ الْبَصْرَةَ بِرَأْيِ أَبِي حَنِيفَةِ^(٥)، وَكَانَ الْقَاضِيُّ - آنذاك - سَوَارًا العَنْبَرِيِّ^(٦)، وَقُدِّمَ قَلْدَدُ وَالِي الْبَصْرَةِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيْمَانَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

(١) يُنْظَرُ: وَكِيعُ، أَخْبَارُ الْقَضَايَا: ج ٢، ص ٥٧.

(٢) يُنْظَرُ عَلَى سَيِّلِ الْمَثَالِ: وَكِيعُ، أَخْبَارُ الْقَضَايَا: ج ٢، ص ١٣٩، ١٤٠، ١٥٧.

(٣) زُفْرَ بْنِ الْمَذِيلِ، الْعَنْبَرِيُّ، وَيُكَنُّ بِأَبِي الْمَذِيلِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَنَظرَ فِي الرَّأْيِ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ، مَاتَ فِي الْبَصْرَةِ سَنَةَ (١٥٨ هـ)، وَقِيلَ (١٦١ هـ)، يُنْظَرُ: ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتِ: ٦، ص ٣٨٧؛ وَابْنُ حَبَّانَ الْبَسْتَيِّ، مَشَاهِيرُ عَلَمَاءِ الْأَمْصَارِ: ص ٢٦٩؛ وَالْذَّهَبِيُّ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٨، ص ٤١.

(٤) أَبُو حَنِيفَةَ: التَّعْمَانُ بْنُ ثَابَتَ، مَوْلَى لِبْنِي تَيمِ اللَّهِ بْنِ ثَلْبَةَ، مَنْ بَكَرَ بْنَ وَائِلَ، وَهُوَ صَاحِبُ الرَّأْيِ، تَوَفَّى فِي بَغْدَادِ سَنَةَ (١٥٠ هـ). ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتِ: ج ٦، ص ٣٦٨.

(٥) ابْنُ عَدَىِّ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَدَىِّ، الْجَرْجَانِيُّ (٣٦٥ هـ)، الْكَاملُ (تَحْقِيقُ: يَحْيَى مُخْتَارِ غَرَّاوِيِّ، ط ٣، دَارُ الْفَكْرِ - بَيْرُوت / ١٩٨٨ م): ج ٣، ص ٤٥٢؛ وَابْنُ حَجْرِ الْعَسْقَلَانِيِّ، أَبُو الْفَضْلِ، أَحْمَدُ بْنُ عَلَىِّ (ت ٨٥٢ هـ)، لِسَانُ الْمِيزَانِ، (تَحْقِيقُ: دَائِرَةُ الْمَعْرِفَةِ النَّظَامِيَّةِ، ط ٣، مؤَسَّسَةُ الْأَعْلَمِيِّ - بَيْرُوت / ١٩٨٦ م): ج ٢، ص ٤٧٧.

محمد، المخزومي^(١)، وهو أول من قضى في البصرة من يقول برأي أبي حنيفة^(٢).

أول من جَمَعَ بين القضاء وعمل صاحب السُّوق

نظراً إلى التّداخل بين الوظائف وتشابه المهام والصلاحيات، أو تداخلها، ولا سيما في العصرين الرّاشدي والأموي، فقد أُسند لبعض القضاة مهام، وجمعت لهم وظائف أخرى إلى جانب القضاء، فربما كان إيس بن معاوية^(٣) أول من جمع بين القضاء وبين وظيفة صاحب السُّوق^(٤)؛ إذ ذكر: أنّ إيس كان يجلس في السُّوق، أو أنه كان يقضي في دكاكين السُّوق، وبما أنّ مكان عمل صاحب السُّوق هو في داخل السُّوق، أو في الطريق^(٥)، فهذا يُشير إلى الجمع بين القضاء وعمل السُّوق.

(١) عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، المخزومي، ولاه محمد بن سليمان قضاة البصرة، ثم استعفى، فأغفى، وولى مدة أربعة أشهر، يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ١٤٠، ١٤١.

(٢) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ١٤٠، ١٤١.

(٣) إيس بن معاوية بن قرّة بن إيس، المزني، يُكتنّي بأبي واثلة، كان عاقلاً فطناً، تولى قضاة البصرة أيام عمر بن عبد العزيز، وتوفي سنة (١٢١هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٤٣٤، ٤٣٥؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٥، ص ١٥٥.

(٤) المزي، جمال الدين، أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق وتعليق: د. بشّار عواد معروف، ط ١، مؤسسة الرسالة- بيروت/ ١٩٩٢م): ج ٣، ص ٤٢٢.

(٥) الحصونة، درايد حمود، الحسبة في الإسلام، نشأتها وتطورها، (دار الصفاء للطباعة- عمان/ ٢٠١٢م): ص ١٨٤.

أول من رفض من البصريين تولى منصب القضاء في البصرة

نظرًا إلى التشدد في تولي القضاء، فقد عمد العديد من الفقهاء المرشحين لتولي هذا المنصب إلى رفض قرار توليتهم، مبررين رفضهم بمختلف الأعذار والذرائع، وربما اضطر بعضهم إلى الهروب والتّواري^(١).

وبالنسبة إلى البصرة، فهناك من اضطر إلى الهرب والهجرة خارج البصرة، وفيهم من برأ رفضه بقلة علمه، وأشدّهم وطأة من نام ليه حزيناً كثيّاً، حتى قضى نحبه، ففيها يختص الهروب، روي: أنّ أبا قلابة^(٢) هو أول من رفض تولي منصب قضاء البصرة، حينما عرض عليه، أو أمر بذلك؛ إذ جاء أنّ أبا قلابة ذكر للقضاء لما مات قاضي البصرة عبد الرحمن بن أذينة^(٣) سنة (٩٥ هـ / ٧١٣ م)، فرفض أبو قلابة تولي القضاء، ولم يكن أمامه سوى الهرب؛ خوفاً من بطش الحجاج، فقيل: إنه أتى اليهامة^(٤)، أو إنّه هرب إلى الشام^(٥)، وكان يقول: «ما وجدت مثل القاضي العالم، إلا مثلَ رجلٍ وقعَ في بحرٍ، فما عسى أنْ يسبحَ حتى يغرق»^(٦).

وكان أول قاضٍ رفض تولي القضاء في الأُبَلَة متعدراً بقلة علمه، وعدم تمكّنه من

(١) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٣-٢٨.

(٢) أبو قلابة: عبد الله بن زيد بن عمرو، أو عامر بن ناتل، الجرمي، البصري، شيخ الإسلام (٤١٠ هـ)، يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٤٧١.

(٣) عبد الرحمن بن أذينة من عبد القيس، تولى قضاء البصرة من قبل زياد بن أبيه، ثم قضى لابنه عبيد الله بن زياد، وتولى القضاء أيام الحجاج سنة (٨٣ هـ) أيضاً. وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٩٧، ٣٠٤.

(٤) يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٤٧١.

(٥) يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٤٧٤.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٤٧١.

القضاء، هو الفقيه عبد الله بن بكر بن حبيب، السّهمي^(١)، فقد رُويَ أنَّ سوار بن عبد الله، العنبرى، عرض على عبد الله السّهمي قضاء الأُبْلَة، فأبى، فقال له سوار: «أترفع نفسك عن قضاء الأُبْلَة؟ قال: لا، ولكن، أرفع علمي عن القضاء»^(٢). وقد تمنَّى نصر بن عليٍّ، الجهميُّ، البصريُّ^(٣) الموت على أنْ يلِي القضاء، فدعا الله سبحانه وتعالى أنْ يقبض روحه، فاستجاب الله دعاءه؛ إذ جاءه أنَّ المستعين العباسى (٢٤٨-٢٥٢ هـ/٨٦٢-٨٦٦ م) بعث إلى نصر بن عليٍّ يُشحّنه للقضاء، فدعا فدعاهُ أمير البصرة، فأمره بذلك، فقال: «أرجع، فأستخير الله - عزَّ وجلَّ -»، فرجع إلى بيته نصف النَّهار، فصلَّى ركعتين، وقال: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ، فاقبضني إِلَيْكَ»، فنام، فأنبهوهُ، فإذا هو ميت^(٤).

- أماكن عقد جلسات القضاء

عُرفَ عنْ أغلب قضاة البصرة أنَّهم كانوا يعقدونَ جلسات القضاء في المسجد^(٥)، إلا إنَّ عدداً منهم كان قد قضى في أماكنٍ أخرى، هي:

(١) عبد الله بن بكر بن حبيب، السّهميُّ، من باهله، ويُكَنِّي أبا وهب، كان ثقةً صدوقاً، ومن جلة أهل البصرة، مات في بغداد سنة (٢٠٨ هـ). ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٢٩٥؛ وابن حبان، البستيُّ، مشاهير علماء الأمصار: ص ٢٥٦.

(٢) وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٥؛ وابن حجر العسقلانيُّ، تهذيب التهذيب: ج ٥، ص ١٤٢.

(٣) نصر بن عليٍّ بن نصر بن عليٍّ بن أصبهان، أبو عمر، الأزديُّ، الجهميُّ، البصريُّ، (ت ٢٥٠ هـ)، يُنظر: الذَّهَبِيُّ، سير أعلام النَّبلاء: ج ١٢، ص ١٣٣؛ والكافش: ج ٢، ص ٣١٩.

(٤) الذَّهَبِيُّ، سير أعلام النَّبلاء: ج ١٢، ص ١٣٦؛ والكافش: ج ٢، ص ٣١٩.

(٥) يُنظر: سلمى عبد الحميد الهاشميُّ، أخبار القضاة مصدرأً: ص ١٤٥.

أَوَّلُ مَنْ قُضِيَ فِي دَارِهِ

كان القاضي كعب بن سور، الأَزْدِيُّ، أَوَّلَ قاضٍ فِي الْبَصْرَةِ قُضِيَ فِي دَارِهِ^(١).

أَوَّلُ مَنْ قُضِيَ فِي السَّوقِ، أَوِ الْطَّرِيقِ

ذُكِرَ أَنَّ القاضي إِيَّاسَ بْنَ مَعَاوِيَةَ الْمَزْنِيَّ أَوَّلُ مَنْ قُضِيَ فِي السَّوقِ، أَوِ الْطَّرِيقِ^(٢).

- أَوَّلُ التَّنْظِيمَاتِ فِي تَطْوِيرِ مَؤْسَسَةِ الْقَضَاءِ

كان لبعض قضاة البصرة إسهامات رائدة في تطوير مؤسسة القضاء؛ إذ ظهرت لأول مرة في البصرة، ثم انتقلت منها إلى باقي أنحاء البلاد الإسلامية، وهي كما يأتي:

أَوَّلُ مَنْ خُلِعَ عَلَيْهِ لِبَاسُ الْقَضَاءِ

أصبحت وظيفة القضاة تخضع لرسوم منتظمة في العصر العباسى، ومن تلك الرسوم أن يتم خلع لباس على من يتولى هذه الوظيفة في يوم التولية، ويبدو أن ذلك كان يجري في احتفاء رسمي خاص في بغداد، يحضره الحاكم العباسى، فيخلع على القاضي لبس القضاء، كما حصل لقاضي البصرة سوار بن عبد الله، العنبرى، الذي روى: أنه قدم على المنصور العباسى، فخلع عليه جبة وشى^(٣)، وطيلسان^(٤)،

(١) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٧٥.

(٢) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٣٣٩، ٣٣٣، ٣٤١.

(٣) الوشى: يكون من كل لون، ووشى الثوب وشياً وشية: حسن، ووشاه: ننممه ونقشه وحسنـه. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٥، ص ٣٩٢.

(٤) طيلسان: ضرب من الأكسية يغطى به الرأس مع أكثر الوجه، فإنْ كان معه تحنيك، أي: إدارة على العنق، قيل له: طيلسان، وما يجعل على الأكتاف دون الرأس يقال له: رداء، وربما

فقدم البصرة، وقعد في مجلس القضاء ثلاثة أيام متتالية في الجهة الوشي^(١)، وهنا يظهر أنَّ سواراً هو أول من خلع عليه زمي القضاة من قبل المنصور، ولا صحة لما ذكر من: أنَّ أول من فعل ذلك هو أبو يوسف^(٢)، قاضي القضاة أيام هارون العباسى (١٧٢-١٩٤هـ/٨٠٩-٧٨٨م)، أي: إنه أول من غير لباس القضاة^(٣). فسوار العنبرى البصريُّ أول قاضٍ خلع عليه خلعة القضاة، ليس في البصرة فحسب، بل في الدولة الإسلامية قاطبة.

إسهامات القاضي سوار العنبرى الرائدة (الأولى) في تطوير مؤسسة القضاء

كان سوار العنبرى البصريُّ المشهور رائداً في إدخال العديد من النظم التي أسهمت في تطوير مؤسسة القضاء، وكالآتي^(٤):

- كان سوار أول من ضمَّ الأموال المجهولة أربابها وسمَّها (الخشنة).

يُقال له: طيلسان. ابن سيده، أبو الحسن، علي بن إسماعيل (ت ٥٨٤هـ)، المخصص، (تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي - بيروت / د.ت): ج ١، ق ٤، ص ٧٨؛ والحلبي، برهان الدين، علي بن إبراهيم (ت ٤٠٤هـ)، السيرة الحلبيَّة (دار المعرفة - بيروت / ١٤٠٠هـ): ج ٢، ص ١٩٨.
(١) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ٦١.

(٢) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد، من بني عمرو بن عوف من الأنصار، كان يُعرف بالحفظ للحديث، لزم أبا حنيفة النعيم وتفقه عليه، وغلب الرأي، وجفا الحديث، تولى قضاء بغداد أيام المهدى، ولم يزل إلى أن مات سنة (١٨٢هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٣٣١.

(٣) يُنظر: اليوزبكي، توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية الإسلامية، (٣٦، الموصل / ١٩٨٨م): ص ١٨٦.

(٤) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ٥٨.

- هو أَوْلُ مَنْ تَشَدَّدَ بِالْقَضَاءِ وَعَظَمَ أَمْرَهُ.

- سَوَّار أَوْلُ مَنْ اتَّخَذَ الْأَمْنَاءَ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، وَالْأَمْنَاءُ: الَّذِينَ يَتَولَّونَ الْإِشْرَافَ عَلَى أَمْوَالِ الْأَيْتَامِ وَرِعَايَتِهَا، وَسُمُّوا بِالْأَمْنَاءِ؛ لَأَنَّ عَمَلَهُمْ يَتَطَلَّبُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْأَمْانَةِ^(١).

- وَسَوَّار أَوْلُ مَنْ طَوَّلَ السِّجَّلَاتِ، وَدَعَا النَّاسَ بِأَسْمَائِهِمْ، وَلَمْ يُكَنْهُمْ.

- وَكَانَ سَوَّار أَوْلُ مَنْ سَأَلَ الْبَيْنَةَ عَلَى كِتَابِ الْقَاضِيِّ لِلْقَاضِيِّ الْآخِرِ، وَقِيلَ: إِنَّ أَوْلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ خَارِجُ الْبَصَرَةِ هُوَ قَاضِيُّ الْكُوفَةِ أَبِي لَيْلَى^(٢)، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سَوَّارًا، فَقَالَ: «قَدْ كُنْتُ أَذَهَبُ إِلَى هَذَا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُحَدِّثَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ»^(٣).

وَجَاءَ فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: أَنَّ أَوْلَ مَنْ سَأَلَ عَلَى كِتَابِ الْقَاضِيِّ لِلْقَاضِيِّ الْبَيْنَةِ، هَمَا أَبِي لَيْلَى، وَسَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الْعَنْبَرِيُّ^(٤)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ قَضَاءَ الْبَصَرَةِ كَانُوا طَوْلَ الْعَصْرِ الْأَمْوَى وَبِدَائِيَّةِ الْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ لَا يُجِيزُونَ كِتَابَ الْقَاضِيِّ إِلَى قَاضٍِ آخَرَ، سِيرًا عَلَى نَهْجِ الْإِمَامِ عَلَيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٥).

(١) يُنَظَّرُ: سَلْمَى عَبْدُ الْحَمِيدِ الْاهَاشَمِيُّ، أَخْبَارُ الْقَضَاءِ مَصْدِرًا: ص ١٥٥.

(٢) أَبِي لَيْلَى: هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى، وَاسْمُ أَبِي لَيْلَى يَسَارٌ، كَانَ مُولَدَهُ لِسْتُ سِنِينٍ مُضِيَّنَ مِنْ حُكْمِ عُمْرٍ، وَغَرَقَ فِي دِجَيْلِ يَوْمِ الْجَمَاجِمِ سَنَةَ (٨٣هـ)، يُنَظَّرُ: أَبْنَ حَبَّانَ الْبَسْتَيِّ، مَشَاهِيرُ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ: ص ١٦٤.

(٣) وَكَيْعُ، أَخْبَارُ الْقَضَاءِ: ج ٢، ص ٦٧.

(٤) يُنَظَّرُ: أَبْنَ قَيْمَ الْجَوْزِيَّةِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (ت ٧٥١هـ)، الْطُّرُقُ الْحَكَمِيَّةُ فِي السِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ، (تَحْقِيقُ: دُ. مُحَمَّدُ جَمِيلُ غَازِيٍّ)، مَطْبَعَةُ الْمَدِينَى-الْقَاهِرَةِ/د.ت): ج ١، ص ٣٠٤.

(٥) كَانَ الْإِمَامُ عَلَيٌّ^ع أَوْلُ مَنْ شَرَّعَ إِجْرَاءً عَدَمِ إِجازَةِ كِتَابِ قَاضٍِ إِلَى قَاضٍِ آخَرَ، وَطُبِّقَ هَذَا الإِجْرَاءُ طَوْلَ مَدْدَةِ حُكْمِهِ، فَكَانَ لَا يُجِيزُ ذَلِكَ فِي حُكْمٍ أَوْ وَصِيَّةٍ أَوْ حَدًّا؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ

أول من حمى أموال الأوقاف في البصرة

يُعد قاضي البصرة خالد بن طليق^(١) (٦٦ هـ / ٧٨٢ م)، أول من حمى أموال الوقف في البصرة من التجاوز عليهما، وأحياها؛ إذ إنه كان يطلب الأموال التي في أيدي الناس من الوقوف والصدقات، حتى جعل من دله على شيء منها عشر العشر، فأخبر عن مال عبد الوهاب بن عبد المجيد^(٢)، فأرسل إليه، فسأل عنه، فأقر له به، وقال: «هو من وقوف في يدي»، فأمر بتشييت الوقوف، فأحيا الوقوف بما أمر به، فثبتها وحمد ذلك منه^(٣).

أول من جعل كتب القضاء بنسختين

أرسى قضاة البصرة العديد من النظم الكفيلة بمنع التزوير والتجاوز على حقوق الناس، والحفاظ على مصالحهم، فذكر: أنّ قاضي البصرة عبيد الله بن الحسن،

تعرض تلك الكتب للتزوير. الشهيد الثاني، زين الدين العاملاني (ت ٩٦٥ هـ)، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، (ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم ١٤١٩ هـ): ج٤، ص٧، وحينما استحوذ الأمويون على الحكم، أجازوا كتاب قاضٍ إلى آخر، ولكن حدد ذلك بشرط توفر البيئة، أي: ما يدل على أن الكتاب قد صدر فعلاً من القاضي الأول للقاضي الآخر. ابن إدريس الحلي، أبو جعفر، محمد بن منصور (٩٨٥ هـ)، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، (ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ١٤١٠ هـ): ج٢، ص١٩٧، وقيل: إن ابن أبي ليلى هو أول من فعل ذلك بالكونفة في ولاية الحجاج. وكيع، أخبار القضاة: ج٢، ص٦٧.

(١) خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين، الحارثي، ولد المهدى قضاة البصرة، ثم عزله، وولى عثمان التميمي. وكيع، أخبار القضاة: ج٢، ص١٣٢، ١٣٣.

(٢) عبد الوهاب بن عبد المجيد، الثقفي، يُكنى بأبي محمد، ولد سنة (١٠٨ هـ)، وتوفي بالبصرة سنة (١٩٤ هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج٧، ص٢٨٩.

(٣) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج٢، ص١٢٥.

العنبرى^(١)، هو أَوَّلُ قاضٍ جَعَلَ كتب القضاء بُنسختين؛ إِذْ رُوِيَ: أَنَّهُ جلس في صحن المسجد بحضور القاضي الجديد خالد بن طليق، وقال: «هَذِهِ الْكُتُبُ، فَمَنْ يَتَسَلَّمُ لَهَا؟ فَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِي يَسْلِمُونَهَا، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَهَا بُنسختين بِمَحْضِرِ مِنْ شَهُودٍ عَدُولٍ، فَتَأْخُذُ وَاحِدَةً، وَيَكُونُ عَنِّي وَاحِدَةً، وَعَلَيْيِ غِرَامَةً ذَلِكَ -أَيَّ: عَلَيَّ نَفْقَهُ»^(٢)، فَبَعْثَ لِلشَّهُودِ الْعَدُولِ وَلِلْكِتَابِ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ، وَنَسَخَ الْكِتَابَ عَلَى نَسْخَتَيْنِ؛ لَئِلَّا يُغَيِّرُ شَيْءٌ مِنْ أَحْكَامِهِ^(٣).

أَوَّلُ مَنْ طَوَّرَ سُجَّلَاتِ الْقَضَاءِ

حَقَّ قاضي البصرة عيسى بن أبيان^(٤) (١١٢٦هـ / ٢١١م)، تنظيمًا أَسَّهمَ فِي تطويرِ سُجَّلَاتِ الْقَضَاءِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ السِّجْلَ يُمْلِيَهُ إِمْلَاءً فِي مَجْلِسِهِ، فَيَنْظُمُ أَسْمَاءَ الشَّهُورِ وَالشَّرُوطِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَحْدَثَ فِي الْقَضَاءِ شَيْئًا لَمْ يُحْدِثْهُ أَحَدٌ؛ لِعِلْمِهِ بِحَسَابِ الدُّورِ^(٥).

أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ عَنْهُ مِنْ الْقَضَاءِ فِي الْبَصْرَةِ

ظَهَرَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي الْبَصْرَةِ إِقَامَةُ الْقَاضِيِّ فِي بَغْدَادِ، وَإِنَابَةُ الْعَمَلِ بِالْقَضَاءِ فِي

(١) عَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنَ أَبِي الْحَرَّ، الْعَنْبَرِيُّ، التَّمِيمِيُّ، تَوَلَّ قَضَاءَ الْبَصْرَةَ مِنْ قَبْلِ أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ سَنَةَ (١٥٦هـ)، فَلِمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيُّ عَزَلَهُ سَنَةَ (١٦٦هـ)، يُنْظَرُ: وَكِيعُ، أَخْبَارُ الْقَضَاءِ: ج٢، ص٨٩، ٩١.

(٢) وَكِيعُ، أَخْبَارُ الْقَضَاءِ: ج٢، ص١٢٥.

(٣) يُنْظَرُ: وَكِيعُ، أَخْبَارُ الْقَضَاءِ: ج٢، ص١٢٥.

(٤) عِيسَى بْنُ أَبِيَّ بْنِ صَدِيقٍ، أَبُو مُوسَى، تَوَلَّ قَضَاءَ الْبَصْرَةَ، وَلَمْ يَزُلْ عَلَيْهِ حَتَّى وَفَاتَهُ سَنَةَ (٢٢١هـ). الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ، تَارِيخُ بَغْدَادِ: ج١١، ص١٥٨، ١٦٠.

(٥) يُنْظَرُ: وَكِيعُ، أَخْبَارُ الْقَضَاءِ: ج٢، ص١٧٢.

البصرة لنائب القاضي؛ إذ كان محمد بن حماد^(١) (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، أول من أقام ببغداد، واستخلف محمد بن أسيد، البصري^(٢)، على قضاء البصرة^(٣).

- أوائل العقوبات في البصرة

صدرت عقوبات عديدة بحق عدد من أهل البصرة، ومنها عقوبات صدرت لأول مرة داخل البصرة، وإليك تفصيلها:

أول من عاقب على الشبهة والظنة

عمل والي البصرة زياد بن أبيه على تأمين طاعة أهل البصرة لصالح الحكم الأموي بمختلف الطرق، ومن ذلك فرض العقوبات الجائرة، فكان زياد أول من عاقب على الشبهة والظنة^(٤).

أول من أصدر منع التجوال في البصرة وعاقب عليه

كان ضمن إجراءات زياد المتشددة في البصرة من أجل فرض الطاعة والخضوع للنظام الأموي، أن أصدر لأول مرة في البصرة قرار منع التجوال بعد صلاة العشاء، وعاقب بالقتل لمن يخالف القرار؛ إذ روي: أن زياداً كان يؤخر العشاء الآخرة حتى

(١) محمد بن حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، الأزدي، القاضي، وصف بأنه كان عفيفاً عالماً، استقضى على البصرة، وضم إليه قضاء واسط وكور دجلة، وكان يلزم الموقق العباسي، ويستخلف من ينوب عنه، توفي سنة (٢٧٦هـ). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٢، ص ٢٧٠.

(٢) محمد بن أسيد، البصري: لم أثر على ترجمة له، وما ذكر عنه فقط أنه رجل من أهل البصرة، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٢، ص ٢٧٠.

(٣) ينظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ١٨١-١٨٢.

(٤) ينظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٢٤١؛ والبسنوبي، محاضرة الأوائل: ص ١٦٩.

يصلّيها آخر مَنْ يُصْلِي، ثُمَّ يأْمِر رجلاً، فِيَقْرَأ سُورَة الْبَقْرَة، أَوْ مِثْلَهَا يِرْتَلْ تِرْتِيلًا، ثُمَّ يُمْهَل قَدْر مَا يَرَى أَنَّ إِنْسَانًا يَلْغِي آخَرَ بَيْتٍ، ثُمَّ يأْمِر صَاحِب الشُّرْطَة بِالْخُروْج، فِيَخْرُج، فَلَا يَرَى إِنْسَانًا إِلَّا قَتْلَه، وَذُكْر أَنَّ صَاحِب الشُّرْطَة أَخْذَ أَعْرَابِيًّا، فَأَتَى بِهِ زِيَادًا، فَسَأَلَه «هَلْ سَمِعْت النِّدَاء؟»، فَأَجَابَ الْأَعْرَابِيُّ بِالنَّفِيِّ، قَائِلًا: «لَا وَاللهِ، قَدْمَتْ بِحَلْوَبَةِ لِي، فَغَشَّينِي اللَّيْلُ، فَاضْطَرَرْتُهَا إِلَى مَوْضِعٍ، وَأَقْمَتُ لِأَصْبَحَ وَلَا عِلْمَ لِي بِمَا كَانَ مِنَ الْأَمْيَرِ»، فَقَالَ لَه زِيَاد: «أَظْنَنُكَ صَادِقًا، وَلَكِنْ فِي قَتْلِكِ صَلَاحُ الْأُمَّةِ»، فَأَمْرَ بِضْرِبِ عَنْقِهِ، وَبِهَذِهِ الشَّدَّةِ خَافَهُ النَّاسُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ^(١).

أَوْلُ عَقُوبَةِ نَفِيِّ^(٢) لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

أُصْدِرَتْ هَذِهِ الْعَقُوبَةِ بِحَقِّ زَاهِدِ الْبَصْرَةِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ قَيْسِ^(٣)؛ إِذْ أَمْرَ عَثَمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِتِرْحِيلِهِ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ أَنْ تُسْبِطَ إِلَيْهِ تَهْمَةُ الرَّهْبَنَةِ^(٤)، فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ (عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسِ) زَاهِدًا مُتَقَدِّمًا لِسِيَاسَةِ التَّعْسُفِ الَّتِي انتَهَجَهَا رِجَالُ السُّلْطَةِ -آنِذَاكَ-^(٥).

(١) يُنْظَرُ: أَبُو هَلَالُ الْعَسْكَرِيُّ، الأَوَّلَيْ، ص ١٤٢-١٤٢.

(٢) النَّفِيُّ: الطَّرْدُ، يُقَالُ نَفِيَّهُ أَنْفِيَهُ نَفِيًّا، إِذَا أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْبَلَدِ وَطَرَدْتُهُ، يُنْظَرُ: أَبُو منْظُورُ، لِسانُ الْعَرَبِ: ج ١٥، ص ٣٣٦، ٣٣٧.

(٣) عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ، الْعَنْبَرِيُّ، أَبُو عُمَرٍ، وَقَيْلُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ، الزَّاهِدُ، الْبَصْرَيُّ، كَانَ ثَقِيْهُ مِنْ عَبَادِ التَّابِعِينَ. أَبُونَ سَعْدٍ، الطَّبَّقَاتِ: ج ٧، ص ١٠٣؛ وَالْعَجَلِيُّ، مَعْرِفَةُ الثَّقَافَاتِ: ج ٢، ص ١٤.

(٤) يُنْظَرُ: أَبُونَ عَسَكَرٍ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دَمْشَقِ: ج ٢٦، ص ١٤.

(٥) يُنْظَرُ: أَبُونَ سَعْدٍ، الطَّبَّقَاتِ: ج ٧، ص ١٠٤؛ وَأَبُونَ عَسَكَرٍ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دَمْشَقِ: ج ٢٦، ص ١٤.

- الأوائل في الجرائم والجنایات المرتكبة في البصرة

اقترف بعض أبناء البصرة جرائم مشينة، ويظهر أنّ الأوائل الجنائيات والجرائم كانت قد صدرت من قبل مثلي السلطة الحاكمة ورجالاتها، أو المقربين إليها، وأعوانهم، وكالآتي:

أول من ارتكب جريمة الزنا في البصرة، وشهد عليها الشهود

ارتكب والي البصرة المغيرة بن شعبة جريمة الزنا؛ إذ عُرف عنه تردد على بيت امرأة بغي تدعى: أم جميل، ويقال لها (الرقطاء)، وكان بيتها مجاوراً لبيت أبي بكرة^(١)، وبينما أبو بكرة في غرفة له مع أخوه: نافع^(٢)، وشبل^(٣)، وزياد^(٤)، إذ ضربت الريح بباب الرقطاء ففتحته، فنظر القوم، فإذا هم بالمغيرة ينكحها، فكتبووا لعمر بن الخطاب، فأبعث إليهم للممثل أمامه (المغيرة والشهود)^(٥)، وخلال الاستماع لأقوال الشهود، أقر أبو بكرة ونافع وشبل بما رأوه من ارتكاب المغيرة لجريمة الزنا، حتى قدم زياد، فأدلى بشهادة ناقصة، فيها تمويه وإيماء، فذرئ بذلك عن المغيرة حد الزنا؛ إذ لم يصدر عمر عقوبة الرجم للمغيرة والرقطاء (أم جميل)،

(١) أبو بكرة: نفيع بن مسروق، وقيل مسروح، أمّه سمية، كان رجلاً ورعاً، مات في أيام معاوية. ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٥.

(٢) نافع: هو نافع بن الحارث بن كلدة، الثقفي، أخو أبي بكرة من أمّه سمية. ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٧٠.

(٣) شبل: هو شبل بن عبيد الله بن الحارث بن عمرو بن علي، أخو أبي بكرة ونافع من أمّهها سمية. ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ٣٨٥.

(٤) هو زياد بن أبيه، الأخ الرابع من سمية أيضاً.

(٥) ينظر: ابن شبة النميري، أخبار البصرة: ص ١٧٣ - ١٧٥؛ والجوهري، السقيفة وفلك: ص ٩٣ - ٩٤.

وأقام الحَدَّ عَلَى الشُّهُودِ التَّلَاثَةِ بِتَهْمَةِ الْقَذْفِ^(١).

وَرُوِيَّ: أَنَّ أَبَا بَكْرَةَ حَلَفَ أَنْ لَا يُكَلِّمَ زِيادًا مَا عَاشَ، فَلَمَّا ماتَ أَبُو بَكْرَةَ، أَوْصَى أَنْ لَا يُصْلَى عَلَيْهِ زِيادًا، فَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو بَرْزَةُ الْأَسْلَمِيُّ^(٢)، وَحَفَظَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ ذَلِكَ لِزِيادَ وَشَكْرَهُ^(٣)، وَذُكِرَ أَنَّ أَمًّا جَمِيلَ كَانَتْ تَخْتَلِفُ إِلَى الْمُغِيرَةِ فِي الْكُوفَةِ فِي حَوَائِجِهَا فَيَقْضِيهَا لَهَا^(٤).

أَوْلُ مَنْ ارْتَكَبَ جَرِيمَةَ تَزوِيرِ الْكِتَابِ الرَّسْمِيَّةِ فِي الْبَصَرَةِ

ظَهَرَتْ جَرِيمَةُ تَزوِيرِ الْكِتَابِ الرَّسْمِيَّةِ فِي الْبَصَرَةِ فِي وَقْتٍ مُبْكِرٍ، فَكَانَ أَوْلُ مَنْ زَوَّرَ كَتَابًا هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ سَلِيْمَانَ^(٥)؛ إِذْ رُوِيَّ: أَنَّهُ افْتَعَلَ كَتَابًا عَنْ لِسَانِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، يَقْضِي بِإِقْطَاعِهِ أَرْضًا تُعْرَفُ بِالْقَاسِمِيَّةِ^(٦)، وَيَبْدُو أَنَّ التَّجْرُؤَ عَلَى افْتَعَالِ كَتَابٍ رَسْمِيٍّ عَنْ لِسَانِ الْحَاكِمِ تَقْفَ وَرَاءَهُ عَوَامِلٌ مُشَجِّعَةٌ عَلَى تَمْرِيرِ هَذَا الْفَعْلِ؛ إِذْ إِنَّ اضْطِرَابَ الْأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ كَانَ عَامِلًا مُشَجِّعًا لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلِيْمَانَ وَغَيْرِهِ عَلَى ارْتَكَابِ مُخْتَلِفِ الْجَرَائِمِ، مُسْتَغْلِلِينَ سَوءَ الْأَوْضَاعِ وَالاضْطِرَابَاتِ^(٧)،

(١) يُنْظَرُ: الْجَوَهْرِيُّ، السَّقِيقَةُ وَفِدْكُ: ص ٩٤.

(٢) أَبُو بَرْزَةُ الْأَسْلَمِيُّ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَضْلَةَ، وَقِيلَ: نَضْلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، شَهِدَ فَتحَ مَكَّةَ، وَنُزِلَ الْبَصَرَةُ، ثُمَّ غَزَّا خَرَاسَانَ، فَهَاتَ بِهَا. أَبْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتُ: ج ٤، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) الطَّبَرِيُّ الشِّعْعَيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ بْنُ رَسْتَمٍ (تَوْفِيقُ أَوَّلَيْ أَوَّلِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهِجْرِيِّ)، الْمُسْتَرْشِدُ فِي إِمَامَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ}، (تَحْقِيقُ الشَّيْخِ أَحْمَدِ الْمُحَمْمُودِيِّ)، ط ٢، مؤسَّسَةُ الْثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - قَمَ/د.ت: ص ١٦٢.

(٤) يُنْظَرُ: الْجَوَهْرِيُّ، السَّقِيقَةُ وَفِدْكُ: ص ٩٦.

(٥) لَمْ نُعْثِرْ عَلَى تَرْجِمَةٍ لَهُ، سَوْيَ مَا ذُكِرَ أَعْلَاهُ، فَهُوَ مُولَى زِيادَ بْنِ أَبِيهِ.

(٦) يُنْظَرُ: الْبَلَادِرِيُّ، الْبَلَدَانُ وَفَتوَحُهَا: ص ٤٦.

(٧) الْكَنَانِيُّ، مُصْطَفَى سَالِمٍ حَازِمٍ، جَرِيمَةُ التَّزوِيرِ فِي الْكِتَابِ الرَّسْمِيِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ

كما أن استغلال التفوذ والمكانة من رجالات السلطة يُعد عاملاً مشجعاً آخر على ارتكاب التزوير وتمريره^(١). فالقاسم بن سليمان مولى زياد، وكان مقرّباً من آل زياد، فهو أكثر من غيره قدرةً على الاحتيال والتزوير.

أول من ارتكب جريمة شهادة الزور في البصرة

كانت أول جريمة شهادة زور في البصرة تلك المتعلقة بالشهادة على المغيرة بن شعبة حين ارتكابه لجريمة الزنا؛ إذ تم استدعاء الشهود الأربع، وهم: (أبو بكرة نفيع، وأخوه: نافع، وسبيل، وزياد)، فأدلى الثلاثة شهادة تامة، إلا إن رابعهم وهو زياد - خالف تلك الشهادة بالتمويه، ونظرًا إلى عدم إثبات شهادته بالواقعة، فقد دُرِئ الحد عن المغيرة، ونجا من العقوبة؛ لذا، فإن زياد بن أبيه هو من شهد شهادة زور في جريمة وقعت في البصرة^(٢)، والظاهر أنها - أيضًا - أول شهادة زور في الإسلام.

أول من ارتكب جريمة الرشوة في البصرة

إن أشد حالات الرشوة وطأة تلك التي تلقّاها القضاة^(٣)، فالقاضي ينبغي أن

الإسلامية لغاية (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)، دراسةٌ تاريخيةٌ، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة البصرة / ٢٠١٤ م)؛ ص ٤٥-٤٩.

(١) يُنظر: مصطفى سالم الكناني، جريمة التزوير في الكتب الرسمية؛ ص ٥٣-٥٦.

(٢) يُنظر: الجوهرى، السقيفه وذك: ص ٩٤.

(٣) الماجد، مبارك حسن ذياب، جريمة الرشوة في الدولة العربية الإسلامية لغاية سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)، دراسةٌ تاريخيةٌ (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة - كلية الآداب / ٢٠١٤ م)؛ ص ٧٥، ٧٧، ٨١، ١٢٣، ١٧١.

يكون عادلاً، أو تتوافر فيه شروط العدالة، كالصدق والأمانة وعدم الطّمع^(١)، وبقدر ما يكون القاضي عادلاً في الحكم تتحقق العدالة في المجتمع. وفي البصرة، ذُكِرَ أنَّ الحجّاج بن أرطأة^(٢) (٧٤٩ هـ / ١٣٢ م)، أوّل قاضٍ ارتضى، أو أخذ الرّشوة فيها^(٣).

أوّل قاضٍ جارٍ في الحكم

رُويَ عن الرّسول ﷺ قوله في التشدد في أمر اختيار وتعيين القضاة: «القضاة ثلاثة: واحدٌ في الجنة، وأثنانٌ في النار، فأما الذي في الجنة، فرجلٌ عرفَ الحقَّ، فقضى به، ورجلٌ عرفَ الحقَّ فجَارٌ في الحكم، فهو في النار، ورجلٌ قضى للناس

(١) الماوردي، أبو الحسن، عليٌّ بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ)، أدب القاضي، (تحقيق: محي هلال السّرحان، جامعة بغداد ١٩٦٩ م): ج ٢، ص ٤٣٠؛ وسلمى عبد الحميد الهاشمي، أخبار القضاة لوكيع مصدرًا: ص ١٤٣.

(٢) دافعَ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَمِينِ عَنِ الْحَجَاجِ بْنِ أَرْطَاءَ، وعَدَّ مَا نُسِّبَ إِلَيْهِ مِنْ أَخْذِ الرَّشْوَةِ مُجَرَّدَ تَهْمَةً، أَصْقَبَهَا بِالْأَصْمَعِيِّ بِدَافِعِ التَّحَامِلِ عَلَى الشِّيَعَةِ، وَقَالَ: «فَمَتَى كَانَ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي الرُّوَاةِ، جَرَحًا وَتَعْدِيلًا - خَصْوَصًا إِنْ كَانُوا مِنْ أَتَابِعِ أَهْلِ الْبَيْتِ - الْمَعْلُومُ انْحِرَافُهُ عَنْهُمْ»، يُنْظَرُ: أعيان الشّيعة، (تحقيق وتخريج: حسن الأمين)، دار المعارف للمطبوعات - بيروت / ١٩٨٣ م): ج ٤، ص ٥٦٤، ٥٦٢، وما يجدر ذكره أنَّ الحجّاج بن أرطأة لم يكن من شيعة أهل البيت عليه السلام، بل إنه من شيعة بني العباس، ومن المقربين لأبي جعفر، المنصور العباسى، وليس لأبي جعفر الباقير عليه السلام، كما أكد ذلك السَّيِّدُ الْخُوَرَقِيُّ، في معجم رجال الحديث، ج ٥، ص ٢١٢، وقد توهَّمَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ فِي ذَلِكَ، يُنْظَرُ (أوّل قاضٍ للعباسيين في البصرة)، ص ٦٨، هامش (٤).

(٣) يُنْظَرُ: وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ٥١؛ وابن عدي، الكامل: ج ٢، ص ٢٢٣؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٨، ص ٢٢٨؛ والذّهبي، سير أعلام النّبلاء: ج ٧، ص ٧٢.

على جهل فهو في النار»^(١).

وقد اشتهر العديد من القضاة بالجور في الحكم، جهلاً أو عن قصد وإصرار، تدفعهم إلى ذلك الأهواء والأطامع. وفي البصرة، اشتهر القاضي بلال بن أبي بُردة^(٢)، بأنه أول من جار في الحكم، فكان يتقاضى إليه الرجالان، فيقضي لأحدهما بلا بيّنة، ويقول: «ربما تقدم إلى الخصمان، فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر، فأحكم له»^(٣)، وروي: أنَّ رجلاً قدم إلى بلال في دينِ لُهُ، فأقرَّ الرَّجُل بِهِ،

(١) يُنظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث، السجستاني (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، (تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة-بيروت/١٩٩٠م): ج٢، ص١٥٨؛ وابن أبي جمهور، الأحسائي، الشيخ محمد بن علي (ت٨٨٠هـ)، عواي الالالي العزيزية في الأحاديث الدينية، (تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، ط١، سيد الشهداء-قم/١٩٨٣م): ج٢، ص٣٤٢؛ والسيوطى، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، الجامع الصغير (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت/١٩٨١م): ج٢، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٢) بلال بن أبي بُردة: عامر بن عبد الله بن موسى بن قيس، أبو عمرو، ويُقال: أبو عبد الله، الأشعري، البصري، ولد إمرة البصرة سنة (١٠٩هـ)، وجمع له القضاء مع الولاية، فلم يزل قاضياً حتى قدم يوسف بن عمر سنة (١٢٠هـ)، فعزله، وكان بلال قد جمعت له الشرطة والصلة والقضاء، يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج٢، ص٢٦؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج١٠، ص٥١٢، ٥٠٧.

(٣) أبو هلال العسكري، الأوائل: ص١١٣، وبلفظ مشابه، يُنظر: الراغب الأصفهانى، أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل (ت٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (تحقيق: عمر الطباع، دار القلم-بيروت/١٩٩٩م): ج١، ص١٠٣؛ وابن حدون، محمد بن الحسن (ت٥٦٢هـ)، التذكرة الحمدونية، (تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط٢، دار صادر-بيروت/١٩٩٦م): ص٣٣؛ والأبيشى، شهاب الدين، محمد بن أحمد (٨٥٠هـ)، المستطرف في كُلِّ فنٍ مستطرف، (تحقيق: مفید محمد قمیحة، ط٢، دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٨٦م): ج١، ص٢٢١؛ والبسنوی، محاضرات الأوائل: ص٩٧.

فقال المَدْعِي: «يُعطيني حَقّي، أو نحبسه بِإقرارِه»، فقال بلال: «إِنَّهُ مُفْلِسٌ»، فقال المَدْعِي: «لَمْ يذْكُر إِفْلَاسَهُ»، فأجَابَ بلال: «وَمَا حاجَتُهُ إِلَى ذِكْرِهِ وَأَنَا عَارِفٌ بِهِ؟ فَإِنْ شَئْتَ أَحْبِسْهُ، فَالْتَّزِمْ نَفْقَةَ عِيَالِهِ، فَانْصَرِفْ إِلَيْهِ، وَتَرَكْ خَصْمَهُ»^(١).

- أَوَّلُ الْوَظَائِفِ الإِدَارِيَّةِ فِي الْبَصْرَةِ وَالْعَامِلِينَ فِيهَا

شهدت البصرة شأنها شأن بقية الولايات الإسلامية استحداث العديد من الوظائف التي رافق تَطْوِير المؤسسات الإدارية وتوسيعها؛ إذ أصبحت الحاجة ماسةً إلى ظهور التخصص في العمل، بما يُسَهِّل في تسيير إدارة الدولة وتنظيمها الإدارية، وكانت تلك الوظائف كالتالي:

أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ كَاتِبًا لِوَالِي الْبَصْرَةِ

ظهرت وظيفة كاتب الولي لأول مرّة إبان ولاية المغيرة بن شعبة (١٥ هـ / ٦٣٦ م)، وقيل: في ولاية أبي موسى الأشعري (١٧ هـ / ٦٣٨ م)؛ إذ رُويَ أنَّ زيداً كان قد استكتبه أبو موسى الأشعري^(٢)، وفي رواية أخرى استكتبه المغيرة ابن شعبة، ثمَّ بعد ذلك عمل كاتباً لأبي موسى الأشعري^(٣). ويبدو أنَّ الأرجح هو أنَّ المغيرة بن شعبة أول من اخْتَدَ زيداً كاتباً له؛ إذ اصطحبه معه إلى البصرة حينما

(١) أبو هلال العسكري، الأَوَّلُ: ص ١١٣.

(٢) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩، ص ١٦٢؛ وابن خلگان، شمس الدين، أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان، (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة- بيروت/ د.ت): ج ٦، ص ٣٥٦؛ وابن شاكر الكتباني، فوات الوفيات: ج ١٥، ص ٦.

(٣) يُنظر: أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٠٣؛ والمقدسي، البداء والتاريخ: ج ٦، ص ٢.

تولى إدارتها^(١).

وذكر أن الأشعري كان له كاتب نصراوي، وقيل: إن عمر أبدى امتعاضه من استخدام كاتب نصراوي^(٢)، وجاء - أيضاً: أن ذلك الكاتب لحن، فأمر عمر بضربه^(٣)، ومما يكن من أمير، فلو كان المغيرة، أو أبو موسى الأشعري، هو من استكتب زياداً، فإن زياداً هو أول من عمل كاتباً لواي البصرة.

أول كاتب في ديوان العطاء

ذكر أن عبد الله بن خلف، الخزاعي، أبا طلحة الطلحات^(٤)، أول من عمل كاتباً في ديوان البصرة^(٥)، واستمر في عمله هذا طول حكم عمر وعثمان^(٦).

أول من تولى ديوان الخراج

روي: أن عمر بن الخطاب كتب كتاباً إلى أهل البصرة أن يبعثوا رجلاً من أخيرهم وأصلحهم، فبعث إليه أهل البصرة الحجاج بن علّاط^(٧)، فاستعمله على

(١) يُنظر: أبو حنيفة الدِّينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٠٣.

(٢) يُنظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ج ١٣، ص ٣٨٥.

(٣) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٨٦.

(٤) عبد الله بن خلف، الخزاعي، عمل كاتباً على ديوان البصرة، قُتل يوم الجمل سنة (٤٣٦هـ). ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٥، ص ٦٦.

(٥) يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ: ج ١، ص ١١٢؛ والطبرى، تاريخ: ج ٥، ص ٢٤، وابن عبد ربّه، الأندلسي، العقد الفريد: ج ٤، ص ١٤٩، وابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٤، ص ٦٥.

(٦) يُنظر: ابن حبيب، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، المحرر، (مطبعة الدائرة/ ١٣٦١هـ): ص ٣٧٧.

(٧) الحجاج بن علّاط بن خالد بن ثويرة بن حشر، أبو كلاب، السّلمي، من بنى بهلة بن سليم، له صحبة، أسلم عام خير، سكن المدينة، ثم تحول إلى الشّام، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة

خارج أرضه^(١).

أول من تولى عشرة^(٢) أرض البصرة

و ضمن النظم الإدارية المالية، فقد كان مجاشع بن مسعود، السلمي^(٣)، على أرض البصرة و صدقاتها^(٤).

أول ضامن لأرض البصرة

بعد أن أصبح ضمان الخراج أمراً سائداً في العصور العباسية، فقد كان أبو يوسف، يعقوب بن محمد، البريدي^(٥)، أول من ضمن البصرة؛ إذ بذل أربعة آلاف درهم مقابل حصوله على ضمان البصرة^(٦).

دمشق، ج ١٢، ص ١٠١؛ و ابن ماكولا، أبو نصر، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ)، إكمال الكمال، دار الكتاب الإسلامي للطباعة والنشر-القاهرة/د.ت): ج ١، ص ٥٦٠.

(١) يُنظر: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ)، الخراج، (القاهرة/١٣٤٦هـ): ص ١٣٥.

(٢) العشر: جمع عشر، والعشر الجزء من أجزاء العشرة، والعشار، أي: قابض العشر، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٥٧٠، والطريحي، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٠.

(٣) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عائذ بن ربيعة، الثقفي، بايع رسول الله عليه السلام على الهجرة، قُتل يوم الجمل سنة (٣٦هـ) مع علي^{عليه السلام}. ابن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار: ص ٥٠؛ والخزرجي الأنباري، صفي الدين، أحمد بن عبد الله (ت بعد ٩٢٣هـ)، خلاصة تهذيب الكمال، (قدم له ونشره: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٤، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١١هـ): ص ٣٩٥.

(٤) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٦، ص ٥٥٣؛ والشيخ الأميني، عبد الحسين ابن أحمد، الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، (دار الكتاب العربي-بيروت/د.ت): ج ٦، ص ٢٧٥.

(٥) يُنظر: الهمداني، تكملة تاريخ الطبرى: ج ١، ص ٩٩.

أول من عين على جباية عشرة التجارة

نظرًا إلى أهمية البصرة التجارية، فقد أصبحت الأبلة مركزاً لجباية العشرة، وقد ولّى عشرة الأبلة أيام عمر بن الخطاب نافع بن الحارث بن كلدة^(١).

أول من عمل ساعيًا في البصرة

بعث عمر بن الخطاب سفيان بن مالك^(٢) ساعيًا في البصرة^(٣)، ويبدو أن عمله كان يتعلّق بجباية الصدقات من أصحاب الماشية والغنم؛ إذ جاء: أن سفيان ابن مالك طلب من عمر إففاءه من العمل بعد أن اتهمه الناس بالظلم، قائلًا: «يقولون: يُعد علينا السخّلة، فقال عمر: فعدوها، وإن جاء بها الراعي يحملها على كتفه، قال: أَوَلَيْس تدع لهم الربّي^(٤)، والأكيلة^(٥)، والماхض^(٦)، وفحل الغنم؟»^(٧).

(١) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٦، ص ٥٥٣.

(٢) الساعي: يُقال للعامل على الصدقات ساع، وجمعه: سعة، والسعة ولادة الصدقة، وبه سُمي عامل الزكاة الساعي، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٣٨٦.

(٣) سفيان بن مالك، ورد أنه من جملة الرجال الذين كانوا يجتمعون في بيت مارية بنت منقذ العبدية في البصرة، التي كان بيتها مألفاً للشيعة، يُنظر: شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، أنصار الحسين، (ط ٢، الدار الإسلامية/١٩٨١) م: ص ٩٣.

(٤) يُنظر: أبو يوسف، الخراج: ص ٩٨.

(٥) الربّي: التي تربى في البيت من الغنم من أجل اللبن، وقيل: هي الشاة القريبة العهد بالولادة، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٤٠٢.

(٦) الأكيلة أو الأكلة: التي تُسمّن وتُعد للاكل، وقيل: هي الخصي والهرمة والعاقر من الغنم، يُنظر: الطريحي، فخر الدين (ت ١٠٨٥ هـ)، جمع البحرين، (ط ٢، طراوت/١٣٦٢ ش): ج ٥، ص ٣٠٨.

(٧) الماخص: ناقة مخصوص ومحظوظ، وهي التي ضربها الماخص، وناقة مخصوص وشاة مخصوص، وامرأة مخصوص، إذا دنا ولادها. ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ٢٢٨.

(٨) أبو يوسف، الخراج: ص ٩٨.

أول من أنشأ ديوان العطاء في البصرة

في مجال التنظيم المالي لولاية البصرة، فإن المغيرة بن شعبة أول من وضع ديوان العطاء، وجمع الناس ليعطوا عليه^(١)، وقيل: إن ما فعله المغيرة في البصرة صار رسماً بعد ذلك^(٢).

أول من تولى بيت المال في البصرة

شغل عبد الرحمن بن أبي بكرة^(٣)، وظيفة صاحب بيت المال، وكان أول من تولى هذه الوظيفة في البصرة^(٤).

أول من عرف العُرَفَ في البصرة^(٥)

كان زياد بن أبيه أول من عَرَفَ العُرَفَ على الناس لجباية المال، وجعل عليهم

(١) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦، ص ١٦؛ وابن الجوزي، المتنظم: ج ٥، ص ٣١٨؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٤، ص ٤٠٧؛ وابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ج ١٠، ص ٢٣٥.

(٢) يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٦، ص ٨٩.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكرة، واسم أبي بكرة، نفيع بن الحارث، ولد سنة (١٤ هـ)، وكان ثقةً له أحاديث، توفي سنة (٩٦ هـ)، وقد شارف التسعين، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٦، ص ٧، ١٥.

(٤) يُنظر: البلاذري، أنساب: ج ٢، ص ١٤٠؛ وابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ج ٦، ص ١٣٥.

(٥) العُرَفَ: جمع عريف، وهو القيّم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يلي أمورهم، ويتعارف الأمير منه على أحواهم. ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ٢٣٨.

المناكب^(١)، وكان يقول: «العرفاء كالأيدي، والمناقب فوقها»^(٢).

- الأوائل في مجال الشرطة والحرس

ضمن الإجراءات الأمنية، كان هناك مجموعة من الوظائف المستحدثة في البصرة، وأوائلها كما يأتي:

أول صاحب شرطة

قيل: إن أولَ مَنْ اتَّخَذَ صاحبَ شرطة هو عثمان بن عفان^(٣)، فكان أولَ صاحبِ شرطةٍ في البصرة زيد بن جبلة^(٤)، الذي عيَّنه والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز، فهو أولُ مَنْ اتَّخَذَ صاحبَ شرطة في البصرة^(٥). في الوقت الذي ورد: أنَّ الإمامَ علياً^{عليه السلام} كان أولَ مَنْ استحدثَ جهازَ الشرطة^(٦)، فاستعمل عثمان بن

(١) المناكب: قوم دون العرفاء، واحدهم: مُنْكِب، ويقال: المناكب رأس العرفاء. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٧٧٢.

(٢) أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٤؛ وينظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ج ١، ص ٤٨٣.

(٣) ينظر: ابن خياط، تاريخ: ج ١، ص ١٣٣؛ وابن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٦٨؛ والنويري، نهاية الأرب: ج ٥، ص ٣٢١؛ والقلقشندي، صبح الأعشى: ج ١، ص ٤٧١.

(٤) زيد بن جبلة بن مرداس بن عبد قيس، السعدي، البصري، أحد الفصحاء، كان شريفاً في قومه، قيل: إنه تولى شرطة البصرة لابن عامر. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٥٣١.

(٥) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٧، ص ٧٢.

(٦) ينظر: الحصونة، رائد حمود، نشأة السجون وتطورها في الدولة العربية الإسلامية، (رسالة ماجستير، جامعة البصرة- كلية الآداب / ٢٠٠٢م): ص ٤١.

حنيف^(١)، والي البصرة لعليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حُكَيْمَ بن جَبَلَةَ^(٢) على شرطة البصرة^(٣).

أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ فِي حِرَاسَةِ بَيْتِ الْمَالِ

إِنَّ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ فِي الْحِرَاسَةِ لِبَيْتِ الْمَالِ هُمُ الْسَّيَابِجَةُ، الَّذِينَ تُولَّوْ حِرَاسَةَ بَيْتِ الْمَالِ فِي الْبَصْرَةِ إِبَانَ خِلَافَةِ الْإِمَامِ عَلَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَاعِينَ، وَقِيلَ: أَرْبَعَمِائَةَ، يَرْأُسُهُمْ أَبُو سَالِمَةَ، الزُّطِّيُّ، وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ^(٤).

أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحَرْسَ الْخَاصَّ مِنَ الْوَلَاةِ

ذُكِرَ: أَنَّ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الْحَرْسَ الْخَاصَّ فِي الْبَصْرَةِ، فَكَانُوا خَمْسَيَّةَ رَجُلٍ، وَقِيلَ: كَانُوا لَا يُفَارِقُونَ الْمَسْجِدَ^(٥)، وَجَاءَ -أَيْضًا- أَنَّ زِيَادًا زادَ فِي أَعْدَادِ أَفْرَادِ الشُّرْطَةِ، وَجَعَلَهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافَ ضَمِّنَ إِجْرَاءِهِ لِتَثْبِيتِ السُّلْطَةِ لِمَعَاوِيَةَ وَلِبَنِي أُمَّيَّةَ^(٦). وَقِيلَ لِزِيَادَ: «إِنَّ السَّبِيلَ مَخْوَفَةً»، فَقَالَ: «لَا أَعْانِي^(٧) شَيْئًا وَرَاءَ الْمِصْرِ حَتَّى أُصْلِحَ الْمِصْرَ، فَإِنْ غَلَبْنِي، فَغَيْرُهُ أَشَدُّ غَلَبَةً مِنْهُ»^(٨).

(١) عثمان بن حنيف بن واهب بن حكيم بن ثعلبة، الأنصاريُّ، الأوسيُّ، أبو عبد الله، وجَهَهُ عمر على خراج السّواد، وأمره أن يمسح السّواد عامراً وغاماً، واستعمله الإمامُ عَلَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ على البصرة، هجم عليه أصحاب طلحة والزبير وضربوه، ثم حبسهُ سنة (٣٦هـ)، توقيٍّ أيام معاوية. الذهبيُّ، سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ٢٢٠، ٢٢٢.

(٢) تُنْظَرْ ترجمَتُهُ فِي الفَصْلِ الْأَوَّلِ (أَوَّلُ مَعَارِضَةٍ سِيَاسِيَّةٍ).

(٣) يُنْظَرْ: ابن خلگان، وفيات الأعيان: ج ٧، ص ٦٠.

(٤) يُنْظَرْ: البلاذرِيُّ، البلدان: ص ٤٢١.

(٥) يُنْظَرْ: التّوَيْرِيُّ، نهاية الأرب: ج ٥، ص ٤٠٨؛ وابن خلدون، تاريخ: ج ٣، ص ١١.

(٦) يُنْظَرْ: التّوَيْرِيُّ، نهاية الأرب: ج ٥، ص ٤٠٨.

(٧) ربّما يقصد: لا يعني شيءٌ يقعُ خارج مصر (البصرة).

(٨) ابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ٣٠٧.

ورُويَ: أَنْ زِياداً أَوْلُ مَنْ سُيِّرَ بَيْنِ يَدِيهِ بِالضَّرْبِ، وَمُشَيَّ بَيْنِ يَدِيهِ بِالْأَعْمَدةِ^(١).

أَوْلُ مَنْ اتَّخَذَ حَرْسًا خَاصًا مِنَ الْقَضَا

إِنْ أَوْلَ مَنْ اتَّخَذَ الْحَرْسَ الْخَاصَّ مِنْ قَضَا الْبَصَرَةِ هُوَ الْقَاضِي الْحَجَاجُ بْنُ أَرْطَاءَ، فَقَدْ ذُكِرَ: أَنَّهُ أَوْلُ مَنْ شُوَهِدَ يَمْشِي بَيْنِ يَدِيهِ بِالْكَافِرِ كَوْبَاتٍ^(٢)، حِينَما تَوَلَّ قَضَا الْبَصَرَةَ^(٣).

أَوْلُ مَنْ جَمَعَ لَهُ شَرْطَةَ الْبَصَرَةِ وَالْكَوْفَةِ

خَلَالِ وِلَايَةِ الْحَجَاجِ بْنِ يَوسُفِ، التَّقْفِيُّ، عَلَى الْعَرَاقِ (٧٥-٦٩٤ هـ/ ٧١٣ م)، تَمَّ جَمَعُ شَرْطَةَ الْبَصَرَةِ وَالْكَوْفَةِ مَعًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبِيدٍ^(٤)؛ نَظَرًا إِلَى شَدَّدَتِهِ، فَكَانَ إِذَا انْحَدَرَ إِلَى الْبَصَرَةِ اسْتَخْلَفَ عَلَى شَرْطَةِ الْكَوْفَةِ ابْنَ أَخِيهِ (مُودُود)، وَإِذَا شَخَصَ عَنِ الْبَصَرَةِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا صَاحِبُ شَرْطَةِ مَنْ قَبْلَهُ^(٥).

- الأوائل في مجال الرقابة على الأسواق

ظَهَرَ الْإِهْتَمَامُ فِي تَنظِيمِ شَؤُونِ الْأَسْوَاقِ وَمَعَالَمَاتِ الْبَيعِ وَالشَّرَاءِ، وَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ إِجْرَاءَاتِ النَّظَافَةِ وَمَنْعِ الغُشِّ وَالتَّدْلِيسِ، وَفَضْ المَنَازِعَاتِ،

(١) يُنْظَرُ: الْبَسْنَوِيُّ، مَحَاضِرُ الْأَوَالِ: ص٨٩.

(٢) الْكَافِرِ كَوبُ: يَظَهُرُ أَنَّ الْكَافِرِ كَوبُ إِحْدَى الْآلاتِ الْمُسْتَخْدَمَةِ لِلضَّرْبِ؛ إِذْ إِنَّ كَلْمَةَ كَوبُ تَعْنِي، ضَرْبَةً، أَوْ لَطْمَةً، يُنْظَرُ: التَّونِجِيُّ، د. مُحَمَّدُ: الْمَعْجمُ الْذَّهَبِيُّ (فَارَسِيٌّ-عَرَبِيٌّ)، (ط١، بَيْرُوت٢١٩٦٩ م).

(٣) يُنْظَرُ: وَكِيعُ، أَخْبَارُ الْقَضَا: ج٢، ص٥١.

(٤) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبِيدِ بْنِ طَارِقِ بْنِ جَعْوَنَةِ بْنِ مَنْقَرٍ، كَانَ عَلَى شَرْطَةِ الْبَصَرَةِ وَالْكَوْفَةِ لِلْحَجَاجِ. السَّمْعَانِيُّ، الْأَنْسَابُ: ج٥، ص٣٩٦.

(٥) يُنْظَرُ: الْعَيْنِيُّ، عَمَدةُ الْقَارِئِ: ج١، ص٣٤٩-٣٥٠.

والإشراف على جباية الضرائب، وكالآتي:

أَوَّلُ مَنْ تَولَّ وظيفة صاحب السُّوق

لعلّ أَوَّل إشارةٍ عَمِّن تولى وظيفة صاحب السُّوق في البصرة سنة (٦٤٥ هـ / ٦٦٥ م) كانت بشأن الجعد النميري^(١)، فقيل: إنّه كان يتولى وظيفة صاحب السُّوق، وكان له معاونان، وأعوان يُساعدونه في مهمّته^(٢).

أَوَّلُ مَنْ فرض (المكس)^(٣) على أسواق البصرة

رويَ: أنَّ عبد الله بن عامر بن كريز حينما أنشأ السُّوق في البصرة^(٤)، جعلَه حُرًّا لا ضريبة عليه^(٥)، أي: لم يفرض ضريبة على أصحاب المهن والبائعين في الأسواق، وأغلب الظنّ أنَّ زياداً كان أَوَّل مَنْ أوجَدَ (المكس) وفرضها على المبيعات داخل أسواق البصرة، وقد أكَّد أحد الباحثين أنَّ زياداً عَيْنَ صاحب مكسٍ في البصرة، وهو جرير بن بيهمس^(٦)، وأشار إلى قيامه بجباية الضرائب من المبيعات في الأسواق، ونقل ذلك الباحث معلوماته هذه عن كتاب البخلاء للجاحظ^(٧)،

(١) الجعد النميري: لم يُعثر على ترجمة له.

(٢) يُنظر: رائد حمود الحصونة، الحسبة: ص ٩٥.

(٣) المكس: الجباية، والمكس: دراهم كانت تؤخذ مِنْ بائع السلع في الأسواق. ابن منظور، لسان العرب: ج ٦، ص ٢٢٠.

(٤) يُنظر الفصل الرابع (أَوَّل مَنْ أنشأ سوقاً في البصرة).

(٥) يُنظر: ابن حبيب، المحرر: ص ١٥٠.

(٦) لم يُعثر على ترجمة له، سوى ما ذُكر من آنه جرير بن بيهمس، المازني، يُنظر: الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، البخلاء، (تحقيق: أحمد العوامري بك وعلي الجارم بك)، دار الكتب العلمية- بيروت / ٢٠٠١ م): ج ٢، ص ٨٧.

(٧) يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ٢٥٢.

ولكن عند مراجعة المصدر المذكور للجاحظ لم نجد أي إشارة تؤكّد صحة ما أدلّ به الباحث، فقد أورد الجاحظ: أن جرير بن بيهم، المازني، استعمله الحكم بن أيوب، الثقفي^(١)، عامل الحجاج على البصرة^(٢)، أي: لم يكن جرير صاحب سوق، أو جائياً لضريبة أو مكس، كما لم يكن أيام زياد، وإنما أيام ولاية الحجاج.

أول من ألغى ضريبة المكس في البصرة

كان عمر بن عبد العزيز (٩٩-٧١٧ هـ / ٦١٠-٧١٩ م) أول من أصدر أمراً يقضي بإلغاء أخذ المكس على المبيعات في أسواق البصرة، وفقاً لكتاب رسمي ووجهه إلى والي البصرة، عدي بن أرطأة^(٣)، جاء فيه: «ضع عن الناس المكس، وليس بالمكس، ولكنه البخس...»^(٤).

(١) الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود، الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف، الثقفي، استعمله الحجاج على البصرة سنة (٧٥ هـ)، قتلته صالح بن عبد الرحمن الكاتب مع جماعة من آل الحجاج بأمر سليمان بن عبد الملك. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٥، ص ٣، ٤، ٨.

(٢) ينظر: البخلاء: ج ٢، ص ٨٧.

(٣) عدي بن أرطأة بن جدابة بن لوزان، الفارسي، من أهل دمشق، استعمله عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة (٩٩ هـ)، قتلته معاوية بن يزيد بن المهلب سنة (١٠٢ هـ). ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠، ص ٥٧، ٦٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٣٨٣.

الفَصلُ الثَّالِثُ

الأوائلُ في الجانِبِ الْعُمْرَانِيِّ

الفَصْلُ التَّالِثُ

الأوائلُ في الجانبِ الْعُمْرَانِيِّ

كانت للبصرة في الجانب العُمرانيّ الريادة في استحداث العديد من الوحدات العُمرانية والخطط المهمة؛ إذ سرعان ما ازدهرت فيها حركة البناء والإعمار، كما سيتّم إيضاحه في أدناه:

أوَّلُ مَنْ مَصَرَّ البَصَرَةَ وَاخْتَطَّ خَطَطَهَا (١٤/٦٣٥ هـ)

تُعدُّ البصرة أوَّل مدينة إسلامية مُصَرَّت خارج الجزيرة العربية، وأن عتبة بن غزوan أوَّل من نزلها واحتَطَّ خطَطَها سنة (١٤/٦٣٥ هـ)^(١)، وذُكر: أن عتبة نزل الحُرْيَة، وكانت مسلحة للأعاجم، فكتبَ إليه عمر أن ينزل بمن معه في موضعٍ قريبٍ من الماء والمرعى، فأقبل إلى موضع البصرة، وضرب بها الخيام والقباب والفساطيط، ولم يكن لهم بناءً واحداً^(٢).

أوَّلُ مَنْ حَكَّ المسجد الجامع في البَصَرَة

حينما نزل عتبة البصرة سنة (١٤/٦٣٥ هـ)، باشر البناء فيها بالقصب^(٣)، وكان

(١) يُنظر: ابن خيّاط، الطبقات: ص ٣١٠؛ والمسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين (ت ٦٣٤ هـ)، التبيه والإشراف، (دار صعب-بيروت/د.ت): ص ٣٠٩؛ والبسنوبي، محاضرة الأوائل: ص ٢٢.

(٢) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٣٨٩، ٣٨٨.

(٣) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٣٩٣، ٣٩٤.

أوّل ما اخْتُطَ في البصرة هو المسجد الجامع، وهناك اختلاف في تحديد الشّخص الذي تولّى بناء المسجد، فقيل: اخْتَطَه عتبة بن غزوان بيده، وبناه بالقصب سنة (١٤ هـ / ٦٣٥ م)^(١)، وقيل: إنّ محجن بن الأدرع، الأسلمي^(٢)، هو أوّل من اخْتَطَ مسجد البصرة^(٣)، ورويَ: أنّ عتبة حينما نزل البصرة كان قد أمر محجن بن الأدرع، فخطَّ مسجد البصرة الأعظم وبناه بالقصب^(٤).

وهناك مَنْ يرى أنَّ مسجد البصرة اخْتَطَه أبو عبد الله، نافع بن الحارث بن كلدة حين خطَّ داره^(٥)، إِلَّا إِنَّ الرَّأْيَ الرَّاجح باتفاق أغلب المصادر أنَّ عتبة بن غزوان هو أوّل مَنْ خَطَّ مسجد البصرة وبناه بالقصب.

(١) يُنظر: ابن قتيبة الدِّينوريُّ، المعرف: ص ٥٦٣؛ والبلاذريُّ، البلدان: ص ٣٩٤؛ واليعقوبيُّ، تاريخ: ج ٢، ص ١٤٣؛ وابن حبان البستيُّ، الثقات: ج ٢، ص ٢١٢؛ ومشاهير علماء الأمصار: ص ٦٥؛ والذهبيُّ، العبر: ج ١، ص ١٧، وقد أورد الخطيب البغداديُّ أنَّ عتبة بن غزوان اخْتَطَ المسجد وبناه بالقصب سنة (٢٠ هـ)، وهذا وهمٌ، إذ إنَّ عتبة توفي سنة (١٤ أو ١٦ هـ)، أو ربما (١٧ هـ)، كما ذكر الخطيب البغداديُّ ذلك بنفسه في موضع آخر، فكيف يكون قد مصرَّ البصرة واخْتَطَ مسجدها سنة (٢٠ هـ)، يُنظر: تاريخ بغداد: ج ١، ص ١٦٧، وينظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٢، ص ٣٣٥.

(٢) محجن بن الأدرع، الأسلميُّ، سكن البصرة، وله فيها دارٌ في سكة المربد، مات في آخر أيام معاوية، يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ: ص ٣١٠؛ وابن حجر العسقلانيُّ، تهذيب التهذيب: ج ١٠، ص ٤٩.

(٣) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٢؛ والبلاذريُّ، البلدان: ص ٣٩٤؛ وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٨، ص ٣٧٥؛ وابن حجر العسقلانيُّ، تهذيب التهذيب: ج ١٠، ص ٤٩.

(٤) يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ: ج ١، ص ٨٧؛ والطبقات: ص ٣١٠؛ وذكره الصَّفديُّ باسم محجن بن الأدمع، الواقي بالوفيات: ج ١٩، ص ٢٩٣.

(٥) يُنظر: البلاذريُّ، البلدان: ص ٣٩٤.

أول من بنى مسجد البصرة باللبن والطين

بني المسجد أول مرّة بِمَادَةِ القصب - كما أسلفنا - إِلَّا إِنْ تغيراً مهماً طرأ على بنائه خلال ولاية أبي موسى الأشعري، الذي كان أول من بناء باللبن والطين، وسقّفه بالعشب^(١).

أول من بنى مسجد البصرة بالأجر

وَضَمِنَ التَّطْوُرُ الَّذِي شَهَدَتْهُ الْبَصْرَةُ فِي مَحَالِ الْبَنَاءِ وَالْإِعْمَارِ أَنْ جَرْتُ إِعْدَادَهُ بِمَادَةِ الْأَجْرِ وَالْحَصْنِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وسقّفه بالساج، وقد أنسد البَعْثُ المَجَاشِعِ^(٢)، قائلاً^(٣) :

بَنَى زِيَادٌ لِذِكْرِ اللَّهِ مَصْنَعَةً مِنَ الْحِجَارَةِ لَمْ تُعْمَلْ مِنَ الطِّينِ
وَزِيَادٌ - أَيْضًا - أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الْمَقْصُورَةَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ^(٤).

أول مسجد خاص في البصرة

نظراً إلى توسيع مدينة البصرة وتزايد أعداد سكانها^(٥)، فقد استوجب الأمر التوسيع في وحداتها العمانيّة، ومنها التوسيع في بناء المساجد كي تفي بحاجة

(١) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٣٩٤.

(٢) البَعْثُ المَجَاشِعِ: خداش بن بشر بن خالد، أبو زيد، المَجَاشِعُ، التَّمِيمِيُّ، خطيب شاعر من أهل البصرة، توفي سنة ١٣٤هـ، يُنظر: الزركلي، الأعلام: ج ٢، ص ٣٠٢.

(٣) البلاذري، البلدان: ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٤) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٣٩٥.

(٥) ورد عن صاحب ديوان جند البصرة: أَنَّ عَدْدَ مَقَاتِلَةِ الْعَرَبِ فِي الْبَصْرَةِ أَيَّامَ زِيَادِ كَانَ ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَعِيَالَتِهِمْ مَائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ عَيْلٍ. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤٣.

أهل البصرة؛ إذ أخذ بعض أشراف البصرة وأثريائها ببناء المساجد التي أصبحت منتشرة في أرجاء ونواحي ومحالات البصرة كافة^(١).

وأغلب الظن أن مسجدبني عامر^(٢)، هو أول مسجد خاص ببني في البصرة؛ إذ رُويَ: أن الحسن البصري كان يفضل الأذان في مسجدبني عامر، وأنه رفض أن يقُوم في مسجدبني سلول^(٣)؛ لأن مسجد سلول كان حديث العهد بالبناء، بينما كان مسجدبني عامر أقدم مسجد، وأكَّدَ قائلًا: «وأَحَبُّ الْمَسَاجِدِ إِلَيَّ أَقْدَمُهَا»^(٤)، وهذا يعني أن مسجدبني عامر أقدم مسجد خاص في البصرة وأوّلها.

أَوَّلُ مَسْجِدٍ لشيعة بني أمية في البصرة

من أجل تدعيم سياسة بني أمية في البصرة، وتشجيع أنصارهم وأتباعهم في استيطان البصرة، فقد عمدوه إلى بناء المساجد داخل البصرة لشيعتهم وأنصارهم، وبهذا الشأن ذُكرَ: أن زياد بن أبيه حينما تولى البصرة بنى مساجد لشيعة بني أمية ومن يُغضض الإمام علياً^(٥). ويبدو أن أول مسجد لبني أمية هو مسجدبني

(١) يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) بنو عامر: من قبائل عبد القيس، وقيل: هم الذين في البصرة يُدعون: بنو أم النخل، يُنظر: صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ٩٦.

(٣) بنو سلول: وهم ولد مرّة بن صعصعة أخي عامر بن صعصعة، وأُمّهم سلول بنت ذهل ابن شبيان، وبها يُعرفون. ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر-بيروت/د.ت): ج ٢، ص ١٣١.

(٤) العقيلي، أبو جعفر، محمد بن عمرو (ت ٣٢٢هـ)، الصُّفَفاء، (تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط ٢، دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٩٨م): ج ٣، ص ٤٣٨.

(٥) ذُكرَ أن هذه المساجد هي: (مسجدبني عدي، بني مجاشع، الأساورة، ومسجد الحدان)، يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٣٩.

عدي^(١)، الذي قيل: إنه كان أقرب المساجد مسافةً للمسجد الجامع في البصرة^(٢). وهذا يعني أنه كان أول مسجد لعن فيه الإمام علي^{عليه السلام} في البصرة.

أول مسجد بُني على طراز بناء كابل^(٣) في البصرة

روي: أن عبد الرحمن بن سمرة^(٤) (ت ٥٥٠ هـ / ٦٧٠ م)، أول من بني في البصرة مسجداً على طراز بناء كابل؛ إذ أنه قدم بغلماً من سبي كابل، فعملوا له مسجداً في قصره في البصرة^(٥).

أول من بَنَى دار الإِمَارَةِ في البَصْرَةِ بِالْقَصْبِ

كانت دار الإمارة من أوائل الخطط في البصرة، بناها عتبة بن غزوان بِمَادَّةِ القصب دون المسجد الجامع، في الرَّحَبَةِ^(٦) التي يُقال لها: رَحَبَةُ بَنِي هَاشِمٍ، وكانت تُسمَّى: الدَّهْنَاءُ^(٧).

(١) بنو عدي: من قبائل العالية في البصرة، يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ٨٤.

(٢) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٣٩.

(٣) كابل: ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وغزنة، ونسبتها إلى الهند. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ١١١.

(٤) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، يُكتنِي بأبي سعيد، تحول إلى البصرة، ونزلها ومات فيها سنة (٥٥١ هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٥.

(٥) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٤٤٢.

(٦) رَحَبَةُ المسجد: الساحة المنبسطة، وجمعها: رَحَبات. الطريحي، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٦٩.

(٧) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٣٩٤.

أَوَّلُ مَنْ بَنَى دَارَ الإِمَارَةِ بِاللَّبِنِ وَالطَّينِ

وأعاد أبو موسى الأشعري بناء المسجد الجامع باللبن والطين، فإنه أعاد بناء دار الإمارة باللبن والطين أيضًا.^(١)

أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ مَكَانَ دَارِ الإِمَارَةِ

شرع زياد خلال ولايته على البصرة بتحويل موقع دار الإمارة من الدهناء إلى قبلة المسجد، وقال: «لا ينبغي للإمام أن يتخطى الناس»^(٢).

أَوَّلُ مَنْ هَدَمَ دَارَ الإِمَارَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَعَادَ بَنَاءَهَا

لما قدم الحجاج بن يوسف، الثقفي، إلى العراق سنة (٦٩٤هـ / ٧٥م)، أخبر أن زياداً ابني دار الإمارة في البصرة، فأراد أن يُزيل اسمه عنها، فهم بنائها بالجص والآجر، فقيل له: «إنما تزيد اسمه فيها ثباتاً وتوكيداً»، فهدمها^(٣)، فالحجاج أول من هدم دار الإمارة، وظللت البصرة خالية من دار لإمارة حتى تولى سليمان بن عبد الملك الحكم (٩٦-٧١٧هـ / ٧١٤م)، فحدّثه صالح بن عبد الرحمن^(٤)،

(١) يُنظر: البلاذريُّ، البلدان: ص ٣٩٤.

(٢) البلاذريُّ، البلدان: ص ٣٩٤.

(٣) البلاذريُّ، البلدان: ص ٣٩٦.

(٤) صالح بن عبد الرحمن، أبو الوليد الكاتب، من أهل البصرة، كان أبوه من سبي سجستان سنة (٣٠هـ)، واشتراهم امرأة من بني النزال أحد بنى مرّة بن عبيد، فأعتقهم، فتعلم صالح كتابة العربية والفارسية وكان فصيحاً، وهو أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية، وعامة من تخرج من كتاب البصرة والковفة فبصالح تخرج، ولأه سليمان خراج العراق، وأقره عمر بن عبد العزيز، ثم استغفاه فأغفاه، ولما ولـ يـ زـ يـ دـ بنـ عـ بـ رـ حـ ، كـ تـ عـ مـ رـ بـ هـ بـ يـ رـ إـ لـ يـ زـ يـ دـ بنـ عـ بـ رـ حـ ، كـ تـ عـ مـ رـ بـ هـ بـ يـ رـ إـ لـ يـ زـ يـ دـ بنـ عـ بـ رـ حـ ، يـ زـ يـ دـ بنـ عـ بـ رـ حـ ، كـ تـ عـ مـ رـ بـ هـ بـ يـ رـ إـ لـ يـ زـ يـ دـ بنـ عـ بـ رـ حـ ، تـ اـ رـ يـ خـ دـ مـ دـ شـ قـ : جـ ٣ـ ، صـ ٣٤٣ـ - ٣٤٤ـ .

بما فعل الحجاج في دار الإمارة، فأمر سليمان بإعادة بناء دار الإمارة بالأجر والجص ورفع سماكتها^(١).

أول سجن في البصرة

أول إشارة لأول سجن بُني في البصرة ذلك الذي بناه عتبة بن غزوان بالقصب في رحمة بنى هاشم قرب دار الإمارة^(٢)، ومن المؤكد أنّ أباً موسى الأشعري كان قد أعاد بناءه بمادة اللّين والطين مع ما تمّ بناؤه (المسجد ودار الإمارة)^(٣).

وذكر: أنّ سليمان بن علي العباسى قام بإعمار السّجن عندما تولّى البصرة سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م)، وقيل: إنّ موضع السّجن انتقل إلى خطة بنى نمير^(٤) في أيام حكم المستكفي العباسى (٣٣٣هـ-٩٤٤م)، وفيها بُني السّجن ودار الإمارة ومجلس الشرطة^(٥). بينما رأى أحد الباحثين أنّ السّجن الذي بُني في خطة بنى نمير هو سجن آخر جديد؛ إذ لم يكن هو نفسه السّجن الأول^(٦)، وهذا يعني أنّ السّجن الأول ظلّ في مكانه نفسه، وتمّ بناء سجن جديد آخر، أو أنّ السّجن الجديد حلّ محلّ السّجن القديم في حبس الجناة.

(١) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٣٩٦.

(٢) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٣٩٤.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه والصفحة.

(٤) يُنظر: رائد حمود الحصونة، نشأة السّجون: ص ٥٨.

(٥) بنو نمير: وهو نمير بن عامر بن صعصعة، نسب إليها العديد من الأشخاص المشهورين في البصرة، يُنظر: السّمعانى، الأساب: ج ٥، ص ٥٢٧.

(٦) التّنخّي، أبو علي المحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ)، الفرج بعد الشّدّة (مطبعة أمير - قم / ١٣٦٤هـ): ج ٤، ص ٢٥٣؛ ونشروار المحاضرة: ج ٢، ص ٢٤٦، ج ٧، ص ٨٧.

(٧) يُنظر: رائد حمود الحصونة، نشأة السّجون: ص ٥٨.

- خطط الأهالي -

ورَدَ: أَنْ عَتَّبَةَ بْنَ غَزُوانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ ضَرَبُوا الْخِيَامِ وَالْقِبَابِ وَالْفَسَاطِيطِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَنَاءً وَاحِدًا^(١)، وَحِينَما شَرَعَ فِي الْبَنَاءِ وَالْاسْتِقْرَارِ بَنِي النَّاسِ مَسَاكِنَهُمْ بِالْقُصْبِ، فَكَانُوا إِذَا غَزَوا نَزَعُوا ذَلِكَ الْقُصْبَ وَحَزَمُوهُ وَوَضَعُوهُ حَتَّى يَرْجِعُوهُ مِنَ الْغَزوَ، فَإِنْ رَجَعُوا أَعْادُوا بَنَاءَهَا^(٢)، وَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ حَتَّى وَقَعَ حَرِيقٌ فِي الْبَصَرَةِ سَنَةَ (١٧ هـ / ٦٣٨ م)، فَاسْتَأْذَنَ أَهْلَ الْبَصَرَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْبَنَاءِ بِاللَّبِنِ، فَسَمَحَ لَهُمْ وَكَتَبَ: «افْعُلُوا، وَلَا يَزِيدُنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَبِيَاتٍ، وَلَا تُطَاوِلُوا فِي الْبَنَاءِ، وَالْزَّمُوْا السُّنْنَةَ تَلْزِمُكُمُ الدُّولَةِ»^(٣)، فَاخْتَطَّ النَّاسُ الْمَنَازِلَ^(٤).

أَوَّلُ دَارٍ بُنِيَتْ فِي الْبَصَرَةِ

ذُكِرَ: أَنَّ أَوَّلَ دَارٍ بُنِيَتْ فِي الْبَصَرَةِ هِيَ دَارُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ نَافِعِ بْنِ الْحَارِثِ، التَّقْفِيِّ^(٥)؛ إِذْ وَرَدَ: أَنَّ نَافِعًا حِينَما وَفَدَ عَلَى عُمَرَ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْذِنَ لَهُ فِي بَنَاءِ دَارٍ لَهُ، بِقَوْلِهِ: «... إِنِّي قَدْ افْتَلَيْتُ فَلَاءً بِالْبَصَرَةِ، وَاتَّخَذْتُ بَهَا تِجَارَةً، فَاكْتُبْ إِلَى عَتَّبَةِ^(٦)

(١) يُنْظَرُ: الْبَلَادِرِيُّ، الْبَلَدَانُ: ص ٣٨٩.

(٢) يُنْظَرُ: الْبَلَادِرِيُّ، الْبَلَدَانُ: ص ٣٩٤.

(٣) الطَّبَرِيُّ، تَارِيخ: ج ٣، ص ١٤٨؛ وَابْنُ الْأَشِيرِ، الْكَاملُ: ج ٢، ص ٣٧٣.

(٤) يُنْظَرُ: الْبَلَادِرِيُّ، الْبَلَدَانُ: ص ٣٩٤.

(٥) يُنْظَرُ: الْبَلَادِرِيُّ، الْبَلَدَانُ: ص ٣٩٩؛ وَأَبُو حِنيفَةَ الدِّينُورِيِّ، الْأَخْبَارُ الطَّوَالُ: ص ١١٢؛ وَيَاقوْتُ الْحَمْوَيِّ، مَعْجمُ الْبَلَدَانِ: ج ٢، ص ٣٤٢.

(٦) ذُكِرَ: أَنَّ وَالِيَ الْبَصَرَةِ هُوَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَلَيْسَ عَتَّبَةَ بْنَ غَزُوانَ، يُنْظَرُ: الْفَرَشِيُّ، بِحِسَيْنِ بْنِ آدَمَ (ت ٢٠٣ هـ)، كِتَابُ الْخَرَاجِ، (تَحْقِيقُ: حَسَيْنِ مَؤْنَسِ، ط ١، دَارُ السُّرُوقِ - الْقَاهِرَةِ / ١٩٨٧ م): ص ١١٣؛ وَأَبُو عَبِيدَ، الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامَ (ت ٢٢٤ هـ)، الْأَمْوَالُ، (تَحْقِيقُ: خَلِيلِ مُحَمَّدِ هَرَاسَ، دَارُ الْفَكَرِ - بَيْرُوت / ١٩٨٨ م): ج ١، ص ٣٥٢ - ٣٥٣؛ وَابْنِ أَبِي شِيبةَ،

أن يُحسن جواري»، فكتب عمر: «أمّا بعد، فإن نافع بن الحارث ذَكَرَ أنه قد اقتلَ فلاةً—أي: نام في الفلاء، والفلاء المكان غير المسقوف—وأحَبَّ أن يَتَخَذَ بالبصرة داراً، فأَحْسِنَ جواره، واعرَفَ له حَقَّهُ...»، فخطَّ له بالبصرة خطَّة، فكان نافع أَوْلَ منْ خَطَّ خطَّةً في البصرة^(١).

أَوْلَ مَنْ بَنَى دَارًا بِالْأَجْرِ

يُظَهِّرُ أَنَّ الدَّورَ كَانَتْ تُبْنَى بِالْطَّينِ وَاللَّبِنِ، أمثل دار نافع بن الحارث، الثّقفيّ، المذكورة آنفًا، أو غيرها، أو ربّما البناء بالقصب أيضًا، إِلَّا إِنَّ مَادَّةَ البناء بَدَأَتْ تَغْيِيرًا، فكانَ يُونسَ بنَ عَبْدِ اللهِ، الثّقفيُّ^(٢)، أَوْلَ مَنْ بَنَى دَارًا لِهِ فِي البَصَرَةِ بِالْأَجْرِ^(٣).

- الأوائل القصور التي شيدتها الخلفاء في البصرة

وردت الإشارة إلى وجود قصور بناها الخلفاء في البصرة، وربّما كان هذا الإجراء إمّا من أجل النزول بها، هم وأقرباؤهم وخاصّتهم، عند قدومهم إلى البصرة، أو أنَّ الأمر يتعلّق بتحقيق مصالح سياسية لترسيخ نفوذهم داخل البصرة.

المصنّف: ج ٧، ص ٦٤٠.

(١) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ص ١١٢-١١٣.

(٢) يُونسَ بنَ عَبْدِ اللهِ، الثّقفيُّ بِالْوَلَاءِ، نَزَلَ الْبَصَرَةَ، وَوُصِّفَ بِأَنَّهُ رَاوٍ ثَقِيفٌ، تَوْفَى نَحْوَ (٥٥٠هـ)، يُنْظَرُ الدَّهْبِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٧٤٨هـ)، الْكَاشِفُ فِي مَعْرِفَةِ مَنْ لَهُ رِوَايَةٌ فِي كِتَابِ السُّنْنَةِ، (تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ عَوَامَةَ، ط ١)، دَارُ الْقِبْلَةِ لِلثِّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ—جَدَّةٌ / ١٩٩٢م): ج ٢، ص ٤٠٣؛ وَابْنُ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيُّ، أَبُو الْفَضْلِ، أَحْمَدُ بْنُ عَلَيٍّ (ت ٨٥٢هـ)، تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ (دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ: مُصطفَى عَبْدُ الْقَادِرِ عَطَاءُ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَلَمِيَّةِ—بَيْرُوتٌ / ١٩٩٠م): ج ٢، ص ٣٤٩؛ وَالزَّرْكَلِيُّ، الْأَعْلَامُ: ج ٨، ص ٢٦٢.

(٣) يُنْظَرُ: الْبَسْنَوِيُّ، مَاحَضِرَةُ الْأَوَّلِ: ص ١٨٤؛ وَالزَّرْكَلِيُّ، الْأَعْلَامُ: ج ٨، ص ٢٦٢.

وقد كان عثمان بن عفان أول من اتخذ له قسراً في البصرة؛ إذ ذكر: أن عثمان كتب إلى واليه على البصرة عبيد الله بن عامر بن كريز: «أن اتخذ داراً ينزلها من قدم البصرة من أهل المدينة»، «بني قسراً عرف بقصر ابن عفان، وقصر رملة^(١)، وجعل بينهما فضاء كان لدواهم وإبلهم»^(٢).

ويبدو أن قصر ابن عفان يمثل نواةً للوجود الأموي داخل البصرة؛ لذلك لم يُقدم أي حاكمٍ أمويٍّ على بناء قصرٍ له في البصرة، مما يُشير إلى انتفاعهم من قصر ابن عفان.

وفي العصر العباسي ذكر: أن أبي جعفر المنصور كان قد بني له في البصرة قسراً في دخلته الأولى إليها سنة (٤٣ هـ / ٧٦٠ م)، وهو يقع قرب الحبس الأكبر^(٣).

أَوَّلُ قَسْرٍ شِيدَهُ عَامَّهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ (قصور العامة)

ذكرت المصادر عدداً من القصور التي بناها عدد من أهالي البصرة خلال العصور الإسلامية، إلا إنها لم تحدد أيها كان أول قصر بني فيها^(٤).

ولعل قصر أنس بن مالك^(٥)، هو أول قصر؛ لسببين: الأول: أن المصادر

(١) رملة: يبدو أنها رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، زوجة عمرو بن عثمان بن عفان، يُنظر: البلاذري، أنساب: ج ٥، ص ٢٩٧؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ١٥٤؛ ود. سلمى عبد الحميد الهاشمي، آل عثمان بن عفان: ص ٥٤-٥٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ٥٥.

(٣) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٤١٧.

(٤) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٤٠٢؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ٥٧.

(٥) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، من بني عدي بن النجّار، وأمه أم سليم بنت ملحان خادم رسول الله عليه السلام، نزل البصرة، ومات فيها سنة (٩٢ هـ، أو ٩٣ هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٧، ٢٥.

أوردت ذكر قصر أنس في صدارة أسماء القصور، أي: إنّه ورد بوصفه أول قصر ضمن قائمة القصور الآخر^(١)، ليس هذا فحسب، بل إنّ الفقيه الهمداني خلال حديثه عن الأوائل في البصرة، ذكر أول دار، وأول حمّام، وأول مولود، وأول من غرس النّخل، ثم أردد بذكر قصر أنس في البصرة الذي يُنسب إلى أنس بن مالك^(٢)، فجاء ذكر قصر أنس استكمالاً لما أورده ابن الفقيه عن الأوائل في البصرة. والسبب الثاني: أنّ أنس بن مالك كان قد نزل البصرة متقدّماً وقت قرب من تصريرها؛ إذ إنّه كان ضمن الصحابة العشرة الذين بعثهم عمر بن الخطّاب مع أبي موسى الأشعري لتفقيه أهل البصرة^(٣).

أول حمام خاص للأمراء في البصرة

كان لأمراء البصرة حماماً خاصاً بهم يُعرف بـ: حمام الأمراء^(٤)، أو حمّام دار الإمارة^(٥)، فقد ذُكر: أنّه يقع في الجهة الجنوبيّة الغربيّة من المسجد الجامع بالقرب من دار الإمارة الأولى^(٦).

(١) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٤٠٢؛ وابن الفقيه الهمداني، أحمد بن محمد (ت ٣٤٠هـ)، البلدان، (تحقيق: يوسف الهادي، ط ١، عالم الكتب للطباعة والنشر-بيروت/١٩٩٦م): ص ٢٣٢؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ٥٧.

(٢) يُنظر: ابن الفقيه الهمداني، البلدان: ص ٢٣٢.

(٣) يُنظر: الخطيب التبريزي، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله (ت ٧٤١هـ)، الإكمال في أسماء الرجال، (تحقيق: أبو أسد الله بن عبد الله، الأنصاري، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) قم المقدّسة/د.ت): ص ٢.

(٤) يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤٢.

(٥) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٧٣.

(٦) يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ٧٥.

ويُشرف على إدارة حمّام الأمّراء رجلٌ يُعرف بـ(صاحب الحمّام)، فقد ذُكر: أنّ (مطراً) (صاحب الحمّام)، وَوَرَدَ: أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ (صاحب الحمّام)؛ لِأَنَّهُ كان على حمّام الأمّير في البصرة^(١).

أَوَّلُ حَمَّامٍ عَامٍ لِلرِّجَالِ فِي الْبَصْرَةِ

حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى النَّظَافَةِ، وَأَصْبَحَ أَمْرُ الْاِهْتِمَامِ بِالنَّظَافَةِ جُزءًا مِنَ السُّنَّةِ النَّبُوَّيَّةِ^(٢)، وَحِينَما بَعَثَ عَمَرُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ، أَمْرَهُ أَنْ يُعْلَمَ أَهْلَهَا السُّنَّنَ، وَأَنْ يَهْتَمَ بِنَظَافَةِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَدْلَى بِذَلِكَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، قَائِلًا: «عَنِّي إِلَيْكُمْ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَعْلَمُكُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ، وَسَنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَأَنْظَفْ طَرْقَكُمْ»^(٣). وَمِنْ أَوْلَوِيَّاتِ النَّظَافَةِ، هُوَ الْاغْتِسَالُ وَالْاسْتِحْمَامُ؛ لِذَلِكَ، فَقَدْ بَرَزَ أَمْرُ بَنَاءِ الْحَمَّامَاتِ، فَكَانَ أَوَّلُ حَمَّامٍ اخْتَذَلَ فِي الْبَصْرَةِ هُوَ حَمَّامُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، التَّقْفِيِّ^(٤)، فِي الْخُرَبَيَّةِ^(٥)، فِي مَوْضِعِ بَسْتَانِ سَفِيَّانَ بْنِ مَعَاوِيَةِ^(٦).

(١) يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص ١٣٧.

(٢) يُنظر: المتقي الهندي، كنز العمال: ج ٩، ص ٢٧٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢، ص ٦٩.

(٤) عبد الله بن عثمان بن أبي العاص، التّقفي، كان أبوه عثمان ضمن وفده ثقيف من الطائف على رسول الله ﷺ، فأسلموا، وأمّرُهُ عَلَيْهِمْ، فكان يُصْلِّي بِهِمْ، ويقرأُ لَهُمُ الْقُرآنَ، وَجَهَهُ عَمْرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَابتَنَتْ بَهَا دَارَّاً. ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٤١، وعبد الله استعمله زيد على أردشير فره، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤، ص ٤١٥.

(٥) الْخُرَبَيَّةُ: تصغير حَرَبَةٍ، مَوْضِعٌ فِي الْبَصْرَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَرْبِيَانَ ابْتَنَى بَهُ قَصْرًا وَخَرَبَ بَعْدِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ بِالْبَصْرَةِ ابْتَنَوْا عَنْهُ أَبْنِيَّةَ وَسَمَوَهَا: الْخُرَبَيَّةُ، وَقِيلَ: لِأَنَّ الْمَشْنَى بْنَ حَارَثَةَ الشَّيْبَانِيَّ خَرَبَهَا بِشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَيْهَا، يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٨٨.

(٦) ابن الفقيه الهمداني، البلدان: ص ٢٣٢.

وجاء في رواية أخرى أن مسلم بن أبي بكرة^(١) اتّخذ حمّاماً، ولم يكن في البصرة غيره^(٢)، ويبدو أنّ المقصود بذلك أنه لم يكن في البصرة كحمام مسلم في سنته، أو بمقدار ما يغله من إيراد، فقد رويَ: أنَّ مسلماً قال: «أُغتَلَ مِنْ حَمَامِي هَذَا فِي كُلِّ يَوْمِ أَلْفَ دَرَهْمٍ، وَطَعَامًا كَثِيرًا»، وهذا ما أثار حسد الآخرين^(٣). بل جاء ما يشير إلى أنَّ حمّام مسلم هو ثالث حمّام في البصرة، وليس أوّلها، فقيل: إنَّ حمّام عبد الله ابن عثمان، التّقفي، هو أوّل حمّام، وإنَّ حمّام فيل مولى زياد^(٤)، هو الحمام الثاني، أمّا الثالث، فهو حمّام مسلم بن أبي بكرة^(٥).

أوّل حمّام نساء في البصرة

ورد ضمن الحديث عن الحمامات وجود حمّام للبابة بنت أوفى الحرشيّة^(٦) في البصرة^(٧). فربما كانَ هذا الحمّام من الحمامات الخاصة بنساء البصرة؛ إذ منْ غير

(١) مسلم بن أبي بكر: أخوه عبيد الله وعبد الرحمن ابني أبي بكرة، روى عن أبيه، وروى عنه أهل البصرة، ينظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٩؛ وابن حبان البستي، الثقات: ج ٥، ص ٣٩١.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٤٨.

(٣) البلاذري، البلدان: ص ٤٠.

(٤) فيل مولى زياد بن أبيه وحاجبه، وفي حمّامه يُضرب المثل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٧٩؛ وابن ناصر الدين الدمشقي، شمس الدين محمد، (ت القرن التاسع الهجري)، توضيح المشتبه، (تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي - بيروت / ١٩٩٣ م): ج ٧، ص ١٤٢.

(٥) ينظر: ابن الفقيه الهمداني، البلدان: ص ٢٣٢.

(٦) لبابة بنت أوفى الحرشيّة، أخت قاضي البصرة زراره بن أوفى الحرشيّ، وزوجة زياد بن أبيه، ينظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٩٢.

(٧) ينظر: البلاذري، البلدان: ص ١٤٠.

المعقول أن تمتلك امرأة حمّاماً يستخدمه الرّجال، وإن صحّ هذا القول، فهذا يعني أنه كان مِنْ أوائل الحمّامات النسائية في البصرة إِنْ لَمْ نُقلْ: إِنَّهُ أَوَّلُ حمّامٍ فِيهَا.

أَوَّلُ مَقْبَرَةٍ فِي الْبَصْرَةِ

كانت المقبرةُ الرئيسيّةُ في البصرة هي الجبّانة، وتقع في الطرف الجنوبي الغربي من المربّد^(١)، وهذا يعني أنّ الجبّانة هي أَوَّل مقبرة عامة في البصرة، فقد دُفِنَ فيها كبار رجالات البصرة وأعيانها، ودُفن فيها- أيضاً- من العامة والبسطاء؛ إذ رُوي: أنّ سلم بن زياد^(٢)، كان أَوَّل من دُفِنَ فيها سنة (٦٩٢ هـ / ٧٣ م)^(٣)، وكذلك أمير البصرة بشر بن مروان^(٤)، وهو أَوَّلٌ وَالِّي مات في البصرة سنة (٦٩٤ هـ / ٧٥ م)^(٥). وفي الوقت نفسه، ذُكر: أنّ عبداً أسود كان قد دُفِنَ قرب بشر بن مروان، ثم اختلط على النّاس القبران، فلَمْ يُسْتَطِعُوا التّمييز بينهما^(٦).

وظهرت في البصرة مقابر أَخْرَى نُسبَتْ إلى بعض الشّخصيّات، أو إلى بعض

(١) يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ١٠٨ .

(٢) سلم بن زياد بن عبيد، الذي يقال له: ابن أبي سفيان، من أهل البصرة، تولى خراسان لعاوية، وتوفي سنة (٧٣ هـ) في البصرة، وقبره قرب قبر بشر بن مروان، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٢، ص ١٤٢ ، ١٤٦ .

(٣) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٢ ، ص ١٤٦ .

(٤) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو مروان الأموي، أخو عبد الملك، ولد الكوفة والبصرة سنة (٧٤ هـ)، وتوفي سنة (٧٥ هـ)، يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ: ص ٢٠٩ ؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠ ، ص ٢٥٣ ، ٢٦٤ .

(٥) يُنظر: ابن عساcker، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠ ، ص ٢٦٤ .

(٦) يُنظر: ابن عساcker، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠ ، ص ٢٦٢ .

القبائل^(١)، أي: إنها كانت مقابر خاصة.

أول دار وقفت للعبادة

اشتهرت البصرة بأنها مدينة الزهد والعبادة، وفيها نشأ الزهد والتصوف، وقد أُنشئت فيها أماكن خاصة للمتعبدين الزاهدين، فكان أحمد بن عطاء، الهجيمي، البصري^(٢) (ت ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)، أول من أوقف داراً في البصرة في بلهجم^(٣)، للمتعبدين والمريدين، يقص عليهم^(٤).

أول بيعة^(٥) (كنيسة للنصارى في البصرة

كان للنصارى تواجد في البصرة، تعود بداياته إلى زمن مبكر؛ إذ إن مرماري - اسم نبطي سرياني، ويعني: السيد^(٦) - دخل الأبلة، وبنى البيعة المسماة (بيعة

(١) يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطوط البصرة: ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) أحمد بن عطاء، الهجيمي، البصري، القدرى، شيخ الصوفية، بُرز في العبادة والاجتهاد، كان قديراً، يُنظر: الذهبى، سير أعلام النبلاء: ج ٩، ص ٤٠٨.

(٣) بلهجم: يعني بنو الهجيم، يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٣، ص ٧٨، وبني الهجيم بطن من قبيل، ولهم محلٌ في البصرة، يُنظر: السيوطي، جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)، لبُّ اللباب في تحرير الأنساب، (دار صادر- بيروت/ د.ت): ص ٢٧٧.

(٤) يُنظر: الذهبى، سير أعلام النبلاء: ج ٩، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(٥) البيعة بالكسر، كنيسة النصارى، والجمع بيع. ابن منظور، لسان العرب: ج ٨، ص ٢٦.

(٦) يُنظر: مجھول، مؤلف، مختصر الأخبار البيعية، (تحقيق: الأب د. بطرس حداد، مطبعة الديوان، بغداد/ ٢٠٠٠ م): ص ١١٠.

القديس) على نهر التّبن^(١)، وقد سكّنَ في هذه البيعة أحد الرّهبان^(٢)، وقد تكونُ هذه البيعة هي أقدم الكنائس العراقية التي بُنيت في البصرة. ويبدو أنّ هذه البيعة ظلّت قائمةً عند تصير البصرة، فقد ذُكر أنّ قاضي البصرة كعب بن سور (ت ٦٥٦ هـ)، كان إذا أراد أن يستحلّفَ ذمياً يأتي به إلى البيعة، ويضع التّوراة في حجره، والإنجيل على رأسه ويستحلّفه بالله^(٣).

أمّا عن أول بيعة ذُكر أنها بُنيت في البصرة في العصور الإسلامية، فهي تلك التي بناها والي البصرة بلال بن أبي بردة بأمرٍ من والي العراق خالد القسري^(٤)، فقد روِيَ: أنّ خالداً لما بني بيعة لأمّه في الكوفة، كتب نصارى البصرة إلى مَنْ كَلَمَ أمّ خالد بأنْ يبني لهم بيعة في البصرة، فكتب خالد إلى بلال يأمره ببنائها، فأجاب بلال: «إنَّ أهل البصرة لا يقارُونِي على ذلك»، فكتب إليه خالد: «ابنها لهم، فلعنة الله عليهم أنْ كانوا أشراً منهم ديناً»، فبني بلال بيعة للنصارى في اللّبادين^(٥).

(١) يرى أحد الباحثين أنّ هذا النّهر هو نهر الخندق حالياً، ومن المرجح أنّ تلك الكنيسة هي ذاتها الكنيسة الحالية التي على نهر الخندق قريبة من شط العرب، التي انحسّ عنها الماء مسافةً غير بعيدةٍ، وهي التي بُنيت على أنقاض الكنيسة القديمة، يُنظر: العلي، فيصل أحد كاظم: نصارى العراق دراسة في أحواهم العامة في العصر العباسي (١٣٢-٧٤٩ هـ/ ١٢٥٨ م)، (أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة- كلية الآداب/ ٢٠١١ م): ص ٧٩، (الهامش).

(٢) يُنظر: مؤلف مجهول، مختصر الأخبار البيعية: ص ١١٥.

(٣) يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ١، ص ٢٧٨.

(٤) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كز، أبو الهيثم البجلي، أمير مكة للوليد وسلیمان، وأمير العراقين لهشام، عزله هشام عن العراق سنة (١٢٠ هـ)، وولى يوسف بن عمر، وقتل خالد سنة (١٢٦ هـ)، وهو ابن نحو ستين سنة، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١، ص ١٣٥، ١٣٩، ١٦٢.

(٥) اللّبادين: نسبة إلى عمل اللّبود من الصّوف. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ١٧٢.

وبهذا أنسد الفرزدق^(١)، قائلاً^(٢):

وَتُهَدِّمُ لِلبيعاتِ فِيَنَا الْمَسَاجِدُ
بَنَى بِيَعَةً فِيَهَا الصَّلَبُ لِأَمَّهِ

أَوْلُ دِيرٍ^(٣) فِيَالبَصْرَةِ

لقد دأب الرهبان النصارى على التّعبُّد في أماكن خاصة بهم للعبادة، ومنها الأديرة، ولعل أقدم دير في البصرة هو (دير الدّهدار)^(٤)، وهو دير مشهور، وإليه يُنسب نهر الدّير، ويعُد من الأديرة المعظمة عند النصارى، كثير الرهبان، ذاع صيته، ولا سيما في العصور العباسية^(٥).

- أوائل المدارس في البصرة

شهدت البصرة نهضةً فكريةً كبيرةً، وانتعشت فيها حركة التعليم، وحلقات الدرس والعلم، حتى أصبحت كعبةً لطلبة العلم الوافدين إليها من أرجاء البلاد

(١) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال، المجاشعي، وسمى الفرزدق؛ لأن وجهه شبيه بالخبز، وهي فرزدق، توفي سنة (١١٢هـ)، أو (١١٤هـ) في البصرة. ابن سلام الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ)، طبقات فحول الشعراء، (تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدى-جدة/د.ت): ج ٢، ص ٢٩٨؛ وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١، ص ٢٧٨.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٠، ص ٣٩٠.

(٣) الدّير: بيت يتبعّد فيه الرهبان، ويكون في الصحاري ورؤوس الجبال، فإذا كان في مصر كانت كنيسة أو بيعة، يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٣١.

(٤) دير الدّهدار: يقع بنواحي البصرة في طريق القاصد لها من واسط، ويقع الآن في منطقة اسمها: (منيصفة) في قرية الدّير، وهو مستنقعٌ مائيٌ على مقربة من الكفة (طف البصرة) الرّاوية التي يسكنها عشائر السادة البطاط، يُنظر: الدّيراوي، مكي عبد اللطيف، دير الدّهدار بين القرنة والبصرة (مطبعة البهاء-البصرة/٢٠٠٦م): ص ١٠، ١٢، ١٣.

(٥) يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٤٢.

الإسلامية كافة، فلم يعد المسجد الجامع المكان الوحيد لعقد جلسات العلم، بل أُنشئت فيها مدارس عديدة رسمية، وأخرى أهلية خاصة، أنشأها كبار رجالات الدولة^(١).

أول مدرسة رسمية من قبل الدولة

كانت أول مدرسة رسمية أُسست في البصرة هي المدرسة النظامية، التي أنشأها نظام الملك^(٢)، وزير السلطان السلاجقى (الب أرسلان)^(٣)، سنة ١٠٦٥هـ/١٤٥٨م^(٤).

المهم هنا تحديد موقع المدرسة النظامية، بصفتها إحدى الوحدات العُمرانية المهمة في البصرة، فقد ذُكر: أنّ موقع المدرسة النظامية في محلّة المربد^(٥)، ثم نقلت بنايتها في آخر أيام المستعصم بالله (١٢٤٢-٦٤٠هـ/١٢٥٨-١٤٥٦م) إلى مكانٍ

(١) يُنظر الفصل الخامس (مراكز التعليم في البصرة).

(٢) نظام الملك: الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس، الطوسي، الوزير الكبير، أشهر من بنى المدارس وشيد أركانها، ولد سنة (٤٠٨هـ)، وكان من أولاد الدهاقين بنواحي طوس، فحفظه أبوه القرآن، وشغلَه في التفقه على المذهب الشافعى، ثم خرج إلى غزنة، وخدم في الديوان السلطاني، واحتضن بأبي علي بن شاذان، وزير السلطان ألب أرسلان، فلما مات ابن شاذان، أوصى ألب أرسلان به، فصبَّه وزيرًا مكانه، يُنظر: السبكي، أبو نصر، عبد الوهاب بن علي (٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، (تحقيق: محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢-دار هجر/١٤١٣هـ): ج٤، ص٣٠٩.

(٣) ألب أرسلان السلاجقى، محمد بن طغول بيك بن سلوجوق بن دقاق، الملقب بالعادل، أول من ذُكر بالسلطنة على منابر بغداد، كان ملكًا عادلاً مهيباً مغضضاً، توفي سنة (٤٦٥هـ)، وُنقل إلى مرو، ودُفن في مدرسته، يُنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: ج٢، ص٢٣٠.

(٤) يُنظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: ج٤، ص٣١٣.

(٥) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج٩، ص٩١.

آخر، عندما حلَّ الخراب بمدينة البصرة، فأسسَتْ نظامية ثانية في مكانٍ جديٍ
يبعد عن محلَّ المِربَد، التي أتى عليها الخراب^(١).

أول مدرسة أسسها وبنها الناس

إنَّ أول مدرسةٍ أهليةٍ في البصرة تلك التي أسسها أبو الفرج، محمد بن عبد الله،
البصريُّ^(٢) (ت ٤٩٩هـ / ١١٠٥م)، وقد وصفَتْ بأنَّها كانت غاية في الحُسن
والزَّخرفة^(٣).

- الأنوار في البصرة

أول نهر حفر للإرواء والسكنى في البصرة

جاءَ حفُرُ أولِ نهرٍ في البصرة بعد أنْ توجَّهَ وفُدُّ يضمُّ أعيانَ أهل البصرة
ووجهاءَها سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) إلى المدينة المنورة، ورفعوا حوائجهم بين يدي
عمر بن الخطاب، فكان الأحنف بن قيس^(٤) أحد أعضاء الوفد، فتقدَّم عمر

(١) يُنظر: ناجي، د. عبد الجبار، من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة في العصر الإسلامي في الدراسات الإنسانية، (مطبعة دار الحكمة-جامعة البصرة / ١٩٩١م): ص ٣٠.

(٢) أبو الفرج، محمد بن عبد الله بن الحسن، البصريُّ، قاضي البصرة، كان من أعلم الناس بالعربيَّة واللغة، دينًا، مهنيًّا، على مجلسه وقار، تأمَّلَ المروءة، أملَى بجامع البصرة مجالس، ولد سنة (٤١٨هـ)، وتوفي سنة (٤٩٩هـ). الأُسْنَوِيُّ، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ)، طبقات الشافعية، (تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت / ١٩٨٧م): ج ١، ص ١٢٢.

(٣) يُنظر: الأُسْنَوِيُّ، طبقات الشافعية: ج ١، ص ١٢٢.

(٤) الأحنف بن قيس، واسمهُ: الصحّاحُ بن قيس بن معاوية بن زيد مناة بن تميم، ولدته أمُّه وهو أحنف، يُكَنَّى بأبي بحر، وفُدَّ على مصعب بن الزبير في الكوفة، فتوفيَ هناك، يُنظر:

شارحاً له وضع البصرة، وما يعانيه أهلها من مشكلة قلة مياه الشرب وملوحته، قائلاً: «... إِنَّ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيْدِ اللَّهِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ، نَزَّلُوا مَنَازِلَ الْأَمْمَ الْخَالِيَّةِ بَيْنَ الْمَيَاهِ الْعَذْبَةِ وَالْجَنَانِ الْمُلْتَفَّةِ، وَإِنَّا نَزَّلْنَا سَبِّيْخَةَ نَشَاشَةَ مَلْحَةَ هَشَاشَةَ، لَا يَحْفُّ نَدَاهَا، وَلَا يَنْبُتُ مَرْعَاهَا، نَاحِيَّتُهَا قَبْلَ الْمَشْرُقِ الْبَحْرِ الْأَجَاجِ، وَمِنْ قَبْلِ الْمَغْرِبِ الْفَلَّةِ، فَلَيْسَ لَنَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ، تَأْتِينَا مَنَافِعُنَا وَمِنْ رَنْتَنَا فِي مِثْلِ مَرِيِّ النَّعَامَةِ، يَخْرُجُ الرَّجُلُ الْضَّعِيفُ فَيَسْتَعْذِبُ الْمَاءَ مِنْ فَرْسَخِينِ، وَتَخْرُجُ الْمَرْأَةُ لِذَلِكَ، فَتَرْبِقُ^(١) وَلَدَهَا كَمَا يَرْبِقُ الْعَنْزُ مَخَافُ بَادْرَةِ الْعَدُوِّ وَأَكْلُ السَّبْعِ، فَلَا تَرْفَعُ خَسِيسَتِنَا وَتَجْبِرُ فَاقْتَنَا؟...»، فَكَتَبَ عَمَرٌ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَإِلَى الْبَصَرَةِ أَنْ يَحْفَرَ لَهُمْ نَهْرًا^(٢)، وَهُوَ أَوَّلُ نَهْرٍ حُفِرَ فِي الْبَصَرَةِ بَعْدَ تَصْيِيرِهَا، وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا مُوسَى ابْتَدَأَ مِنَ الْإِجَانَةِ^(٣)، وَقَادَهُ ثَلَاثَةٌ فِرَاسَخٌ^(٤)، حَتَّى بَلَغَ بِهِ الْبَصَرَةَ، فَصَارَ طَوْلُ نَهْرِ الْأَبْلَةِ أَرْبَعَةَ فِرَاسَخٍ^(٥).

ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٩٣، ٩٧.

(١) رَبَقَ الشَّاهَةُ، شَدَّهَا فِي الرَّبَقَةِ وَاحِدَةَ الرِّبْقِ، وَهُوَ الْجَبَلُ وَالْحَلْقَةُ تُشَدُّ بِهَا الْغَنْمُ الصَّغَارُ لِئَلَّا تَرْضَعُ، يُنْظَرُ: ابن منظور، لسان العرب: ج ١٠، ص ١١٢.

(٢) الْبَلَادِرِيُّ، الْبَلَدَانُ: ص ٤٠٣؛ وَيُنْظَرُ: أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ: ج ١٢، ص ٣١١-٣١٢.

(٣) الْإِجَانَةُ: بِلِفَظِ الْإِجَانَةِ الَّتِي تُغْسِلُ فِيهَا الثِّيَابَ، وَهُوَ خَوْرٌ وَاسِعٌ كَانُ يُسَمَّى الْإِجَانَةَ، وَتُسَمَّى الْعَرَبُ فِي الْإِسْلَامِ: خَزارٌ، وَمِنْهُ يَبْتَدَأُ النَّهَرُ الَّذِي يُعْرَفُ بِنَهْرِ الْإِجَانَةِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ بِنَهْرِ الْإِجَانَةِ؛ لَأَنَّ أَهْلَ الْبَصَرَةِ كَانُوا يَغْسِلُونَ ثِيَابَهُمْ فِيهِ. يَاقُوتُ الْحَموِيُّ، مَعْجمُ الْبَلَدَانِ: ج ٨، ص ٤١٢، ٤١١.

(٤) الْفَرَسَخُ: يَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَمِيَالٍ، وَطَوْلُ الْفَرَسَخِ حَدَودُ سَتَّةِ كِيلُومِترَاتٍ، يُنْظَرُ: هَنْتَسُ، فَالْتَرُ: الْمَكَائِيلُ وَالْأَوْزَانُ وَمَا يَعْدُهَا فِي النَّظَامِ الْمَتَريِّ، (تَرْجُمَةُ د. كَامِلِ الْعَسْلِيِّ - عَمَانُ / ١٩٧٠ م): ص ٩٤.

(٥) يُنْظَرُ: يَاقُوتُ الْحَموِيُّ، مَعْجمُ الْبَلَدَانِ: ج ٨، ص ٤١١.

أول نهر حفر لتحلية ماء البصرة

عاني أهل البصرة من ملوحة مائهم وقلته، فشكّل وجهاه وأعيان البصرة وفداً لمقابلة والي العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤ م)^(١)، وذكر: أن الوفد جلبوا معهم قارورتين، في إحداهما ماءً من ماء البصرة، والثانية فيها ماء من البطيحة^(٢)، فرأى بينهما فرقاً، فقالوا: «... إنك إن حفرت لنا نهراً شربنا من هذا العذب»، فكتب بذلك إلى يزيد بن الوليد، فأجابه قائلاً: «إن بلغت نفقه هذا النهر خراج العراق، ما كان في أيدينا فانفقه عليه...»، فحفر النهر الذي يُعرف باسم: نهر ابن عمر سنة (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م)^(٣).

وذكر أن الماء الذي يأتي من نهر عمر كان نمراً قليلاً، وكان عظم ماء البطيحة يذهب في نهر الدّير، فكان الناس يستعبدون من الأبله، حتى قدم سليمان بن عليّ البصرة وأخذ المغيبة^(٤)، وعمل مُسنياتها على البطيحة، فاحتجز الماء عن نهر

(١) عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، الأموي، ولد الكوفة ليزيد بن الوليد، ثم جمع له المasan (الكوفة والبصرة)، فحفر لهم نهر ابن عمر، حبسه مروان ابن محمد في سجن حرّان، ثم قتلته غيلة، وقيل: بل مات في السجن في وباء وقع بحرّان، ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣١، ص ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) البطيحة والبطائح، أرضٌ واسعةٌ بين واسط والبصرة، كانت قدّيماً قرًى متصلةً وأرضاً عامرةً، فاتفق أيام كسرى أبوريز أن زادت دجلة زيادةً مفرطةً، وزاد الفرات أيضاً، فبطّح الماء في تلك الدّيار، فطردَ أهلها عنها، واستفحَل أمرُ البطائح، وتغلَّب الماء على التواحي. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٥٦؛ وينظر: السّلمي، د. إبراهيم جدوع الشّيخ محسن: إمارة البطائح العربية، دراسة في أحوالها السياسيّة والفكريّة، (ط١، النّجف الأشرف / ٢٠١٤ م): ص ٣١، ٢٥.

(٣) ينظر: البلاذري، البلدان: ص ٤٦.

(٤) المغيبة من الإغاثة، والإغاثة بمعنى المعونة، ينظر: العيني، عمدة القارئ: ج ٧، ص ٣٩.

الدّير وصرفه إلى نهر ابن عمر، وأنفق على المغيبة ألف ألف درهم، وقيل: إنّ أهل البصرة شكوا إلى سليمان بن عليّ ملوحة الماء وكثرة ما يأتيهم من ماء البحر، فسُكِّرَ القِنْدُل^(١)، فعذُبَ ماؤهُم^(٢).

(١) القِنْدُل: بكسر القاف وسكون النون، نهر في البصرة قرب الأَبَلَّة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٨، ص ٤١٧.

(٢) يُنظر: البلاذري، البلدان، ص ٤١٧؛ وأنساب: ج ٤، ص ١٢٣.

الفَصْلُ الرَّابعُ

**الْأَوَالُ فِي الْجَانِبَيْنِ : اِلا جَتْمَاعِيٌّ
وَالْاِقْتَصَادِيٌّ**

الفَصْلُ الرَّابِعُ

الأوائل في الجانبين: الاجتماعي والاقتصادي

وفي الجانبين الاجتماعي والاقتصادي هناك العديد من الإسهامات والتنظيمات الرائدة في البصرة، وأوائلها كالتالي:

أول قبيلة عربية نزلت البصرة

استوطن البصرة العديد من القبائل العربية التي قدمت إليها عند بدء الفتوحات الإسلامية، وانخذلت منها مسكنًاً وموطنًاً جديداً. وقد روي: أنَّ البصرة كانت قد قسمت إلى خمسة أحجامٍ وفقاً للقبائل العربية الخمس التي نزلت فيها، وهي قبائل: «العلية، بكر بن وائل، تميم، عبد القيس، الأزد»^(١).

ولعلَّ أول قبيلة عربية نزلت البصرة هي قبيلة (بكر بن وائل)، التي استقرت قرب الأُبَلَة، إذ ذُكر: أنَّ الانتصارات التي حققها العرب على الفرس في وقعة (ذى قار)^(٢)، كانت قد شجَّعت بعض رجالات بكر بن وائل على شنَّ الغارات على

(١) د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ٨١-١٠٢.

(٢) وقعة ذي قار: من أيام العرب المشهورة، كانت بين جيش كسرى وبين بكر بن وائل، قيل: إنَّها وقعت بعد وقعة بدر بأشهر، وعندما ذُكِرَتْ وقعة ذي قار عند النبي ﷺ قال: «ذاك أول يوم انتصف فيه العرب من العجم، وفي نصرٍ». ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ١، ص ٤٧؛ وينظر تفاصيل الواقعة: اليعقوبي، تاريخ: ج ١، ص ٢١٥.

الأطراف الغربية للدولة الساسانية^(١)، ولا سيما الغارات التي كان يشنها قطبة بن فتادة، السدوسي، فكان قطبة يُغيِّر مِنْ ناحية الحيرة سنة (١٢ هـ / ٦٣٣ م)^(٢). ورويَ أنَّ قطبة السدوسيَّ كان يُغِيرُ على الفُرس مع جماعةٍ مِنْ قومِهِ^(٣)، حتَّى كتب إلى عمر بن الخطاب طالباً الإمدادات^(٤)، أي: إِنَّ جماعةً مِنْ بكر بن وائل كانت قد نزلت البصرة واستقرَّتْ بها.

أَوَّلُ لَقْبٍ أَطْلَقَ عَلَى الْبَصْرَةِ

كان أَوَّلُ لَقْبٍ أَطْلَقَ عَلَى الْبَصْرَةِ هو لَقْبٌ (قَبَّةُ الْإِسْلَامِ)؛ إِذْ جَاءَ أَنَّ الْبَصْرَةَ حِينَها مُصْرِّتُ، وَانْتَقَلَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ إِلَيْهَا، وَكَثُرَتْ الْأَبْيَنَةُ فِيهَا، وَاشتَدَّتْ شُوَكَةُ الْإِسْلَامِ بِهَا، سُمِّيَّتْ: (قَبَّةُ الْإِسْلَامِ)^(٥)، وَقِيلَ: إِنَّ الْبَصْرَةَ كَانَ يُقالُ لَهَا: «قَبَّةُ الْإِسْلَامِ وَخِزَانَةُ الْعَرَبِ»^(٦).

وَوَرَدَ أَنَّ هَذَا الْلَّقْبُ أَطْلَقَ -فِيمَا بَعْدِ- عَلَى بَغْدَادِ، فَلِمَّا بَنَى الْمُنْصُورُ بَغْدَادَ سَنَةَ (٤٥ هـ / ٧٦٢ م)، وَسَمِّاهَا: (مَدِينَةُ الْإِسْلَامِ)، وَصَارَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ وَمَصْبَّ أَمْوَالِ الدُّنْيَا، قَالَ النَّاسُ: «هَذِهِ الْآَنَّ -بَغْدَادُ- أَوْلَى بِأَنْ تُسَمَّى قَبَّةُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْبَصْرَةِ،

(١) يُنظر: د. صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية: ص ٣٤.

(٢) يُنظر: الطبراني، تاريخ: ج ٣، ص ٩١؛ وابن الجوزي، المتنظم: ج ٤، ص ١٨٤؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٢، ص ٣٣٣.

(٣) يُنظر: البلاذري، البلدان: ص ٣٨٨.

(٤) يُنظر: الطبراني، تاريخ: ج ٣، ص ٩١؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٢، ص ٣٣٣.

(٥) يُنظر: الشعالي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ)، ثمَّار القلوب في المضاف والمنسوب، (دار المعارف - القاهرة / د. ت): ج ١، ص ١٦٣.

(٦) النووي، تهذيب الأسماء واللغات: ج ٣، ص ٣٥.

فسميت بغداد لذلك: مدينة السلام وقبة الإسلام^(١).

وعلى الرغم من بروز أهمية بغداد، وإطلاق لقب (قبة الإسلام) عليها، إلا إن ذلك لا يعني أن البصرة فقدت مكانتها، أو أن لقب (قبة الإسلام) كان قد زال عنها، أو لم يستمر إطلاقه عليها، بدليل أن البصرة حينما تعرضت لهجمات الزنج سنة (٢٥٧هـ / ٨٧٠م)، رفع إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان^(٢) بسامراء: «أن البصرة قبة الإسلام، وفيها قريش والهاشميون والعرب، وهي على شرف الخراب»^(٣)، أي: إن البصرة ظلت تحفظ بلقب قبة الإسلام حتى بعد بناء بغداد وتزايد مكانتها وعلو شأنها، وبعد بناء سامراء - أيضًا - سنة (٢٢١هـ / ٨٣٥م)، ولغاية ما حل بها من تدمير وخراب على يد الزنج.

والدليل الآخر على بقاء مكانة البصرة العالية، واستحقاقها نيل لقب: (قبة الإسلام)، أو غيره من الألقاب، ما روي من: أن جعفر بن سليمان^(٤)، وصف البصرة بأنها (عين العراق)، بقوله: «العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة...»^(٥)، والأكثر من ذلك، أن البصرة أطلق عليها لقب:

(١) الشعالي، ثمار القلوب: ج ١، ص ١٦٣.

(٢) عبيد الله بن يحيى بن خاقان بن عرطوج، أبو الحسن، التركي، وزير المتوكل، نفاه المستعين إلى برقة سنة (٢٤٨هـ)، ثم استوزر المعتمد سنة (٢٥٦هـ)، توفي سنة (٢٦٣هـ)، ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٨، ص ١٤٣، ١٤٨.

(٣) الشعالي، ثمار القلوب: ج ١، ص ١٦٤.

(٤) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، العباسي، ابن عم المنصور، وصف بأنه كان جواداً شجاعاً، ولـي المدينة، ثم مكة، ثم عزل، فولـي البصرة للرشيد، توفي سنة (١٧٥هـ)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٨، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٥) الشعالي، ثمار القلوب: ج ١، ص ١٦٢.

(أمُّ العراق)^(١)، فالبصرة تستحق بجدارة جميع الألقاب التي أطلقَتْ عليها، فهي «بَةُ الْإِسْلَامِ وَخِزَانَةُ الْعَرَبِ»، وهي (عينُ العراق)، وأيضاً - (أمُّ العراق).

أوَّلُ مُولُودٍ فِي البَصَرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْفَاتِحِينَ

أسفرَ عنْ استقرارِ العربِ في البصرةِ ترايَدَ أعدادُ السُّكَانِ فيها بمُختلفِ الطرقِ، وفي مقدَّمتها التكاثرُ بالولاداتِ، فكان عبدُ الرَّحْمَنُ بنُ أَبِي بكرةً أوَّلَ مُولُودٍ ولدَ في البصرةِ سنة (١٤ هـ / ٦٣٥ م)^(٢)، فكان مولُودُهُ حادثاً ساراً، احتفى به جميعُ أهلِ البصرةِ الَّذِينَ كَانُوا - آنذاك - في الحُرْبِيَّةِ، وهم نحوُ ثلَاثَةِ نفرٍ^(٣).

- أوَّلُ الْأَقْوَامِ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَتِ الْبَصَرَةَ

أصبحتِ البصرةُ بعدِ الفتوحاتِ الإِسْلَامِيَّةِ موطناً آمناً للعديدِ منِ الأقوامِ الأعجميَّةِ منِ الفرسِ والتركِ الْقَادِمِينَ منِ مختلفِ أنحاءِ بلادِ فارسِ والسندِ، وما وراءِ النَّهْرِ، ومنِ الحبشِ، وغيرِهم، فكان أوَّلَ مَنْ نَزَلَ البصرةَ منِ الفرسِ هُمْ

(١) يُنظر: الشَّعَالِيُّ، شَهَارُ الْقُلُوبِ: ج١، ص٢٥٥.

(٢) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج٧، ص١٩٠؛ والبخاري، التاریخ الكبير: ج٤، ص٢٥٤، ج٥، ص٢٦٠؛ وابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص٥٥٧؛ والبلاذري، البلدان: ص٣٩٤؛ وأنساب الأشراف: ج٢، ص١٤٠؛ وابن حبان البستي، الثقات: ج٢، ص٢١٣؛ ومشاهير علماء الأمصار: ص١٥٧؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٢، ص٣٤٢؛ والنويي، تهذيب الأسماء: ج١، ص٢٧٥؛ وابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج٥، ص١٧٣؛ وتهذيب التهذيب: ج٦، ص١٣٥؛ والبسنوبي، محاضرة الأوائل: ص٤٩.

(٣) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج٧، ص١٩٠؛ وابن قتيبة الدينوري، المعارض: ص٥٥٧؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج٣٦، ص٩.

الأوائل في الجانبيين: الاجتماعي والاقتصادي ١٢٧

الأسورة^(١)، الذين نزلوا فيبني تميم في البصرة سنة (١٧ هـ/٨٣٨ م)، واحتظروا بها خطّة^(٢).

وذكر: أن سياه الأسواري كان على مقدمة جيش يزدجرد^(٣)، الذي بعثه سنة (١٧ هـ/٦٣٨ م) إلى الأهواز^(٤)، فنزل الكلبانية^(٥)، وأبو موسى الأشعري محاصر السوس^(٦)، فلما رأى ظهور الإسلام وعز أهله، وأن السوس قد فتحت، والإمدادات متتابعة إلى أبي موسى، أرسل إليه كتاباً جاء فيه: «إننا قد أحيبنا الدخول معكم في دينكم، على أن نقاتل عدوكم من العجم معكم، وعلى الله إن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم مع بعض، وعلى الله إن قاتلنا العرب من عتمونا منهم، وأعنتمونا عليهم، وعلى أن ننزل حيث شئنا من البلدان، ونكون فيمن شئنا منكم».

(١) الأسورة: جماعة من الفرس نزلوا فيبني تميم في البصرة، واحتظروا بها خطّة، وانتموا إليهم. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ١٥٦.

(٢) يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ١٥٦.

(٣) يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز، اجتمع الفرس عليه، وملّكته عليهم، وهو يومند غلام ابن ست عشرة سنة، وولي رستم بن هرمز قيادة جيش الفرس في محاربة المسلمين، وحينما خسر الفرس في معركة جلولاء، هرب يزدجرد، فقتله طحان، وأخذ سلبه، وألقاه في النهر. أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ص ١١٩، ١٢٩، ١٤٠.

(٤) الأهواز: أصله (حوز)، كان اسمها في أيام الفرس خوزستان، والأهواز سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم، ويجمعهن الأهواز. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٥) الكلبانية: والأصح الكلباتية، بفتح الكاف وسكون اللام والتاء المثلثة من فوقها، وهي قرية ما بين السوس والصيمرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ١٤٩.

(٦) السوس: بلدة بخوزستان، كان آخر ما فتح من الأهواز السوس على يد أبي موسى الأشعري، يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٩٢.

وعلى أن نلحق بشرف العطاء، ويعقد لنا بذلك الأمير الذي بعثكم، «فكتب أبو موسى إلى عمر، فكتب إليه عمر: «أنْ أَعْطِهِمْ جَمِيعَ مَا سَأَلُوا»، فخرجُوا حتّى لحقوا بال المسلمين، وشهدوا مع أبي موسى حصار تستر^(١)، فلما صاروا إلى البصرة سأّلوا: أي الأحياء أقرب نسبياً إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لهم: بنو تميم، فحالقوه ببني تميم، ثم خطّ لهم في البصرة خطّهم^(٢).

وانحاز للأساورة قومٌ من مقاتلة الفرس، ممّن لا أرض له، فلتحقوا بهم، وصاروا معهم، ودخلوا في الإسلام^(٣).

أمّا عن أول من نزل البصرة من الترك، فهو البحاري، الذين جلبهم عبيد الله ابن زياد من أهل بخارى^(٤)، حينما فتح الصغانيان^(٥) سنة (٦٧٣ هـ / ٥٥٤ م)^(٦)، وذِكر: أن عددهم بلغ ألفين، فأسكنهم عبيد الله بن زياد في سكة عرفت بهم، وهي سكة البحارية^(٧).

(١) تستر: مدينة بخوزستان، وهي من أرض البصرة؛ لقربها منها، فتحت إبان ولاية أبي موسى الأشعري على البصرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٤٤.

(٢) ينظر: البلاذري، البلدان: ص ٤٢٠ - ٤١٩.

(٣) ينظر: البلاذري، البلدان: ص ٤٢٠.

(٤) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، كانت قاعدة ملك السامانية. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٨٠.

(٥) الصغانيان: ولاية عظيمة في ما وراء النهر متصلة بالأعمال بترمد. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ١٩٠.

(٦) ينظر: البلاذري، البلدان: ص ٤٢٢؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٨٢.

(٧) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٨٣.

ونزل البصرة عدد من الحبس، فأسكنهم عمر في خطة هذيل^(١)، وأطلق على مكان سكناهم اسم: (درب الحبس)^(٢)، وهم أول من نزل البصرة من الحبس. وأول من نزل البصرة من أهل السنّد هم السّيابجة^(٣)، والزُّط^(٤)، والأندغار^(٥)، الذين كانوا في جند الفرس من سُبُوا، فلما سمعوا بما كان من أمر الأساورة أسلموها، وأتوا أبي موسى الأشعري، فأنزلهم في البصرة كما أنزل الأساورة^(٦). وقيل: إنّ الأساورة والزُّط والسّيابجة تنازعتهم تميم، فصارت الأساورة في بني سعد، والزُّط والسّيابجة في بني حنظلة^(٧).

وكان أول من نزل البصرة من أهل كابل، عدد من الغلمان، استقدمهم عبد

(١) خطة هذيل: بنو هذيل إحدى عشائر العالية التي نزلت البصرة، تقع خطتهم في أطراف المسجد الجامع، وامتدت إلى الجنوب الشرقي منه، يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ٨١، ٨٢.

(٢) يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٤.

(٣) السّيابجة: أقوام كانوا في جند الفرس، فلما تمت الفتوحات لبلاد فارس أسلروا، وعندما سمعوا بما كان من أمر الأساورة أسلموها وأتوا أبي موسى الأشعري فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة، وقد كان جماعة منهم موكلين ببيت مال البصرة، فلما قدم طلحة والزبير البصرة، رفضوا أن يسلّموا بيت المال، فقتلوا هم، قيل: كان عددهم أربعين، وقيل: أربعمائة. البلذري، البلدان: ص ٤٢١.

(٤) الزُّط: جيل أسود من السنّد، وقيل: جيل من أهل الهند، وهم جنس من السودان والهند، ذُكر: أنهم غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة. ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ٣٠٨.

(٥) الأندرغار: من أهل السنّد كانوا ضمن جند الفرس، ثم نزلوا البصرة أيام أبي موسى الأشعري. البلذري، البلدان: ص ٤٢١.

(٦) يُنظر: البلذري، البلدان: ص ٤٢١.

(٧) يُنظر: البلذري، البلدان: ص ٤٢٠.

الرّحْنَ بن سُمْرَةَ سَنَةَ (٤٤٤هـ / ٦٦٤م) مِنْ سَبِيْ كَابِلٍ^(١).

أَوَّلُ بَنْتُ حَاكِمٍ نَزَلَتِ الْبَصْرَةِ

أَوَّلُ بَنْتُ حَاكِمٍ نَزَلَتِ الْبَصْرَةِ مِنْ حَكَامِ بَنِي أُمَيَّةَ، هِيَ صَفِيَّةَ بَنْتُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَّانَ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ زِوْجَهَا مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ^(٢)، فَنُقْلِتُ إِلَى الْبَصْرَةِ^(٣).

وَأَوَّلُ بَنْتُ حَاكِمٍ عَبَّاسِيٍّ نَزَلَتِ الْبَصْرَةِ هِيَ الْعَبَّاسَةُ بَنْتُ الْمَهْدِيِّ، فَبَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَتْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيْمانَ بْنِ عَلِيٍّ^(٤)، نُقلَّتْ إِلَى الْبَصْرَةِ لِلْعِيشِ مَعَهُ سَنَةَ (٧٨٨هـ / ١٧٢م)^(٥).

- أَوَّلُ الْمَلَابِسِ

نَتَجَ عَنِ اسْتِقْرَارِ الْقَبَائِيلِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي قَدَّمَتْ مِنْ مُخْتَلِفِ أَرْجَاءِ الْبَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالْأَقْوَامِ الْأَعْجَمِيَّةِ فِي الْبَصْرَةِ تَمازُجُ اجْتِمَاعٍ أَلْقَى بِظَلَالِهِ عَلَى الْجَوَانِبِ الْحَيَاتِيَّةِ كَافَّةً، مِنْ خَلَالِ التَّأْثِيرِ وَالتَّأْثِيرِ، فَضَلَّاً عَنْ ارْتِقَاءِ الْمَسْتَوِيِّ الْمَعَاشِيِّ فِي الْبَصْرَةِ؛ كَوْنُهَا مَدِينَةً أَصْبَحَتْ تَنَعُّمَ بِالْخِيرَاتِ الْإِقْتَصَادِيَّةِ، مَا أَسْهَمَ فِي ارْتِفَاعِ الْقَدْرَاتِ الْشَّرَائِيَّةِ وَالرَّخَاءِ الْمَعَاشِيِّ، وَالْتَّوْجِهُ نَحْوَ اقْتِنَاءِ أَنْوَاعِ مِنَ الْمَلَابِسِ وَارْتِدائِهَا فِي مُخْتَلِفِ الْأَوْقَاتِ وَالْمَنَاسِبِاتِ.

(١) يُنْظَرُ: الْبَلَادِرِيُّ، الْبَلَدَانُ: ص ٤٢٢.

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ بْنُ أَبِيهِ، لَا عَقْبَ لَهُ، ابْنُ قَتِيْبَةَ الدِّيْنُورِيِّ، الْمَعَارِفُ: ص ٣٤٧.

(٣) يُنْظَرُ: ابْنُ الْجُوزِيِّ، الْمُنْتَظَمُ: ج ٨، ص ٣٤٣.

(٤) مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيْمانَ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبَّاسٍ، الْهَاشَمِيُّ، مِنْ رِجَالِ بَنِي هَاشِمٍ وَشَجَاعَانِهِمْ، وَلَاَهُ الْمُنْصُورُ الْبَصْرَةُ وَالْكُوفَةُ، يُنْظَرُ: ابْنُ الْجُوزِيِّ، الْمُنْتَظَمُ: ج ٨، ص ٣٥٠.

(٥) ابْنُ الْجُوزِيِّ، الْمُنْتَظَمُ: ج ٨، ص ٣٤٣؛ وَابْنُ تَغْرِيْ بَرْدِيِّ، النَّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ج ٢، ص ٧٠.

لقد كان والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز أول من لبس الحَزْ^(١) في البصرة؛ إذ رُويَ: أنه لبس جبةً دكناً مِنَ الحَزْ، فأثار تعجب الناس، فقالوا: «لبس الأمير جلدَ دبٌ»^(٢).

كما كان ابنُ عامرُ أولَ مَنْ لبسَ جبةً حمراءً مِنَ الحَزْ، فقال الناس: «لبس الأمير قميصاً أحمر»^(٣)، وجاء: أنَّ ابنَ عامرَ أهديَ له ثوبانٍ مِنْ خَزْ، فبعثَ بأحدِهما إلى ابنِ خلف^(٤)، ولبس الآخر، وخرج للناس فيه، فقالت الأعراب: «ما هذا إِلَّا دُبٌ مِنَ الأدبية»^(٥).

وعبد الله بن عامر بن كريز -أيضاً- أولَ مَنْ لبس الطَّيلسانِ مِنَ العربِ في الإسلام^(٦)، وهذا يعني أنه أولَ مَنْ لبس الطَّيلسانِ على نطاقِ البلادِ العربيةِ قاطبة، وليس على نطاقِ البصرةِ فقط.

وذكر: أنَّ ابنَ عامرَ كان أولَ مَنْ لبس الثيابِ الرِّفاقِ، وحينما رأاه أهلُ البصرة

(١) الحَزْ: ثيابٌ تُتَجَّعُ مِنْ صوفٍ وإِبرِيسِمٍ، وهي مباحة، إِلَّا إِنَّ المنهيَ عَنْ لبسِهِ نوعٌ آخرٌ، وهو حرامٌ؛ لأنَّه معمولٌ مِنَ الإِبْرِيسِمِ فقط. ابنُ مظفر، لسانُ العربِ: ج٥، ص٥٤٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ج٥، ص٤٧؛ وينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ج٣، ص١٩١.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ج٥، ص٤٧؛ وينظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص٩١؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج٢٩، ص٢٦١.

(٤) ابن خلف: هو عبد الله بن خلف، الخزاعي، الكاتب على ديوان الخراج في البصرة، وله دار فيها، وصفت بأنها أعظم دار بالبصرة، بما يشير إلى مقدار ثرائه، ينظر: ابن خياط، تاريخ: ج١، ص١١٢؛ وابن الجوزي، المستنظم: ج٢، ص٩٩.

(٥) الحراني، أبو عروبة، الحسين بن أبي معشر (ت٣١٨هـ)، الأوائل، (تحقيق: مشعل بن باني الجبرين، المطيري)، ط١، دار ابن حزم- بيروت/٢٠٠٣م): ج١، ص١٦٧.

(٦) ينظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص٩١.

وهو يرتديها لأول مرّة، وهو يخطبُ بهم، قام رجُلٌ وقال: «انظروا إلى أميركم هذا، يلبس ثياب الفساق»^(١).

أما زياد بن أبيه، فكان أول من لبس الخفاف الساذجة^(٢)، وأول من ليس الكتّان^(٣)، وشاع في البصرة ارتداء الثياب المرقعة في ولاية زياد، وبهذا الشأن ذُكر: أنّ زياداً تساءل عن أسباب كثرة الديون لدى بعض الرجال على الرغم من أخذهم عطاءً كبيراً، فقال: «ما بال الرجل يأخذ عطاءه ألفين، فلا يبلغ الحول حتى يُدان أكثر من ذلك؟»، فقيل له: إنّ السبب يكمن في إسراف أهل البصرة في الكسوة، حتّى أذهبت أموالهم، فصدر^(٤) زياد قميصه، وجلس فيه، فصدر الناس ثيابهم، وكان الرجل حين يتمزّق ثوبه يُلقيه، فلا يرتديه مرّة ثانية، فعمل زياد على ترقيع ثيابه وارتدائها، فيخرج بها أمام الناس لثلاً يستحي غيره من ترقيع ثوبه، فاقتدى بفعله الناس، فقيل: إنّ الناس كانوا يقتدون برؤسائهم في أكثر أمورهم، حتّى

(١) ابن العديم، كمال الدين، عمر بن أحمد بن جرادة (ت ٦٦٠ هـ)، بُغية الطلب في تاريخ حلب، (تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر-بيروت/د.ت): ج ٥، ص ٢٣١٥.

(٢) الخفاف الساذجة: المراد بهما ميُحاطط سوادهما لون آخر، وقيل: الساذج الذي لا نقش فيه، أو إنه الذي على لون واحد لا يُحاططه غيره، يُنظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: علي شيري، دار الفكر-بيروت/١٩٩٤ م): ج ٣، ص ٤٠٠.

(٣) يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص ٥٥٤؛ والحراني، الأوائل: ج ١، ص ١٦٨؛ وأبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٢.

(٤) صدر: الصدر أعلى مقدم كل شيء وأوله، وصدر الأمر أوله. ابن منظور، لسان العرب:

ج ٤، ص ٤٤٥، ٤٤٦.

يُسمّون بأسمائهم، ويكونون بعذابهم، ويفعلون ما يقدرون عليه من أفعالهم^(١). ولم يقتصر الأمر على لباس الرجال، وإنما شمل ذلك لباس النساء، فكانت خضراء بنت سليم زوجة مجاشع بن مسعود من أجمل النساء، وهي أول من لبس الشفوف^(٢) من الثياب^(٣)، بينما كانت متيم الهشامية^(٤) أول من عقدت من النساء في طرف الإزار زناراً^(٥) وخيط إبريسم، ثم تجعله في رأسها، فيثبت الإزار، ولا يتحرّك ولا يزول^(٦).

أول من نجّدت^(٧) بيتها

روي: أنّ خضراء بنت سليم زوجة مجاشع بن مسعود، كانت أول من نجّدت بيتها، ولأول مرّة في البصرة، فوصل الخبر إلى عمر بن الخطّاب، فكتب إلى زوجها:

(١) يُنظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٢.

(٢) الشفوف: جمع شف، والشف الثوب الرقيق يرى ما وراءه. ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ١٨٠.

(٣) يُنظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب، (تحقيق: محمد نبيل طرفي وأميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت ١٩٩٨م): ج ٤، ص ٧٩.

(٤) متيم الهشامية: صفراء، مولدة من مولدات البصرة، وبها نشأت وتأدبت، اشتراها عليّ ابن هشام، وكانت من أحسن الناس وجهاً وأدباً، وحظيت عند عليّ بن هشام، وتقدّمت على جواريه، وهي أم ولده كلّهم. يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٧، ص ٣١٢.

(٥) الزنار: ما يلبسه الذّمّي، يشدُّه على وسطه. ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٣٣٠.

(٦) يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٧، ص ٣٢٠.

(٧) التّجيد: التّرين، والنّجد ما يُنَصَّد به البيت من البساط والوسائد والفرش، وقيل: ما يُنَجِّد به البيت من الماء، أي: يُزَّين، والنّجود هي الثياب التي تُنَجِّد بها البيوت، فلُبس حيطانها وثيابها، ونجّدت البيت بسطته بثياب موشية. ابن منظور، لسان العرب: ج ٣، ص ٤١٦.

«بلغني أَنَّ الْخَضْرَاءَ نَجَدْتُ بَيْتًا كَمَا تُنْجَدُ الْكَعْبَةُ، فَأَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا
لَمَ قَمَتْ، فَهَتَكْتَهُ»، فَفَعَلَ^(١).

- أَوَّلُ الْأَطْعَمَةِ وَالدَّعْوَاتِ

هُنَاكَ بَعْضُ الْأَطْعَمَةِ التِّي عُرِفَتْ فِي الْبَصْرَةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَأَصْبَحَتْ فِيمَا بَعْدِ
تَدْخُلِ ضَمْنِ غَذَائِهِمْ، كَمَا اشْتَهَرَتْ بَعْضُ الدَّعْوَاتِ التِّي تُقَامُ فِي الْمَنَاسِبِ
الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَهِيَ كَالآتِي:

الْأَرْزُ:

لَمْ يَكُنْ الْأَرْزُ مِنَ الْأَطْعَمَةِ الْمُعْرُوفَةِ عِنْدِ الْعَرَبِ، وَكَانُوا قَدْ عَرَفُوهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ
عِنْدَمَا نَزَلَ الْعَرَبُ الْأَبْعَلَةَ سَنَةً (٤١٥ هـ / ٦٣٥ م)؛ إِذْ رُوِيَ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ غَزَوَانَ بَعْدَ
أَنْ هُزِمَ الْفَرَسُ فِي الْأَبْعَلَةِ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ سَلَاحًاً وَمَتَاعًاً وَطَعَامًاً، فَأَصَابُوا أَرْزًا
بِقَشْرِهِ، فَظَنَّهُ عُتْبَةُ أَنَّهُ سُمٌّ أَعْدَهُ لَهُمُ الْعَدُوُّ، وَأَمْرُهُمْ بَعْدَمِ الاقْتِرَابِ مِنْهُ وَأَكْلِهِ،
فَصَادَفَ أَنَّ فَرَسًا قَطَعَ الْحِبْلَ وَتَقَرَّبَ مِنَ الْأَرْزِ، وَأَكَلَ مِنْهُ، فَأَرَادُوا ذَبْحَهُ قَبْلَ أَنْ
يَمُوتَ، إِلَّا أَنَّ الْفَرَسَ أَصَبَحَ حَيًّا لَمْ يَمُوتْ^(٢)، فَقَالَتْ لَهُمْ ابْنَةُ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ^(٣):

(١) المتنقي الهندي، كنز العمال: ج ١٤، ص ١٠٢؛ وقيل: إنَّ عمر بعث الكتاب إلى الولاي أبى موسى الأشعري، يُنظر: الصناعي، أبو بكر، عبد الرزاق بن هتمان (ت ٢١١ هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، د.م/د.ت: ج ١١، ص ٣١؛ والمتنقي الهندي، كنز العمال: ص ١٠٢.

(٢) يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤١.

(٣) هي أزدة بنت الحارث بن كلدة، الثقافية، تُنظر ترجمتها في الفصل الأول (أول امرأة رافقت الحملة العسكرية لفتح البصرة).

«إن إبى كان يقول: إن النار إذا أصابت السم ذهبت غائته»^(١)، ثم أورقت تحته ناراً، فبدأ يتحول إلى حبوب حمراء، وبعدها أصبحت بيضاء، حتى انهاط قشره، وأخذوا يأكلون منه، وقال لهم عتبة: «اذكروا اسم الله عليه، وكلوه»، فأكلوا منه، فإذا هو طيب، فجعلوا بعد ذلك يُميطون عنه قشره ويطبخونه^(٢)، وقيل: إنهم كانوا يقدرون أعناقهم، ويقولون: قد سمنا^(٣)، ثم أصبح الأرز من الأطعمة المفضلة عند أهل البصرة؛ إذ روى نافع بن الحارث: «فلقد رأيتني بعد ذلك وأنا أعد لولدي»^(٤).

خبز الحواري^(٥):

روي: أن المسلمين الذين شاركوا في فتح البصرة مع عتبة بن غزوان لما دخلوا الأبلة، وجدوا خبز الحواري، فقالوا: «هذا الذي كانوا يقولون: إنه يُسمّن، فلما أكلوا منه جعلوا ينظرون إلى سواعدهم، ويقولون: «ما نرى سمنا»^(٦).

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط ٢، دار الجيل-بيروت/د.ت): ج ٢، ص ٢٦٨.

(٢) يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤١.

(٣) يُنظر: أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال: ج ٢، ص ٢٦٨.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤١.

(٥) خبز الحواري: الحواري: هو ما حُور من الطعام، أي يُبَيِّض، وهذا دقيق حواري، وقد حُور الدقيق وحُورته فأحور، أي: يُبَيِّض. ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٢٢٠، فخبز الحواري إذاً هو ذلك الخبز المصنوع من الدقيق الأبيض، وهذا النوع لم يكن العرب قد اعتادوا على أكله، أو لم يكن معروفاً لديهم، أو متداولاً عندهم في جزيرة العرب، وهو من مأكولات الفرس.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤١.

أَوَّلُ مَنْ غَرَسَ النَّخْلَ فِي الْبَصْرَةِ

في أعقاب تصوير البصرة، بدأ أهلها بالزراعة، فغرسوا النَّخل فيها؛ إذ كان أبو بكرة أَوَّلَ مَنْ غَرَسَ النَّخلَ فِي الْبَصْرَةِ، ثُمَّ غَرَسَ النَّاسُ بعده^(١)، وأصبح التَّمر غذاءً مهمًا ورئيساً لأهل البصرة^(٢).

أَوَّلُ دُعْوَةٍ طَعَامٌ عَامَّةٌ فِي الْبَصْرَةِ

أُقيمت لـأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي الْبَصْرَةِ ولِيمَةٌ طَعَامٌ أَعْدَّهَا أَبُو بَكْرَةُ؛ احتفاءً بولادة ابنه عبد الرَّحْمَنِ سنة (٤١٤ هـ / ٦٣٥ م)، فذبح جزوراً، ودعا إِلَيْهِ عَامَّةً أَهْلَ الْبَصْرَةِ، وهم آنذاك بِمَقْدَارِ ثَلَاثَائِةٍ، فأشبعُتُهُمْ^(٣)، وَهِيَ أَوَّلُ ولِيمَةٍ طَعَامٌ أُقيمت فِي الْبَصْرَةِ، وَجَاءَ: أَنَّ أَبَا بَكْرَةَ ذَهَبَ بِابْنِهِ إِلَى عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَوَهَبَ لَهُ ثَمَانِينَ دِرْهَمًا^(٤).

أَوَّلُ دُعْوَةٍ طَعَامٌ خَاصَّةٌ فِي الْبَصْرَةِ

اعتماد أَهْلَ الْبَصْرَةِ عَلَى إِقَامَةِ الدَّعْوَاتِ العَامَّةِ فِي مُخْتَلِفِ الْمَنَاسِبَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ؛ إِذْ كَانُ يُطْلَقُ عَلَى الدَّعْوَاتِ العَامَّةِ اسْمُ: (الْجَفْلِ)، فَالْجَفْلُ أَنْ يَدْعُوَ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ جَمِيعِ الْحَيِّ^(٥)، وَمِنْ تِلْكَ الدَّعْوَاتِ دُعْوَةُ أَبِي بَكْرَةَ بِمَنَاسِبَةِ وَلَادَةِ ابْنِهِ الْمَذْكُورَةِ آنفًاً.

(١) يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤٢.

(٢) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ١٢، ص ٢٩٢-٢٩٣؛ وابن الفقيه الهمданى، البلدان: ص ٢٣٥، ٢٥٤.

(٣) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٩٠؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٦، ص ١٠٩.

(٤) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٦، ص ١٢.

(٥) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ١١٤.

أما الدّعوات الخاصة، فُسمى: النَّقْرَى، والنَّقَرَى أَنْ يَخْصُّ قوماً دون قوم^(١)، ولعلّ أول دعوة خاصة (نَقَرَى) في البصرة، تلك التي دُعِيَ إليها وإليها البصرة عثمان بن حنيف، كما ورد في كتاب الإمام علي^ع إلى ابن حنيف: بأنّ رجلاً من أثرياء البصرة دعاه إلى مأدبة طعام، فأجاب الدّعوة، وقد وصف الإمام علي^ع الدّعوة بأنّها دعوة خاصة، بقوله: «... وَمَا ظَنَنتُ أَنَّكَ تُحِبُّ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلَهُمْ مَجْفُونَ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُونَ...»^(٢)، وهذه الدّعوة الخاصة هي الأولى، ما ينفي قول أبي هلال العسكريّ بأنّ زياد بن أبيه كان أول من دعا دعوة خاصة^(٣).

- الأوائل الكوارث الطبيعية

تعرّضت البصرة إلى العديد من الكوارث الطبيعية من أمراض، وحرائق، وفيضانات، ومن أوائل تلك الكوارث، نذكر الآتي:

أول طاعون^(٤) في البصرة

عاني أهل البصرة من الإصابة بالعديد من الأمراض والطّواعين خلال

(١) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٢٣٠.

(٢) ابن أبي الحميد، أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية- بيروت/١٩٥٩م): ج ١٦، ص ٢٠٥.

(٣) يُنظر: أبو هلال العسكريّ، الأوائل: ص ٩٢.

(٤) طاعون وطاعونة والطّواعين: خراجات وقروح وأورام رديئة، وقيل: إنّ الوباء هو الطّاعون، وقيل: هو كلّ مرض يعمّ. ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، الطبُّ النّبويُّ، (مراجعة وتقديم: عبد الغنيّ عبد الخالق، دار الكتب العلمية- بيروت/د.ت): ص ٣٠.

العصور الإسلامية، وقد ظهر الاختلاف في تحديد أول طاعون وقع في البصرة، فقد رُوي: أنَّ أَوَّلَ طاعونٍ في العراق هو طاعون شiroويه بن كسرى، وقع أيام عمر بن الخطاب، وقيل: إنَّه وقع بعد طاعون عمواس في الشَّام بمدِّ طويلة^(١)، وبها أنَّ طاعون عمواس وقع سنة (٦٣٩ هـ / ١٨ م)^(٢)، فهذا ينفي ما ذكره الطبرى من أنَّ طاعون عمواس أصابَ أهلَ البصرة مِنْ جَرَائِهِ موتٌ ذريعٌ سنة (٦٣٨ هـ / ١٧ م)^(٣)، وإذا كان طاعون عمواس وقع سنة (٦٣٩ هـ / ١٨ م)، وطاعون شiroويه وقع بعده، فهذا يعني أنَّ طاعون شiroويه وقع في أواخر عهد عمر، وربما بعد سنة (٦٤١ هـ / ٢٠ م).

وذكر ابن كثير: أنَّ البصرة تعرَّضت سنة (٦٣٨ هـ / ١٧ م) إلى طاعونٍ فماتَ بشرُ كثيُّرٌ، وجُمُّ غفِيرٌ على حدِّ زعمِه^(٤)، منْ دونَ أَنْ يُحَدَّدَ؛ هل هو طاعون عمواس، أو طاعون شiroويه؟ فضلاً عنْ أَنْ وصف ابن كثير في هلاك بشِّيرٍ كثيُّرٍ مِنْ أهلَ البصرة لا يخلو مِنَ المبالغة.

لقد أسهبت المصادر في ذكر الطَّاعون الجارف في البصرة، وهو أشهر طاعون أصابَ أهلَ البصرة لما لحقه بهم مِنْ ضررٍ كبيِّرٍ، ويُمْكِنُ أَنْ نعدَهُ أَوَّلَ طاعون وقع في البصرة، وأكثره ضرراً بأهلِها، حتَّى داع صيُّته؛ إذ ارتبطت وفيات عددٍ من الشخصيات البصرية المهمة جراء الإصابة بهذا الطَّاعون الخطير والجارف، وفي الوقت الذي تتفق المصادر على وصف الطَّاعون بالجارف؛ لأنَّه أخطر وأشدَّ

(١) يُنظر: ابن قتيبة الدِّينوريّ، المعارف: ص ٦٠١.

(٢) يُنظر: ابن سعد، الطَّبقات: ج ٣، ص ٥٩٠؛ وابن خيَّاط، تاريخ: ص ٩٦.

(٣) يُنظر: تاريخ الرَّسل والملوك: ج ٣، ص ١٦٥.

(٤) يُنظر: البداية والنهاية: ج ١٢، ص ١٢٣.

طاعون هلك فيه الكثير، إلا إنّها لم تتفق على تحديد تاريخ وقوعه، فهناك من ذكر أنه وقع سنة (٥٣ هـ / ٦٧٢ م)^(١)، وقيل: سنة (٦٤ هـ / ٦٨٣ م)^(٢)، أو وقع سنة (٦٥ هـ / ٦٨٤ م)، وكان والي البصرة-آنذاك- عبد الله بن عبيد الله بن معمر^(٣)، وقد ماتت أمّه بالجارف^(٤)، وجاء: أنه وقع سنة (٨٠ هـ / ٦٩٩ م)^(٥)، وفي رواية أخرى قيل: إنه وقع سنة (٧٠٥ هـ / ٦٨٧ م)^(٦)، ومات فيه مطرف بن عبد الله بن الشّيخير^(٧)، وهو من وجهاء البصرة^(٨).

وهنالك من يرى أنّ الجارف وقع سنة (٦٩ هـ / ٦٨٨ م) في أيام عبد الله بن الزبير

(١) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٨٨.

(٢) يُنظر: ابن الجوزي، المتنظم: ج ٦، ص ٢٥.

(٣) عبد الله بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة، أبو حفص، التّيمي، أحد وجوه قريش وكرمائها، ولّي فتوحاً كثيرةً، وولي البصرة لعبد الله ابن الزّبير، قدم دمشق وافداً على عبد الملك بن مروان، ومات بها. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٥، ص ٢٨٦.

(٤) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ٤٠٢؛ وابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة: ج ١، ص ١٦٨.

(٥) يُنظر: ابن الجوزي، المتنظم: ج ٦، ص ٢١١؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٤، ص ١٩٢؛ وابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة: ج ١، ص ٢٠٠.

(٦) يُنظر: ابن سعد، الطّبقات: ج ٧، ص ١٤٦؛ والطّبرى، تاريخ: ج ٥، ص ١٣٩؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨، ص ٣٣٦.

(٧) مطرف بن عبد الله بن الشّيخير بن عوف بن كعب، من بنى عامر بن صعصعة، يُكتى بأبي عبد الله، كان ثقة، له فضل وورع ورواية وعقل وأدب، مات سنة (٨٧ هـ) في ولاية الحجاج على العراق. ابن سعد، الطّبقات: ج ٧، ص ١٤١، ١٤٢، ١٤٦.

(٨) يُنظر: الطّبرى، تاريخ: ج ٥، ص ١٣٩.

على أغلب الأقوال^(١)، ومات أبو الأسود الدؤلي^(٢) بالطاعون الجارف^(٣)، وعدد من سراة أهل البصرة، فقيل: مات فيه لأنس بن مالك ثلاثون ولداً^(٤)، وقيل: سبعون ولداً^(٥)، أو ثمانون ولداً^(٦)، وماتت فيه -أيضاً- أمّ الأمير، وأخرون من أشراف أهل البصرة^(٧).

(١) يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص ١٦٠؛ والبلذري، أنساب: ج ٦، ص ٨١؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٤، ص ٢٦؛ وابن خلّakan، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٥٣٩؛ والذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار، (تحقيق: بشّار عواد معروض وأخرون، ط ١، مؤسسة الرسالة-بيروت / ١٤٠٤هـ): ج ١، ص ٦٠؛ وال عبر: ج ١، ص ٧٦؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ١، ص ١٨٣؛ وابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٣، ص ٤٥٧.

(٢) أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عديّ ابن الدئل، أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء والفرسان والأمراء والأشراف والدهاوة والحااضري الجواب والصلع الأشرف، كان من أصحاب الإمام علي^{عليه السلام}، وشهد معه صفين، مات بالجارف سنة (٦٩هـ). ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٣، ص ٤٣٦.

(٣) يُنظر: ابن خلّakan، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٥٣٩؛ الدميري، كمال الدين، محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، (ط ١، دار مكتبة الهلال-بيروت / د.ت): ج ٢، ص ٣٠٥.

(٤) يُنظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرى: ج ٢، ص ٣٠٥.

(٥) يُنظر: الذهبي، معرفة القراء: ج ١، ص ٦٠؛ وال عبر: ج ١، ص ٧٦؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ١، ص ١٨٣.

(٦) يُنظر: ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، المدحش، (تحقيق: د.مروان قباني، ط ٢، دار الكتب العلمية-بيروت / ١٩٨٥م): ج ١، ص ٧٠؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ١، ص ١٨٣.

(٧) قيل: مات عبد الرحمن بن أبي بكرة أربعون ولداً، ومات لصدقة بن عامر العامري في يوم

فالأرجح أنّ تاريخ وقوع الطّاعون الجارف في البصرة سنة (٦٩٨هـ / ١٤١) لا تُنافى أغلب الأقوال على ذلك، ولارتباط تاريخ وقوعه مع تاريخ وفيات العديد من مشاهير أعلام البصرة، كأبي الأسود الدّؤلي.

وجاء أنّ الطّاعون الجارف هو سادس طاعون في الإسلام، فالطّاعون الأوّل كان أيام النبي محمد ﷺ، والثاني طاعون عمواس في الشّام أيام عمر بن الخطّاب، والثالث بالكوفة زمن ولاية أبي موسى الأشعريّ -ولعله طاعون شيريويه-، والرابع في الكوفة -أيضاً- زمن المغيرة بن شعبة، والخامس الذي مات به زياد، والسادس وقع سنة (٦٨٥هـ / ١٢٣م)^(١)، فالنسبة إلى موت زياد، فإنّه كان في الكوفة وليس في البصرة؛ إذ ظهرت له طاعونة على إصبعه ومات بأثرها سنة (٦٧٢هـ / ٥٥٣م)^(٢)، وروي: أنّ بشر بن مروان كان أوّل وإلّا مات في البصرة^(٣)، أي: لم يقع في البصرة شيءٌ من تلك الطّواعين الستّة، وبما أنّ الطّاعون الجارف هو السابع في الإسلام فهذا يعني أنّه الطّاعون الأوّل في البصرة.

وورد في وصف الطّاعون الجارف أنّه كان شديداً، لما أحقى بأهل البصرة من بلاءً وضررٍ كبيرين، حتّى استحقَّ أنْ يُطلق عليه لقب: (الجارف)، وإنْ كان ذلك الوصف يحملُ في مضمونه الكثير من المبالغة، فقيل: إنّه استمرّ مدة أربعة أيام، فمات في اليوم الأوّل (٧٠، ٠٠٠)، وفي اليوم الثاني (٧١، ٠٠٠)، وفي الثالث

واحد سبعة بنين. ابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة: ج ١، ص ١٨٣.

(١) يُنظر: ابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة: ج ١، ص ١٨٣.

(٢) يُنظر: الطّبرّي، تاريخ: ج ٤، ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) يُنظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٠؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠، ص ٢٦٤؛ والذهبيّ، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ٣٧٢.

(٧٣، ٠٠٠)، وأَصْبَحَ النَّاسُ فِي الرَّابِعِ مَوْتِي، إِلَّا قَلِيلًاً^(١).

وَفِي وَصْفِ مُبَالَغٍ فِيهِ، رَوَى أَحَدُ شَهُودِ الْعِيَانِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، قَائِلًاً: «كَنَّا نَطُوفُ فِي الْقَبَائِلِ، وَنَدْفَنُ الْمَوْتَى، وَلَا كَثُرَوا لِمَ نَقُوْنَ عَلَى الدَّفْنِ، وَكَنَّا نَدْخُلُ الدَّارَ، قَدْ مَاتَ أَهْلُهَا فَنَسَدُّ بِاهْبَاهَا...»^(٢)، وَالغَرِيبُ فِي الرِّوَايَةِ مَا ذَكَرُهُ مِنْ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا إِحدَى الدُّورِ فِي الْبَصْرَةِ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا أَحَدًا حَيًّا، فَسَدَّ بِاهْبَاهَا، فَلَمْ يَسْتَقِرْ الْوَضْعُ، دَخَلَ تِلْكَ الدَّارَ، فَوُجِدَ فِي وَسْطِ الْأَمْوَاتِ طَفْلًا طَرِيًّا دَهِينًا لَا يَزُالُ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ، «كَانَّا أَحَدُ سَاعِتِهِ مِنْ حَجَرِ أَمَّهِ»، وَفِي غَضْوُنِ ذَلِكَ دَخَلْتُ كَلْبًا مِنْ شَقِّ الْحَائِطِ تَلُوذُ بِالْطَّفْلِ، وَالْطَّفْلُ يَجْبُو إِلَيْهَا حَتَّى مَصَّ مِنْ لَبَنِهَا»^(٣)، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ مِنْ غَرَائِبِ الْمَرْوِيَّاتِ الَّتِي رُوِيَتْ ضِمْنَ أَحَدَاتِ الطَّاعُونِ الْجَارِفِ.

وَفِي وَصْفِ آخِرٍ لَا يَقُلُّ مِبَالَغَةً، قِيلَ: إِنَّ الطَّاعُونَ الْجَارِفَ اسْتَمَرَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، مَاتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْوِ (٧٠، ٠٠٠)، وأَصْبَحَ النَّاسُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا يَسِيرَ مِنْهُمْ، وَحِينَما صَدَعَ الْوَالِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَامِعِ إِلَّا سَبْعَةُ رِجَالٍ وَامْرَأَةٌ، فَقَالَ: «مَا فَعَلْتَ الْوَجْهَ؟ فَقَيْلَ لَهُ: تَحْتَ التُّرَابِ أَيُّهَا الْأَمِيرِ»^(٤)، فَإِنْ صَحَّ هَذَا القَوْلُ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْبَصْرَةَ لَمْ تَعُدْ تَضُمْ أَهْلَهَا الْأَصْلِيَّينَ، وَأَنَّ مَا نُسِبَ إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ فِيمَا بَعْدَ سَنَةِ (٦٩٦هـ / ٦٨٨م) كَانُوا مِنَ الْوَافِدِينَ إِلَيْهَا.

أَوَّلُ حَرِيقٍ فِي الْبَصْرَةِ

وَرَدَ ضِمْنَ الْحَدِيثِ عَنْ بَنَاءِ خَطَطٍ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي بَدَائِيَّةِ الْأَمْرِ مِنْبَيَّةً

(١) يُنْظَرُ: ابْنُ الجُوزِيِّ، الْمُسْتَظِمُ: ج٦، ص٢٥.

(٢) ابْنُ الجُوزِيِّ، الْمُسْتَظِمُ: ج٦، ص٢٦.

(٣) ابْنُ الجُوزِيِّ، الْمُسْتَظِمُ: ج٦، ص٢٦.

(٤) الْذَّهَبِيُّ: ج١، ص٧٦-٧٧؛ وَابْنُ تَغْرِيْ بَرْدِيُّ، النَّجُومُ الْزَّاهِرَةَ: ج١، ص١٨٣.

بالقصب، وذكر: أن المباشرة في البناء بِمَادَّةِ اللَّبِنِ وَالطِّينِ جاءَ في أعقاب تعرُّض البصرة لحريق سنة (١٧ هـ/٦٣٨ م)، فالقصبُ كان عاملًا مساعدًا على وقوع الحرائق واتساعها؛ لذلك كتبوا إلى عمر بن الخطاب يستأذنونه في البناء باللبن والطين، فكتب عمر إلى والي البصرة يخبرهم بالسماح في البناء^(١)، فكان هذا أول حريق وقع في البصرة.

وقيل: إنّ والي البصرة -آنذاك- هو عتبة بن غزوان^(٢)، إلّا إنّ عتبة كان قد مات في سنة (١٥ أو ١٦ هـ/٦٣٦ أو ٦٣٧ م)^(٣)، أي: قبل وقوع الحرائق، وقد أكدت المصادر أنّ أولَ مَنْ بنى المسجد ودار الإماراة، وخطط الأهالي في البصرة بِمَادَّةِ الطِّينِ وَاللَّبِنِ، هو أبو موسى الأشعريّ، وليس عتبة بن غزوان^(٤).

وجاء التأكيد -أيضاً-: أنّ أول حريق في البصرة كان أيام ولاية أبي موسى الأشعريّ بما رواه الحسن البصريّ، قائلاً: «احتراقتُ أخصاص بالبصرة، فبني في وسطها خصّ لم يحترق، وأبو موسى يومئذ أمير البصرة»^(٥)، وذكر: أنّ مالك بن دينار^(٦)، حين وقع الحريق، خرج وليس عليه سوى بارية كان مؤتزراً بها، وبهذه

(١) يُنظر: الطبرى، تاريخ: ج ٣، ص ١٤٧-١٤٨؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ٢٦٣.

(٢) يُنظر: الطبرى، تاريخ: ج ٣، ص ١٤٨؛ وابن الأثير، الكامل: ج ٣، ص ٢٦٣.

(٣) يُنظر: ابن خيّاط، الطبقات: ص ١٠٢؛ وابن الجوزيّ، صفة الصفوة: ج ١، ص ٣٨٧؛ والصفديّ، الواقي بالوفيات: ج ١٩، ص ٢٩٢؛ وابن حجر العسقلانيّ، تمذيب التهذيب: ج ٧، ص ٩٢.

(٤) يُنظر: البلاذريّ، البلدان: ص ٣٩٤؛ وابن حبان البستيّ، الثقات: ج ٢، ص ٢١٢؛ ومشاهير علماء الأمصار: ص ٦٥.

(٥) الغزالى، أبو حامد، محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، إحياء علوم الدين، (دار المعرفة- بيروت/د.ت): ج ٤، ص ٣٤١.

(٦) مالك بن دينار، أبو يحيى، مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤيّ، مات قبل الطاعون سنة

مصحف، وهو يقول: «فاز المخفون، أو قال: ونجا المخفون»^(١)، تعيرًا عن زهده.

أَوَّلُ غَرْقٍ فِي الْبَصْرَةِ

حُكِيَ: أَنَّ الْبَصْرَةَ غَرَقتْ، فَأَخَذَ النَّاسُ يَسْتَغْشِيُونَ، وَكَانَ الْحَسْنُ الْبَصْرِيُّ مِنْ نَجَا مِنَ الْغَرْقِ^(٢)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ غَرْقَ الْبَصْرَةِ كَانَ إِبَانَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْهَجْرِيِّ.

أَوَّلُ رِيحٍ شَدِيدَةٍ عَاصِفَةٍ

ذُكِرَ: أَنَّ أَوَّلَ رِيحٍ شَدِيدَةٍ تَعَرَّضَتْ لَهَا الْبَصْرَةُ تِلْكَ الَّتِي هَبَّتْ سَنَةَ (٨٤١/٩٢٧م)، وَكَانَتْ قَدْ شَمَلَتْ عُمُومَ الْعَرَاقِ، بَهَا فِيهَا (الْكُوفَةُ وَبَغْدَادُ)، فَضَلَّاً عَنِ الْبَصْرَةِ وَمِنَاطِقَ أُخْرَى، وَدَامَتْ خَمْسِينَ يَوْمًا، وَتَسَبَّبَتْ فِي حَرَقِ الزَّرْعِ^(٣)، وَهُنَاكَ مَنْ يَرِي أَثْمَاهَا هَبَّتْ سَنَةَ (٨٤٨/٩٢٤م)^(٤)، وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ أَوَّلَ رِيحٍ عَاصِفَةٍ هَبَّتْ عَلَى الْبَصْرَةِ كَانَتْ سَنَةَ (٨٤٨/٩٢٤م)؛ إِذْ رُوِيَ: أَنَّهُ «لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهَا»^(٥).

(١) ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٢٤٣ .

(٢) اليافعي، أبو محمد، عبد الله بن أسد (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، (دار الكتاب الإسلامي - القاهرة/١٩٩٣م): ج ١، ص ٢٧٠ .

(٣) يُنظر: الراغب الأصفهاني، محضرات الأدباء: ج ١، ص ٦٠٠ .

(٤) يُنظر: ابن الجوزي، المدهش: ج ١، ص ٧٢ .

(٥) ابن الجوزي، المدهش: ج ١، ص ٧٢؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ٢، ص ٢٧٥؛ وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ج ٢، ص ٨٠ .

(٦) ابن الجوزي، المدهش: ج ١، ص ٧٥؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ٢، ص ٨٠ .

- رسوم الحُزن والعزاء

أَتَبْعَتْ رسوم خاصّة للتعبير عن الحُزن عند وقوع الموت، كالنَّعي، وتشييع الجنائز، وإقامة مجالس العزاء.

أول من نعى العلاء بن الحضرمي^(١) في البصرة

رُوي: أَنَّ العلاء بن الحضرمي حينما توفي سنة (٦٣٥ هـ / ١٤ م) - وقيل: (٢١ هـ / ٦٤١ م) - كان أبو بكرة أول من نعاه في البصرة^(٣).

أول من نعى الإمام علي بن أبي طالب^(٤) في البصرة

أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين عليه السلام، وبيعة الإمام الحسن عليه السلام سنة (٦٤٠ هـ / ٦٦٠ م)، فقام على المنبر، وخطب في الناس، ونعى لهم عليه السلام، فقال في خطبته: «وإن رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين عليه السلام في مسجده، وهو خارج لتهجّده، في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر، فقتله، فيما لله هو من قتيل، وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت إلى الله تعالى بالبر والتقوى، والإيمان والإحسان! لقد أطفأ فيه نور الله في أرضه، لا يبین بعده أبداً، وهدم ركناً من أركان الله تعالى، لا يُشاد مثله، فإن الله وإنما إليه راجعون، وعن الله نحتسب مصييتنا بأمير المؤمنين عليه السلام، ورحمه الله يوم ولد، ويوم قُتل، ويوم يبعث

(١) العلاء بن الحضرمي: اسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك الحضرمي، استعمله الرسول عليه السلام على البحرين، وأقره أبو بكر وعمر، توفي سنة (١٤ أو ٢١ هـ)، ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٤، ص ٤٤٥-٤٤٦.

(٢) ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٤، ص ٤٤٥.

(٣) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ٣٦٣.

حِيَاً، ثُمَّ بَكَى حَتَّى اخْتَلَفَ أَصْلَاعُهُ، ثُمَّ قَالَ: «وَقَدْ أَوْصَى بِالإِمَامَةِ بَعْدِهِ إِلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-، وَابْنِهِ وَسَلِيلِهِ وَشَبِيهِهِ فِي خَلْقِهِ وَهَدِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ مَا وَهِيَ، وَيَسِّدَّ بِهِ مَا اتَّلَمَ، وَيَجْمِعَ بِهِ الشَّمْلَ، وَيُطْفِئَ بِهِ نَيْرَانَ الْفَتْنَةِ، فَبَايِعُوا تَرْشِيدُوا»، فَبَايِعَتِ الشِّيَعَةُ كُلُّهَا^(١).

أَوْلُ مَنْ نَعَى الْإِمَامَ الْحَسَنَ ﷺ فِي الْبَصْرَةِ

وَصَلَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ أَنْبَاءُ اسْتِشَاهَدِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ ﷺ سَنَةُ (٤٨) هـ أَوْ (٥٠) هـ / ٦٦٨ م أو ٦٧٠ م)، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلْمَةَ بْنُ الْمُحَبْقِ^(٢)، أَوْلُ مَنْ نَعَى الْإِمَامَ الْحَسَنَ ﷺ فِي الْبَصْرَةِ، نَعَاهُ لَزِيَادُ بْنُ أَبِيهِ، ثُمَّ خَرَجَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ^(٣)، فَنَعَاهُ لِعُمُومِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَبَكَى النَّاسُ^(٤)، وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا بَكْرَةَ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَرِيضًا، فَسَمِعَ ضَجَّةً، فَأَخْبَرَهُ بِاسْتِشَاهَدِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ ﷺ^(٥).

(١) عمر بن شبة النميري، أخبار البصرة: ص ٢٢٠-٢٢١؛ وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٢، ص ٥٠٣.

(٢) عبد الله بن سلمة بن المحبق: لم أُعثِرْ على ترجمته، وربما هو عبد الله بن سلمة، العجلاني، الذي كان من صحابة رسول الله ﷺ، شهد بدرًا، وهو الذي أسر عقبة بن أبي معيط. يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٤، ص ١٨٠؛ وورده: إنَّهُ كانَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وروى عنه، يُنظر: المتقي المندى، كنز العمال: ج ٢، ص ٣٣٨.

(٣) الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ بَشَرِّ بْنِ دَهْمَانَ، الشَّقَفِيُّ، وَلَاَهُ أَخْوَهُ عَثَمَانُ الْبَحْرَيْنِ، تَوَفَّ سَنَةُ (٦٧) هـ. الذهبي، تاريخ: ج ٥، ص ١٠٩.

(٤) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠، ص ٢٩٦؛ وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ١١.

(٥) يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ١١.

أول من نعى أبا جعفر المنصور العباسي في البصرة

حينما مات أبو جعفر المنصور سنة (١٥٨ هـ / ٧٧٤ م)، نعي في البصرة، وكان أول من نعاه خلف الأحمر^(١)؛ إذ روى الأصماعي: أنه كان في حلقة يونس^(٢) فسلم، ولم يكن قد فشا بعد، فأخبرهم بموت المنصور^(٣).

أول من مشي في جنازته

ذكر: أن الناس كانوا يهربون في الجنائز، فكان عثمان بن أبي العاص (ت نحو ٥٥٠ هـ / ٦٧٠ م)^(٤)، أول من مشي في جنازته^(٥).

(١) خلف الأحمر: هو خلف بن حيان، أبو محرز، البصري، المعروف بالأحمر، مولى أبي بُردة بلال بن أبي موسى، الأشعري، معلم الأصماعي، ومعلم أهل البصرة، قيل: لم يكن أحد أعلم بالشعر منه، توفي في حدود سنة (١٨٠ هـ). ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٣، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٢) يونس بن حبيب: أبو عبد الرحمن، الضبي، البصري، إمام التّحو توفي سنة (١٨٣ هـ). الذّهبي، سير أعلام النّبلاء: ج ٨، ص ١٩١.

(٣) ينظر: الشّعالي، ثمار القلوب: ج ١، ص ٢٦٠؛ والزمخري، أبو القاسم، محمد بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، ربيع الأبرار ونوصوص الأخبار، (تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط ١، مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٩٩٢ م): ج ١، ص ٤٣٢.

(٤) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله، التّقفي، قدم على رسول الله ﷺ مع وفد ثقيف، وكان أصغر الوفد سنًا، أسلم سرًّا، وكتم ذلك، وأمره الرّسول ﷺ على الطائف، وهو أصغرهم؛ لما كان من حرصه على الإسلام، وأقره أبو بكر وعمر، ثم ولأه عمر البحرين، فلما عزله نزل البصرة وأهل بيته، وشرفوا بها، يُنسب إليه شطّ عثمان في البصرة، ينظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٥٠٨، ٥١٠، ٥٠٩؛ وابن حيّاط، الطبقات: ص ١٠٤؛ وابن عبد البر التّرمي، الاستيعاب: ج ٣، ص ١٠٣٥.

(٥) ينظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص ٥٥٥.

أَوْلُ مَنْ مُشِيَ خَلْفَ جَنَازَتِهِ بِلَا رَدَاءٍ

كان مِنْ رسوم العزاء تشيع الموتى، والمشي خلف الجنائز، وقد استحدث مصعب بن الزبير رسماً لأَوْلَ مَرَّة، بَأْنَ خَرَجَ يَمْشِي خَلْفَ جَنَازَةِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ (ت ٦٧ هـ / ٦٨٦ م) بِلَا رَدَاءٍ، وَقِيلَ: مَشَى قُدَّامَهَا^(١).

أَوْلُ مَنْ صَاحَتْ عَلَى مَيْتٍ (وَايِّ وَيِهِ، وَايِّ وَيِهِ)

أَحْدَثَتْ أَمْ عبدُ الْمُجِيدِ بْنَ عَبْدِ الْوَهَابِ، الثَّقْفِيِّ، رَسْمًا جَدِيدًا فِي الْعَزَاءِ لَمْ يَكُنْ مَعْهُودًا مِنْ قَبْلِهِ، فَقَدْ رُوِيَ: أَنَّ وَلَدَهَا عَبْدَ الْمُجِيدَ تَزَوَّجَ مِنْ امْرَأَةً، فَأَوْلَمَ عَلَيْهَا شَهْرًا، يَجِتَمِعُ عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَجُوهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَدْبَاؤُهَا وَشَعَرَاؤُهَا، فَصَعَدَ ذَاتُ يَوْمٍ إِلَى السَّطْحِ، فَرَأَى طَبَابًا مِنْ أَطْنَابِ السَّتَّارَةِ قَدْ انْحَلَّ، فَانْكَبَّ عَلَيْهِ لِيَشَدَّهُ، فَتَرَدَّى عَلَى رَأْسِهِ وَمَاتَ، فَصَعَدَتِ النِّسَاءُ إِلَى السَّطْحِ يَنْحِنُ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ أَمْ عبدُ الْمُجِيدِ: «وَاللَّهِ لَأَبْرَنَ قَسْمَهُ»^(٢)، وَتَقْصِدُ قَسْمُ الشَّاعِرِ ابْنِ مَنَذُرٍ^(٣)، الَّذِي قَالَ فِيهِ:

لَا قِيمَنَ مَائِمَا كَنْجُومِ اللَّيِّ
مِلِ زُهْرَا يَلْطِمَنَ حَرَّ الْخَدُودِ
رَى عَلَيْهِ وَلِلْفَوَادِ الْعَمِيدِ
مَوْجِعَاتِ يَكِينَ لِلْكَبِيدِ الْحَرِّ

(١) يُنْظَرُ: أَبُو هَلَالِ الْعَسْكَرِيِّ، الْأَوَّلَيْ، ص ٩٨.

(٢) أَبُو الْفَرْجِ الْأَصْفَهَانِيُّ، الْأَغْنَى: ج ١٨، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٣) ابْنُ مَنَذُرٍ: مُحَمَّدُ بْنُ مَنَذُرٍ، مُولَى بْنِ صَيْرٍ بْنِ يَرْبُوعٍ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ تَقِيمٍ، يَكْنَى بِأَبِي جَعْفَرٍ، وَقِيلَ: أَبِي ذَرِيحٍ، أَوْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، كَانَ مِنْ أَهْلِ عَدْنَ، قَدِمَ الْبَصْرَةَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَالْأَدْبِ، كَانَ يَتَعَشَّقُ عَبْدَ الْمُجِيدِ بْنَ عَبْدِ الْوَهَابِ الثَّقْفِيِّ، وَيَقُولُ فِيهِ الشِّعْرُ، وَكَانَ يَتَشَبَّهُ بِنِسَاءِ ثَقِيفٍ، فَطَرَدُوهُ مِنَ الْبَصْرَةَ، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، وَتَوَفَّ بِهَا سَنَةَ (١٩٨ هـ)، وُصَفَّ بِأَنَّهُ كَانَ شَاعِرًا فَصِيحًا مَقْدَمًا فِي الْعِلْمِ وَالْلُّغَةِ، يُنْظَرُ: ابْنُ قَتِيمَةَ الدِّينُورِيِّ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَ (ت ٢٧٦ هـ)، الشِّعْرُ وَالشُّعُراءُ، (تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ، دَارُ الْحَدِيثِ - الْقَاهِرَةُ / ٢٠٠٦ م): ج ٢، ص ٧٤٧؛ وَابْنُ عَدِيِّ، الْكَاملُ: ج ٦، ص ٢٦٨؛ وَيَاقوْتُ الْحَمْوَيِّ، مَعْجمُ الْأَدْبَاءِ: ج ٥، ص ٤٤٧.

فأقامت أم عبد المجيد مع أخواته وجواريه مائماً، وأخذت تصيح عليه: «واي ويه، واي ويه»، فيقال: إنها أول من فعل ذلك في الإسلام^(١).

أول من خضب بالسّواد
أول من خضب بالسّواد هو المغيرة بن شعبة، فقيل: إنه خرج على الناس،
وكان عهدهم به أبيض الشّعر، فتعجب الناس منه^(٢).

أول من ركب عجلة تجرّها الإبل
من ضمن الاستحداثات في وسائل النّقل، ذكر: أنَّ رجلاً من أهل البصرة،
وهو إبراهيم بن مظهر الكاتب^(٣)، كان قد حجَّ سنة (٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م) من البصرة
على عجلة تجرُّها الإبل، عليها كنيسة ومخروج وقباب^(٤)، فتعجب الناس منه؛ لأنَّه
كان أول من فعل ذلك^(٥).

(١) يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٨، ص ٣٧٥-٣٧٦؛ وجاء: أنَّ التي فعلت ذلك هي أخت عبد المجيد، وليس أمَّه، يُنظر: البستوي، محاضرة الأوائل: ص ١٥٤.

(٢) يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٦، ص ٩٣.

(٣) إبراهيم بن مظهر بن سعيد، الكاتب، الأنباري، يُنظر: ابن الجوزي، المتنظم: ج ١١، ص ٢٩٦.

(٤) الكنيسة: كَنَسَ الظَّبْيُ إذا تغَيَّبَ واستترَ في كِنَاسَةٍ، وهو الموضع الذي يأوي إليه، وتكتَنُّتْ، دخلتْ في الكناس، أي: دخلتْ في هودج. ابن منظور، لسان العرب: ج ٦، ص ١٩٨؛ والمخرج: بمعنى الخروج، وهو من الأوعية، وهو جُوالق ذو أذنين. ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ٢٥٢؛ والقباب: بمعنى الهودج، يُنظر: الجوهرى، الصّاحح: ج ١، ص ١٩٧، ويقال: هودج أجلح: لاقبة له. الزّمخشري، أساس البلاغة: ص ١٢٨.

(٥) يُنظر: ابن الجوزي، المتنظم: ج ١١، ص ٢٩٦؛ وابن تغري بردي، النّجوم الراحلة: ج ٢، ص ٣٠٧؛ والسيوطى، جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء،

أَوَّلُ مَنْ أَحَدَثَ عَمَلَ الْمَرَاوِحِ

يبدو أنَّ استخدام المراوح في البصرة كان مبكراً؛ إذ رُويَ أنَّ عبد الصمد بن الفضل بن خالد، أبو بكر، الرَّبِيعيُّ، البصريُّ^(١) (ت ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م)، الذي يُعرف بالمراويِّي، هو أَوَّلُ مَنْ أَحَدَثَ عَمَلَ الْمَرَاوِحِ بمصر^(٢)، وهذا يعني أنَّ عمل المراوح كان معروفاً في البصرة؛ إذ إنَّ البصرة تشتهر بوفرة النَّخيل، أي: توافر السُّعف والخُصُّ المستخدم في عمل المراوح. وفي روايةٍ ورد فيها أنَّ رجلاً رأى الحسن البصريَّ (ت ١١٠ هـ) على السُّطح وفي يده مروحة^(٣)، ما يعني أنَّ ذلك كان في القرن الأوَّل الهجريِّ.

- أَوَّلُ الطَّقُوسِ وَالشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ

شهدت البصرة العديد من الشعائر والطقوس الدينية المستحدثة التي ظهر بعضها لأول مرة، ليس على صعيد البصرة فحسب، بل على صعيد البلاد الإسلامية كافة، فكان لأهل البصرة الريادة فيها، وتمثل في:

(تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة- مصر / ١٩٥٢ م): ص ٣٤٨.

(١) عبد الصمد بن الفضل بن خالد، أبو بكر، الرَّبِيعيُّ، البصريُّ، المراويِّي، قدم مصر قدِيمًا، وكان ينزل في المعافر (ت ٢٤٣ هـ). يُنظر: السمعاني، الأنساب: ج ٥، ص ٢٥٠؛ وابن الجوزيُّ، المتنظم: ج ١١، ص ٣٠٩.

(٢) يُنظر: السمعاني، الأنساب: ج ٥، ص ٢٥٠؛ وابن الجوزيُّ، المتنظم: ج ١١، ص ٣٠٩.

(٣) يُنظر: ابن عدي، الكامل: ج ١، ص ٧٨.

أول من توضأ^(١) بالماء في البصرة

كان العرب قبل الإسلام لا يغسلون أثر البول والغائط، ولا يتطهرون، وحينما بعث النبي محمد ﷺ أمر الناس بالتطهير والاستنجاء، وقد ظهر الاختلاف في طريقة الاستنجاء، هل كانت بالأحجار أو بالماء، فقيل: إنّ الرسول ﷺ خير المسلمين بين الاستنجاء بالماء أو الأحجار، وجاء أنّ سعد بن أبي وقاص وابن الزبير أنكرا الاستنجاء بالماء، وقال سعيد بن المسيب^(٢): «هل يفعل ذلك إلا النساء»، أي: إنهم كانوا يستنجون بالأحجار، وإن غسل الدبر بالماء محدث^(٣).

وفي قول آخر ذكر: أنّ الرسول ﷺ كان قد أمر بالاستنجاء بالماء، وهو نفسه كان يفعل ذلك؛ إذ روى أنس بن مالك: أنه كان يحمل الماء للرسول ﷺ حين يدخل الخلاء، فيستنجي بالماء^(٤)، وروي أنّ قوله تعالى: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يَّجُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾^(٥)، نزلت في أهل قباء^(٦)، فكانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية

(١) توضأ للصلوة وضوءاً: تطهرت طهوراً، وقد يراد بالوضوء غسل بعض الأعضاء، ينظر: مرضي الزبيدي، تاج العروس: ج ١، ص ٢٧٦.

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، المخزومي، فقيه وعالم، ولد بعد أن حكم عمر بأربع سنين، ومات سنة (٧٢هـ)، وهو ابن (٨٤ سنة)، ينظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ١١٩.

(٣) ابن قدامة، عبد الله بن قدامة (٦٢٠هـ)، المغني، (دار الكتاب العربي-بيروت/د.ت): ج ١، ص ١٤٢.

(٤) ينظر: ابن قدامة، المغني: ج ١، ص ١٤٢.

(٥) من سورة التوبه، الآية (١٠٨).

(٦) قباء: من قبا بالضم، وأصله اسم بئر، فعرفت القرية به، وهي مساكنبني عمرو بن عوف من الأنصار، وقباء: قرية على ميلين من المدينة، على يسار القاصد إلى مكة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ١٤-١٥.

فيهم؛ لأنَّ الماء يُطهِّر المَحَلَّ وَيُزيل النَّجَاسَةَ^(١).

وفي قولِ ثالثٍ، هناك مَنْ يرى أَنَّ الأَفْضَلُ أَنْ يَتَمَّ استِخْدَامُ الْحَجَرِ وَالْمَاءِ مَعًا؛ إِذَاً جَمِيعَهُمَا معاً فِيهِ استِحْبَابٌ؛ لِأَنَّ الْحَجَرَ يُزيلُ عَيْنَ النَّجَاسَةِ فَلَا تُصِيبُهَا الْيَدُ، ثُمَّ يَأْتِي بِالْمَاءِ، فَيُطهِّرُ الْمَحَلَّ فِيهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي التَّنْظِيفِ^(٢).

وقد أَكَّدَ الْإِمامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْاسْتِنْجَاءَ بِالْمَاءِ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا لِلنَّاسِ الْمُسْلِمِينَ؛ إِذَاً كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْكُرْسَفِ^(٣) وَالْأَحْجَارِ، ثُمَّ أَحْدِثُ الْوَضُوءَ بِالْمَاءِ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(٤)، فَأَمْرَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَنَعَهُ بِنَفْسِهِ^(٥).

وَمِنْ خَلَالِ الْأَقْوَالِ الْمُذَكَّرَةِ آنَفًا، يَظْهُرُ أَنَّ الْاسْتِنْجَاءَ بِالْمَاءِ كَانَ مَحْدُثًا فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ أَمْرَرَ بِهِ، إِلَّا إِنَّ هُنَاكَ مَنْ بَقِيَ مُلْتَزِمًا بِالْاسْتِنْجَاءِ بِالْأَحْجَارِ، بَدْلِيلٍ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصَ، وَابْنَ الزَّبِيرِ وَغَيْرِهِمَا، أَنْكَرُوا الْاسْتِنْجَاءَ بِالْمَاءِ كَمَا مَرَّ بِنَا، وَهَذَا الْأَمْرُ كَانَ سَائِدًا فِي الْبَصَرَةِ، فَقَدْ ذُكِرَ أَحَدُ رَجَالَاتِ الْبَصَرَةِ، قَائِلًا: «أَتَى عَلَيْنَا زَمْنٌ وَنَحْنُ لَا نَغْسِلُ أَثْرَ الْغَائِطِ أَوِ الْبَوْلِ»^(٦)، وَاسْتَمَرَّ هَذَا الْأَمْرُ فِي الْبَصَرَةِ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ^(٧) أَوَّلَ مَنْ رَأَوْهُ فِي الْبَصَرَةِ

(١) يُنْظَرُ: ابن قَدَمَةَ، الْمَغْنِي: ج١، ص١٤٢.

(٢) يُنْظَرُ: ابن قَدَمَةَ، الْمَغْنِي: ج١، ص١٤٣.

(٣) الْكُرْسَفُ: الْقَطْنُ، يُنْظَرُ: ابن منظور، لِسَانُ الْعَرَبِ: ج٩، ص٢٩٧.

(٤) مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، الآيَةِ (٢٢٢).

(٥) يُنْظَرُ: الْكَلِيَّيِّ، أَبُو جَعْفَرٍ، حَمْدَنْ بْنَ يَعْقُوبَ (ت٣٢٩هـ)، الْكَافِ، (تَصْحِيحُ وَتَعْلِيقُ: عَلِيٌّ أَكْبَرُ الْغَفارِيِّ، ط٣، دَارُ الْكِتَبِ الْإِسْلَامِيَّةِ - طَهْرَان١٣٨٨هـ): ج٣، ص١٨.

(٦) الْحَرَانِيُّ، الْأَوَّلُ: ج١، ص١٧٦.

(٧) عَبْدُ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ: اسْمُ أَبِي بَكْرَةَ: (نَفِيعٌ)، وَيُقَالُ: (مَسْرُوحٌ)، أَبُو حَاتَمِ الشَّقَفِيِّ، أَحَدُ

يغسل أثر الغائط أو البول بالماء، فقالوا: «انظروا إلى هذا الأحق يغسل أسته»^(١)، وجاء في رواية أخرى أنهم قالوا: «انظروا إلى هذا الحبشي يلوط أسته»^(٢)، ويبدو أن عبيد الله بن أبي بكرة فعل ذلك في أواخر عمره عندما أصبح شيخاً كبيراً، فقد ورد القول حينها رأوه يفعل ذلك: «انظروا إلى هذا الشّيخ...»^(٣)، وبما أن عبيد الله توفي سنة (٧٩ هـ / ٦٩٩ م) أو (٨٠ هـ / ٦٩٨ م)^(٤)، فهذا يعني أنه قد ظهر العمل في الاستنجاء بالماء في الربع الأخير من القرن الأول الهجري، فكان مثار استغراب واستكثار من أهل البصرة؛ لذلك فإنهم لم يقوموا بالفعل نفسه، أو إنهم لم يلتزموا أوامر الرسول ﷺ، بدليل القول: إن الحسن البصري (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) كان لا يستنجمي بالماء^(٥).

أول من نصب قبلة البصرة

ذكر: أن عتبة بن غزوان والي البصرة هو أول من نصب قبلة البصرة^(٦).

الكرام المذكورين، والسمحاء المشهورين، تولى قضاء البصرة، وإمرة سجستان وقضاءها، وفدي على عبد الملك بن مروان، وتوفي في سجستان. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٨، ص ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤٢.

(١) الحراني، الأوائل: ج ١، ص ١٧٦.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص ١٢٧؛ وأبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٥.

(٣) البيهقي، الشّيخ إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠ هـ)، المحسن والمساوئ، (وضع حواشيه: عدنان علي، ط ١، دار الكتب العلمية- بيروت / ١٩٩٩ م): ج ١، ص ١٦٣؛ قيل: إن أول من رأيناً بالبصرة يستنجمي بالماء عبيد الله بن أبي بكرة. البسنوي، محاصرة الأوائل: ص ١٣٩.

(٤) يُنظر: ابن خيّاط، تاريخ: ص ٢٢٨؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٨، ص ١٤٢.

(٥) يُنظر: ابن قدامة، المغني: ج ١، ص ١٤٢.

(٦) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، تلخيص الحبير في

أَوْلُ مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْآيَاتِ فِي الْبَصْرَةِ

وردت الإشارة إلى خسوف القمر في البصرة أيام ولاية عبد الله بن عباس، في خلافة الإمام علي عليه السلام، فخرج فصلٌ بالناس ركعتين، في كل ركعة ركعتان، وقيل: إن هذه الصلاة سُنة عن رسول الله عليه السلام^(١)، وفي إشارة ثانية، ذكر: أن ابن عباس صلَّى في زلزلة وقعت في البصرة أيام ولايته، فصلٌ ست ركعات وأربع سجادات، أي: إنه صلَّى ركعتين في كل ركعة ثلاثة ركوعات، وقال: «هذه صلاة الآيات»^(٢).

أَوْلُ مَنْ عَرَفَ فِي الْبَصْرَةِ

وعبد الله بن عباس هو أول من عرف في البصرة إثبات ولايته عليها^(٣)، وبهذا الشأن قيل: إن ابن عباس قال: «هذا يوم عرفة، فهلّمُوا نجتمع فيه، فندعوا الله لعل دعاءنا يُوافق دعاءهم، فتنزل الإجابة، فنشر كهم فيها»^(٤)، فجمع ابن عباس

تخریج أحادیث الرافعی الكبير (دار الفكر- بيروت / د.ت): ج ٣، ص ٢٢٣.

(١) يُنظر: البهوقی، الشیخ منصور بن یونس (ت ١٠٥١ھ)، کشاف القناع، (تحقيق: أبو عبد الله، محمد حسن الشافعی، ط ١، دار الكتب العلمیة- بيروت ١٩٩٧م): ج ٢، ص ٦٨.

(٢) يُنظر: الكحلاوی، محمد بن إسماعیل (ت ١١٨٢ھ)، سبل السلام، (مراجعة وتعليق: الشیخ محمد عبد العزیز الحلوی، ط ٤- مصر ١٩٦٠م): ج ٢، ص ٧٧.

(٣) يُنظر: الصنعاني، المصنف: ج ٤، ص ٣٧٦؛ وابن أبي شيبة، المصنف: ج ٤، ص ٣٧٢، ج ٨، ص ٣٣٨، ٣٥٧؛ والحرانی، الأوائل: ج ١، ص ١٣٨؛ وابن خلکان، وفیات الأعیان: ج ٣، ص ٧١؛ والعصامی المکی، عبد الملك بن حسین (ت ١١١١ھ)، سمط النجوم العوالی، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد مغوض، دار الكتب العلمیة- بيروت ١٩٩٨م): ج ٣، ص ٢٧٤؛ والذهبی، سیر أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٥١؛ وابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٩، والقلقشندی، مأثر الإنابة: ج ١، ص ١٢٦، ٥٩.

(٤) أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٨٩.

الناس في مسجد البصرة يوم عرفة، وصعد المنبر، فقرأ سورة البقرة وأل عمران، ففسّر هما حرفًا حرفًا^(١).

أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة في العيد

روى جابر بن عبد الله، الأنصاري^(٢): أنه شهدَ رسول الله ﷺ في يوم عيدٍ كان قد بدأ بالصلوة قبل الخطبة، وسار على نهجه أبو بكر وعمر^(٣)، فلما تولى عثمان غيره في سنة رسول الله ﷺ؛ إذ كان عثمان أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة، وقيل: إنه أراد أن يجيء الناس فيبدأ بالخطبة^(٤).

وفي رواية أخرى، ذُكر أنَّ أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة هو معاوية، وقيل: مروان بن الحكم^(٥)، ويبدو أنَّ الارجح أنَّ معاوية هو أول من فعل ذلك؛ لما عُرف عنه من إدخاله العديد من البدع والانحرافات^(٦).

(١) يُنظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ج ١، ص ١٧٥؛ وابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، غريب الحديث، (تحقيق: د. عبد الله الجبوري)، مطبعة العاني-بغداد/١٣٩٧هـ): ج ٢، ص ٣٥٤؛ وأبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٨٩.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد السلمي، الأنصاري، له صحبة، شهد العقبتين، وشهد بدرًا، ومن المشاهد تسع عشرة غزاة، توفي بالمدينة سنة (٧٧٨هـ)، بعد أنْ عمرَ، وعمره (٩٤ سنة)، يُنظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٢، ص ٤٩٢؛ وابن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار: ص ٣٠.

(٣) يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج ٢، ص ٧٥.

(٤) يُنظر: الصناعي، المصنف: ج ٣، ص ٢٨٣؛ والحراني، الأوائل: ج ١، ص ١٥٩.

(٥) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج ٢، ص ٣٧٦.

(٦) يُنظر: الحراني، الأوائل: ج ١، ص ١٤٨، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤.

وأمّا ما يخصّ البصرة، فإنّ زياد بن أبيه أوّل من بدأ بالخطبة قبل الصّلاة في العيد^(١).

أوّل من أحدث الأذان في العيد

كان رسول الله ﷺ يُصلّي يوم العيد بغير أذان ولا إقامة^(٢)، فأحدث معاوية الأذان في العيد^(٣)، مخالفًا بذلك سُنّة رسول الله ﷺ؛ إذ رُويَ: أنَّه أذن وأقام في يوم الفطر والنحر، ولم يكُنْ قبل ذلك أذان ولا إقامة^(٤)، وسار على نهج معاوية ولاته وعِمَاله، فكان زياد بن أبيه أوّل من أذن في العيدين بالبصرة^(٥).

أوّل من نقص التكبير

عُرفَ عن رسول الله ﷺ أنَّه كان يُكثِّر كلّما ركع وكلّما سجد^(٦)، فعمل معاوية على تنقيص التكبير، فكان أوّل منْ فعل ذلك^(٧)، وفي البصرة، ذُكر: أنَّ زиاد بن أبيه هو أوّل منْ نقص التكبير^(٨).

(١) يُنظر: ابن عبد البر النَّمَريُّ، أبو عمر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، الاستذكار، (تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معرض، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت / ٢٠٠٠ م)؛ ج ٢، ص ٣٨٢؛ والبستنيُّ، محاضرة الأوائل: ص ١٤٤.

(٢) يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج ٢، ص ٧٥.

(٣) يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج ٨، ص ٣٢٨.

(٤) يُنظر: الحرّانيُّ، الأوائل: ج ١، ص ١٥٨.

(٥) يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج ٨، ص ٣٢٥؛ والعينيُّ، عمدة القارئ: ج ٦، ص ٢٨٢؛ وابن شاكر الكتبىُّ، فوات الوفيات: ج ٢، ص ٣٢.

(٦) يُنظر: الهيثميُّ، مجمع الرّوائid: ج ٢، ص ١٣١؛ والعينيُّ، عمدة القارئ: ج ٦، ص ٥٨.

(٧) يُنظر: الحرّانيُّ، الأوائل: ج ١، ص ١٥٧.

(٨) يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج ١، ص ٢٧٣؛ ج ٨، ص ٣٢٦.

أول من جهر بالمعوذتين في الصلاة

أحدَ عبيد الله بن زياد الجهر بالمعوذتين في الصلاة، وقيل: إنَّه أول من فَعَلَ ذلك^(١).

أول من رفع يديه في الخطبة

ذكر: أنَّ والي البصرة عبيد الله بن عبد الله بن معمراً أول من رفع يديه في الخطبة يوم الجمعة^(٢).

أول من رفع صوته بالتهليل بعد الصلاة

رويَ: أنَّ مصعب بن الزبير كان حين فرغ من الصلاة يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، يرفع صوته بها، فقيل عنه: «قاتلُه الله، إِنَّه لغالي بالبدع»، ثم صار هذا سُنة في العامة يفعلونها، إِلَّا إِنَّمَا يقولونَ في آخر الصلاة: «يا رب يا رب»، ومصعب أول من فَعَلَ ذلك^(٣).

- أوائل المهن والحرف في البصرة

برزت في البصرة بعض المهن والحرف ولأول مرّة، وتشمل ما يأتي:

(١) يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج ٨، ص ٣٢٨.

(٢) يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج ٢، ص ٥٥؛ ج ٨، ص ٣٣٠؛ وأبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٥؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٨، ص ١٢٤؛ والقلقشندى، صبح الأعشى: ج ١، ص ٤٧٩.

(٣) يُنظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٨.

أول من زرع النخل في البصرة

كان أبو بكرة أول من غرس النخل في البصرة، وقال: «هذه أرض نخل»، ثم غرس الناس بعده^(١).

أول من تاجر بالخيول

ذكر: أن أبي عبد الله نافع بن الحارث بن كلدة، الثقيـي -أخـا أبو بكرة- أول من افتلى الفلا^(٢) في البصرة؛ إذ جاء آنـه وفـد على عمر بن الخطـاب، وقال له: «إنـ بالبصرة أرضاً ليسـ بأرض الخـراج، ولا تضرـ بأحدـ من المسلمين»^(٣)، وقيل: إنـه طلبـ من عمرـ أنـ يقطعـه تلكـ الأرضـ ليـتـخذـها قـضـباً^(٤) خـيلـه^(٥)، وقالـ: «إنـ قدـ افتـلـيـتـ فـلاـءـ بالـبـصـرـةـ، وـاتـخـذـتـ بـهـ تـجـارـةـ»^(٦)، أيـ: أرادـ أرضاً ليـزرـعـها وـتـرـعـىـ عـلـيـهاـ خـيلـهـ، فـكـتبـ عـمـرـ إـلـيـ أـبـيـ مـوسـىـ الـأـشـعـرـيـ: «إـنـ كـانـتـ لـيـسـتـ تـضـرـ بـأـحـدـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ، وـلـيـسـتـ مـنـ أـرـضـ الـخـراجـ، فـأـقـطـعـهـ إـيـاهـ»^(٧).

(١) يـنظرـ: يـاقـوتـ الـحـموـيـ، مـعـجمـ الـبـلـدانـ: جـ٢ـ، صـ٣٤٢ـ.

(٢) اـفـتـلـيـ الفـلاـ: حـدـدـ الـأـرـضـ الـفـلاـةـ وـامـتـلـكـهـاـ، يـنظرـ: أـبـيـ شـيـبـةـ، الـمـصـنـفـ: جـ٧ـ، صـ٦٤٠ـ، هـامـشـ الـمـحـقـقـ).

(٣) القرـشـيـ، الـخـراجـ: صـ١١٣ـ.

(٤) القـضـبـ: الـقطـعـ، وـالـقـضـيـبـ: كـلـ نـبـتـ مـنـ الـأـغـصـانـ يـقـضـبـ، وـالـجـمـعـ قـضـبـ، وـالـقـضـبـ: مـاـ أـكـلـ مـنـ النـبـاتـ المـقـضـبـ عـصـاـ، وـالـقـضـبـ مـنـ الشـجـرـ: كـلـ شـجـرـ سـبـيـطـ أـغـصـانـهـ وـطـالـ.

ابـنـ منـظـورـ، لـسانـ الـعـربـ: جـ١ـ، صـ٦٧٨ـ، ٦٧٩ـ.

(٥) يـنظرـ: أـبـنـ سـلامـ، الـأـمـوـالـ: جـ٢ـ، صـ١٤٧ـ؛ وـابـنـ زـنـجـوـيـهـ، حـمـيدـ بـنـ زـنـجـوـيـهـ (تـ٢٥١ـهـ)، كـتـابـ الـأـمـوـالـ، (تـحـقـيقـ: شـاكـرـ ذـيـبـ فـيـاضـ، طـ١ـ الـرـيـاضـ / ١٩٨٦ـمـ): جـ٢ـ، صـ٦٢٤ـ.

(٦) أـبـوـ حـنـيفـةـ الـدـيـنـوـرـيـ، الـأـخـبـارـ الطـوـالـ: صـ١١٢ـ.

(٧) القرـشـيـ، الـخـراجـ: صـ١١٣ـ؛ وـذـكـرـ اـبـنـ عـساـكـرـ أـنـ وـالـيـ الـبـصـرـ -ـآنـذاـكـ- هوـ عـتـبةـ بـنـ

وجاء: أنّ عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري: «إنّ أبا عبد الله سألني أرضاً على شاطئ دجلة يفتلي فيها خيله، فإنْ كانت ليست منْ أرض جزية ولا يجري فيها ماء الجزية فأعطيها إياه»^(١)، وقد كانَ مقدار مساحة تلك الأرض عشرة أجرة^(٢).

أولُ مَنْ كَتَبَ المصاحفَ بِأَجْرَةٍ

برز في البصرة مَنْ امتهنَ العمل بكتابة المصاحف مقابل الحصول على الأموال، فكان أولُ مَنْ فَعَلَ ذلك مالك بن دينار (ت ١٣١ هـ / ٧٤٨ م)، الذي قيل: إنّه كان يكتب المصاحفَ بِالْأَجْرَةِ^(٣).

أولُ مَنْ عَمِلَ بِنَسْخِ الْكِتَبِ

مِنَ الْمَهَنِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْبَصْرَةِ مِهْنَةُ نَسْخِ الْكِتَبِ بِالْأَجْرَةِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ بِهَذِهِ الْمَهَنَةِ حَفْصُ بْنُ سَلِيمَانَ^(٤) (ت ١٣١ هـ / ٧٤٨ م)، فَقُدْ رُوِيَ: أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ كِتَبَ النَّاسِ، فَيَنْسِخُهَا^(٥).

غزوان، يُنظر: تاريخ مدينة دمشق: ج ٦، ص ٣٥، والأرجح هو أبو موسى الأشعري.

(١) القرشيّ، الخراج: ص ٦٧؛ وابن زنجويه، الأموال: ج ٢، ص ٦٢٥.

(٢) يُنظر: ابن زنجويه، الأموال: ج ٢، ص ٦٢٥؛ والجريب: يُساوي سبعة أقفرة في أيام عمر، ومكيال الحريب في صدر الإسلام (٢٩, ٥) لترًا، أو (٢٢,٧١٥ كغم) قمحًا، يُنظر: فالتر هتش، المكاييل والأوزان: ص ٦١.

(٣) يُنظر: اليافعيّ، مرآة الجنان: ج ١، ص ٢٧٠.

(٤) حفص بن سليمان، مولىبني منقر، أبو الحسن، وصفه الحسن البصريّ بـأنّه كان أعلمهم، مات قبل الطاعون الذي وقع سنة (١٣١ هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٢٥٦.

(٥) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٢٥٦.

أَوَّلُ مَنْ تَاجَرَ بِالْخَمْرِ فِي الْبَصْرَةِ

عَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَحْرِيمِ الْإِسْلَامِ شَرَبَ الْخَمْرَ وَالْمَتَاجِرَةَ بِهِ^(١)، إِلَّا إِنَّ شَرْبَهُ وَبِيعَهُ صَارَا مَتَادِولِينِ فِي الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِي الْبَصْرَةِ، ذُكِرَ: أَنَّ سَمْرَةَ بْنَ جَنْدَبَ (تِّسْعَائَة٥٩ هـ / ٦٧٨ م) أَوَّلُ مَنْ اتَّجَرَ بِالْخَمْرِ، لَيْسَ عَلَى نَطَاقِ الْبَصْرَةِ فَقَطُّ، بَلْ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ^(٢).

أَوَّلُ مَنْ بَاعَ السَّمَادَ فِي الْبَصْرَةِ

مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يُصْبِحَ بَيْعُ السَّمَادِ رَائِجاً فِي الْبَصْرَةِ؛ لِكثْرَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي الزَّرْعَةِ، أَوْ رَبَّا لِاستِخْدَامِهِ الْأُخْرَ فِي الطَّهُورِ أَوْ لِأَغْرَاضِ التَّدْفِعَةِ، وَقَدْ ذُكِرَ: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ السَّمَادَ فِي الْبَصْرَةِ وَبَاعَهُ عَيْسَى بْنُ سَلَيْمَانَ بْنِ عَلَيٍّ^(٣)؛ إِذْ كَانَتْ لَهُ ضَيْعَةٌ تُعْرَفُ بِ(دَالِيَّةِ عَيْسَى)، يَبْيَعُ مِنْهَا الْبَقْوَلُ وَالرِّيَاحِينُ^(٤)، وَفِيهِ أَنْشَدَ أَحَدُ

(١) يُنْظَرُ: الْقَمِيُّ، عَلَيٰ بْنُ بَابُويَّهِ (تِّسْعَائَة٢٩ هـ)، فَقْهُ الرَّضَا^ع، (ط١، تَحْقِيقُ: مَؤْسِسَةُ آلِ الْبَيْتِ لِإِحْيَاءِ التَّرَاثِ - قِمٌ / ٤٠٦ هـ): ص٢٧٩؛ وَالشَّيْخُ الصَّدِوقُ، أَبُو جَعْفَرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلَيٍّ (تِّسْعَائَة٨١ هـ)، الْمَقْنَعُ، (تَحْقِيقُ: لَجْنةُ التَّحْقِيقِ التَّابِعَةُ لِمَؤْسِسَةِ الْإِمامِ الْهَادِي^ع - قِمٌ / ٤١٥ هـ): ص٤٥١.

(٢) يُنْظَرُ: ابْنُ شَازَانَ، الْفَضْلُ بْنُ شَازَانَ، الْأَزْدِيُّ (تِّسْعَائَة٦٠ هـ)، الْإِيْضَاحُ، (تَحْقِيقُ: السَّيِّدُ جَلالُ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ، الْأَرْمُوِيُّ، اِنْتَشَارَاتُ طَهْرَانٌ / ١٩٦٣ م): ص٦٧؛ وَأَبُو هَلَالُ الْعَسْكَرِيُّ، الْأَوَّلَيْنُ: ص٩٣.

(٣) عَيْسَى بْنُ سَلَيْمَانَ بْنِ عَلَيٍّ، أَخُو وَالِي الْبَصْرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَيْمَانَ بْنِ عَلَيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَحِينَما تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ سَلَيْمَانَ سَنَةً (١٧٣ هـ)، اسْتَخَلَفَ أَخُوهُ عَيْسَى عَلَى الْبَصْرَةِ، يُنْظَرُ:

ابْنُ عَسَاكِرٍ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دَمْشِقٍ: ج٥، ص٥٣. ١٣٩.

(٤) يُنْظَرُ: أَبُو الْفَرجِ الْأَصْفَهَانِيُّ، الْأَغَانِيُّ: ج٢، ص٢٦٩.

الشعراء، قائلاً^(١):

إِذَا رُزِقَ الْعِبادُ فَإِنَّ عِيسَى لَهُ رِزْقٌ مِّنْ أَسْتَهِ الْعِبادِ

أَوْلُ مَنْ أَنْشَأَ سُوقًا فِي الْبَصْرَةِ

ذُكر: أن عبد الله بن عامر بن كريز والي البصرة أول من اتخذ السوق للناس في البصرة؛ إذ إنّه اشتري دوراً، فهدمها، وجعلها سوقاً^(٢).

أما أول من اتخذ السقيف على حوانيت السوق، فهو زياد بن أبيه، وذلك حين أمر بأن لا تغلق أبواب الحوانيت، وكانت الكلاب تطرح الأمتعة، فأمر بمد السقف عليها^(٣)، وزياد -أيضاً- كان أول من أخذ من السوق أجراً^(٤)، أي: إنه أول من فرض ضريبة على الباعة في السوق.

أَوْلُ مَنْ بَنَى دَارَ الرِّزْقِ فِي الْبَصْرَةِ

كان زياد بن أبيه أول من بنى دار الرزق في البصرة، وزاد فيها ابنه عبيد الله فيما بعد^(٥)، وقيل: إنّها كانت تسمى أحياناً: (مدينة الرزق)، أو: (قرية الرزق)، تُودع فيها الحبوب والأطعمة، ليتم توزيعها على الناس في بداية كل شهر^(٦)، وهي تقع

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٢، ص ٢٦٩، ٢٨٥.

(٢) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٩، ص ٢٦١؛ وابن الأثير، أسد الغابة: ج ٣، ص ١٩١.

(٣) يُنظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ٩٣؛ والبسنوبي، محاضرة الأوائل: ص ١٥٠.

(٤) يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج ٥، ص ٢٨٧، ج ٨، ص ٣٢٦.

(٥) يُنظر: البلاذري، أنساب: ج ٥، ص ٢١٤.

(٦) يُنظر: د. صالح أحمد العلي، خطط البصرة: ص ١٥٤.

بالقرب من نهر معقل، في الأطراف الشَّماليَّة الشَّرقيَّة من البصرة^(١).

أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ أَلْسِنَةَ الْمَوَازِينَ^(٢) مِنْ حَدِيدٍ

ذُكِرَ: أَنَّ وَالِيَ الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنِ كَرِيزٍ كَانَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ أَلْسِنَةَ الْمَوَازِينَ مِنَ الْحَدِيدِ^(٣)، وَقَبْلَهُ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَرِنُونَ بِالشَّاهِينِ^(٤)، أَيْ: بِعُمُودِ الْمِيزَانِ فَقَطَ^(٥); لِعدَمِ وُجُودِ أَلْسِنَةٍ لِلْمِيزَانِ.

أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الدَّرَاعَ^(٦) فِي الْبَصْرَةِ

قِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الدَّرَاعَ الَّتِي يُذْرِعُ بِهَا الْأَرْضُونَ فِي الْبَصْرَةِ هُوَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ؛ إِذْ رُوِيَ: أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ أَطْوَلِهِمْ دَرَاعًاً وَأَوْسَطِهِمْ وَأَقْصَرِهِمْ، فَجَمَعَهُمَا، وَأَخْذَ ثَلَثَاهَا، فَجَعَلَهَا دَرَاعًاً^(٧).

وَجَاءَ: أَنَّ الدَّرَاعَ الَّتِي وَضَعَهَا زِيَادٌ كَانَتْ تُسَمَّى: الزَّيَادِيَّةُ، فَلَمَّا قَدِمَ سَلِيمَانُ

(١) يُنَظَّرُ: د. صالح أَحْمَدُ الْعَلَى، خَطَطُ الْبَصْرَةِ: ص ٩٦.

(٢) الْمِيزَانُ: هُوَ أَحَدُ الْآلاتِ الَّتِي يَقُولُ إِلَيْهَا تَقدِيرُ الْمَقَدَّراتِ. الْقَلْقَشِنِيُّ، صَبَحُ الْأَعْشَى: ج ٢، ص ١٥٤.

(٣) يُنَظَّرُ: أَبُو هَلَالُ الْعَسْكَرِيُّ، الْأَوَّلَيْنِ: ص ٩١؛ وَالْقَلْقَشِنِيُّ، صَبَحُ الْأَعْشَى: ج ٢، ص ١٥٥؛ وَالْبَسْنُوِيُّ، مَحَاضِرُ الْأَوَّلَيْنِ: ص ١٥٠.

(٤) يُنَظَّرُ: الْبَسْنُوِيُّ، مَحَاضِرُ الْأَوَّلَيْنِ: ص ٢٠١.

(٥) يُنَظَّرُ: الزَّيَادِيُّ، تَاجُ الْعَرُوسِ: ج ١٨، ص ٣٣١.

(٦) الدَّرَاعُ: مَا بَيْنَ طَرْفَيِ الْمِرْفَقِ إِلَى طَرْفِ الْأَصْبَعِ الْوَسْطَى. أَبُو مَنْظُورُ، لِسَانُ الْعَرَبِ: ج ٨، ص ٩٣؛ وَالدَّرَاعُ تُقَدَّرُ بِهَا الْأَرْضُونَ، وَيُقَاسُ الْبَزُورُ، وَهِيَ عَلَى سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ. الْقَلْقَشِنِيُّ، صَبَحُ الْأَعْشَى: ج ٢، ص ١٥٥-١٥٦.

(٧) يُنَظَّرُ: أَبُو هَلَالُ الْعَسْكَرِيُّ، الْأَوَّلَيْنِ: ص ٩٣؛ وَالْقَلْقَشِنِيُّ، صَبَحُ الْأَعْشَى: ج ١، ص ٤٨٤.

ابن علي البصرة زاد فيها وسمّاها: الهاشمية^(١)، وقدرتُ الذراع الزّيادية بأنّها أربع عشر ونّ أصبعاً، كلّ أصبع سبع شعيرات معتدلات مفترضات، ظهر البطن لكلّ شعيرة عرض سبع شعرات من شعر البرِّذون، وهذه الذّراع التي يعتمدها الفقهاء في الشرعيّات، وبها قدرّوا البريد المعتبر في مساحة قصر الصلاة، وغيرها^(٢).

إلا إنّ رواية أخرى تؤكّد أنّ أول ذراع اخْتَذ في البصرة هي تلك التي وضعها أبو موسى الأشعريّ، وهي التي عُرِفت بالذراع البلاليّة، نسبة إلى بلال بن أبي بُرْدَة بن أبي موسى الأشعريّ، وهي أنقص من الزّياديّة^(٣).

أول من زاد في عطاء أهل البصرة ووسع عليهم

عاني أهل البصرة في بداية تصييرها من تردّي الوضع المعاشّي مقارنة بأهل الكوفة، فتوّجَه سنة (١٧ هـ / ٦٣٨ م) وفُدُّ من أهل البصرة إلى عمر بن الخطّاب، ورفعوا حوايجهم العامة والخاصّة، فتكلّم زعيم الأحنف بن قيس موظّحاً لعمر الوضع المتردّي، بقوله: «... وظيفتنا^(٤) ضيقّة، وعددنا كثير، وأشرافنا قليل، وأهل البلاء فينا كثير، ودرهمنا كبير، وقفيزنا^(٥) صغير، وقد وسّع الله علينا، وزاد

(١) يُنظر: أبو هلال العسكريّ، الأوائل: ص ٩٣.

(٢) القلقشنديّ، صبح الأعشى: ج ٢، ص ١٥٦.

(٣) يُنظر: القلقشنديّ، صبح الأعشى: ج ٢، ص ١٥٦.

(٤) الوظيفة: ما يُقدّر في كلّ يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شراب، وجمعها الوظائف.
ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ٣٥٨.

(٥) القفيز: من المكاييل، معروف، وهو ثمانية مكاكيل عند أهل العراق، والمكوك: مكيال يسع صاعاً ونصف صاع، وهو من الأرض قدر مائة وأربع وأربعين ذراعاً. ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٣٩٥.

في أرضنا، فوسّع علينا يا أمير المؤمنين، وزدنا وظيفة توظّف علينا، ونعيش بها، ...^(١)، فلما سمع عمر قول الأحنف ألحَ المقاتلة من أهل البلاء من أهل البصرة في الألفين^(٢)، وأقطع أهل البصرة ما كان فيه لأهل كسرى وزادهم^(٣).

أولُ مَنْ ضَرَبَ النَّقُودَ الْعَرَبِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي الْبَصْرَةِ

ضمن سياسة الدَّسِّ والتزوير للروايات والأخبار وتضليل الحقائق، ذُكر: أنَّ أولَ مَنْ ضَرَبَ السَّكَّةَ فِي الإِسْلَامِ هُوَ الْحَاكِمُ الْأُمُوَيُّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ^(٤)، في محاولةٍ لِإِخْفَاءِ فَضَائِلِ الْإِمَامِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَهُوَ أَوْلُ مَنْ ضَرَبَ السَّكَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ سَنَةَ (٦٦٠/٥٤٠هـ)^(٥)، وَهَذَا الْأَمْرُ حَسْمَهُ بِالدَّلِيلِ الْقَاطِعِ عَلَمَاءِ الْآتَارِ؛ إِذْ عُشْرُ عَلَى دَرَاهِمِيْنِ، الْأَوْلُ ضُرُبَ فِي مَدِينَةِ الرَّيِّ^(٦) سَنَةَ (٦٥٧/٣٣٧هـ)، وَقَدْ نُقِشتْ عَلَيْهِ عَبَارَةً: «وَلِيُّ اللَّهِ»، وَهُوَ عَلَى الطَّرَازِ الْأَجْنَبِيِّ، أَمَّا الدَّرَاهِمُ الثَّانِيِّ، فَقَدْ ضُرُبَ فِي الْبَصْرَةِ سَنَةَ (٦٦٠/٥٤٠هـ)، وَقَدْ نُشِرَ (لَا فُوكِس) سَنَةَ (١٨٨٧م)، وَعَلَيْهِ الْعَبَارَاتُ الْآتَيَةُ:

(١) الطبرى، تاريخ: ج٣، ص١٧٣؛ وابن الأثير، الكامل: ج٢، ص٣٨٧.

(٢) يُنظر: الطبرى، تاريخ: ج٣، ص١٧٣.

(٣) يُنظر: ابن الأثير، الكامل: ج٢، ص٣٨٨.

(٤) يُنظر: أبو حنيفة الدينورى، الأخبار الطوال: ص٣٦.

(٥) يُنظر: المازندرانى، السيد موسى الحسينى، العقد المثير في تحقيق ما يتعلّق بالدرّاهم والدّنانير، (ط٢، المطبعة الإسلامية-طهران/١٣٨٢هـ): ص٤٤.

(٦) الرّي: مدينة مشهورة، وهي قصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور (١٦٠) فرسخاً، وكانت مدينة عظيمة، ضرب أكثرها سنة (٦١٧هـ) على يد التتر. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٤، ص٤٥٧-٤٥٨.

مركز الوجه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له
الطوق: بسم الله، ضرب هذا الدرهم سنة أربعين
الله أحد الله الصمد لم يلد

مركز الظهر: ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد
الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو
كره المشركون

فالبصرة هي أول موطن لأقدم درهم عربي إسلامي وصل إلينا، خالٍ من أيّ
إشاراتٍ أجنبيةٍ إبان خلافة الإمام عليٰ عليه السلام^(١).

وليس بالأمر المستبعد أن يكون الإمام عليٰ عليه السلام أول من ضرب السكة
الإسلامية، وأبطل النقود الكسرورية والقيصرية، فمما آثار الشرك والشعائر
المجوسية والنصرانية عن السكة الإسلامية، فإنه أعلم الأمة بصلاحها وفسادها،
وأولى الناس بإقامة الأمان وتعظيم شعائر الدين الإسلامي^(٢).

وذُكر: أن الدوافع وراء ضرب الإمام عليٰ عليه السلام للنقود يعود إلى الطرف السياسي
الذي أحاط بخلافته، فمنذ بداية حكمه واجه نكوتاً وتمرداً تسبّب في حدوث وقعة
الجمل سنة (٣٦٦هـ/٦٥٦م)، ثمّ أعقبه تردد وإلى الشام معاوية ووقعة صفين سنة
(٣٧٧هـ/٦٥٧م)، وما أسف عنها من ظهور الخوارج وتمادي معاوية في العصيان
باستيلائه على مصر وإرسال الغارات على المدن الإسلامية كمكة والمدينة واليمن،

(١) يُنظر: النّصر الله، د. جواد كاظم، البصرة الموطن الأول لأول عملة عربية إسلامية، (مجلة دراسات البصرة، مركز دراسات البصرة-جامعة البصرة، العدد الأول، السنة الأولى ٢٠٠٦م): ص ٤-٢.

(٢) يُنظر: المازندراني، العقد المنير: ص ٤٦.

فمثل هذا الوضع المرتبك جعل بلاد الإمام عليٰ تشهد شحّة في النقد؛ لذا، فإنّه قام بضرب عملاتٍ نقديةٍ من الدرّاهم، فضرب نقوداً عربيةً إسلاميةً^(١). ويرى النّصر الله أنَّ الإمام عليًّا ربّما كان قد ضرب دراهمَ آخر فيسائر البلاد الإسلامية، ليس هذا فقط، فمن غير المستبعد أن يكون الإمام عليًّا قد ضرب الدّنانير -أيضاً-، فربّما يأتي يومٌ يُكشفُ لنا ذلك^(٢).

أَوْلُ مَنْ ضَرَبَ النَّقُودَ الْمَزِيفَةَ

ورد: أنَّ عبيداً الله بن زياداً كان أَوْلُ مَنْ ضرب الدرّاهم الزُّيوف^(٣)، وذُكر: أنَّ سبب ذلك يكمن في ثورة أهل البصرة عليه، فخرج هارباً سنة (٦٤/٦٨٣ م)، فكان الأعراب يتعرّضون له، فكان يعطيهم الدرّاهم المزيفة^(٤).

أَوْلُ حَسَارِ اقْتَصَادِيٍّ فُرُضَ عَلَى الْبَصْرَةِ

استخدم معاوية مختلف السُّبُل والإجراءات الجائرة لإخضاع الولايات، وضمان طاعة أهلها للحكم الأمويّ، وكان مِنْ بين تلك الإجراءات استخدامه

(١) يُنظر: د. جواد كاظم النّصر الله، البصرة الموطن الأوّل: ص ٤.

(٢) يُنظر: البصرة الموطن الأوّل: ص ٥.

(٣) يُنظر: ابن أبي الدنيا، أبو بكر، عبد الله بن محمد (ت ٢٨١ هـ)، إصلاح المال، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت / ١٤١٤ هـ): ج ١، ص ٤٣؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٧، ص ٤٤؛ والقلقشندى، صبح الأعشى: ج ١، ص ٤٨٤؛ والبسنويّ، محاضرة الأوائل: ص ١٥١. زاف الدرّاهم زيفٌ زُيوفاً وزُيوفة، رُدُّ، فهو زائفٌ، والجمع زيفٌ؛ وكذلك زيف، والجمع زُيوف، وزافت عليه دراهمه، أي: صارت مردودةً لغشٍ فيها، وقد زُيقت إذا رُدّت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ١٤٢ .

(٤) يُنظر: ابن أبي الدنيا، إصلاح المال: ج ١، ص ٤٣.

سياسة قطع العطاء والأرزاق، وحبس المِيرَة^(١)، بوصفها ورقةً رابحةً للضغط على المناوئين والمعارضين، أو المتقددين لنظام الحكم الأموي، ولا شك في أنّ قطع الأرزاق والمِيرَة يُعد تجاوزاً في العقوبة؛ لأنّه عقوبة جماعية تشمل جميع أبناء الولايات، سواء كانوا من التأثرين أو من الذين ركّنوا إلى الطاعة والخضوع^(٢).

وبسبب موقف أهل البصرة المناوي والرافض للحكم الأموي، فقد فرض معاوية حصاراً اقتصادياً عليهم، متمثلاً بحبس المِيرَة عنهم، وهذا يُعدّ أول حصارٍ فُرض على البصرة، وأحدث أثراً سلبياً وضررًا بالغاً بأهلها، حتى اضطربت الأمور إلى إرسال كتب الاستغاثة إلى معاوية لفك الحصار عنهم، ولكن دون جدوى، فبعث الأحنف بن قيس كتاباً إلى معاوية يحمل في طيّاته تهديداً بالتمرّد والثورة؛ إذ جاء في نصّ الكتاب: «يا أمير المؤمنين، خبزاً خبزاً، فإنّ الجائع أدنى همه نجران»^(٣)، وإنّ الشّبعان لا يُجاوز همه سفوان»^(٤)، فأمر معاوية بإطلاق المِيرَة^(٥). فمعاوية فهم قصد الأحنف، فإنه قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق، فالجوع قد يدفع إلى الثورة.

(١) المِيرَة: الطعام يمتاره الإنسان، وجَلْبُ الطعام. الزبيدي، تاج العروس: ج ٧، ص ٥٠٠.

(٢) يُنظر: الزبيدي، سامي جودة بعيد، تجاوزات السّلطة في فرض وتنفيذ العقوبات، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة- كلية الآداب / ٢٠١٢م): ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) نجران: في مخالف اليمن من ناحية مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٨، ص ٣٧٢.

(٤) سفوان: ماء على قدر مرحلة من باب المُربد في البصرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٤٩.

(٥) يُنظر: أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم، (تحقيق: مصطفى السقا، ط ٢، عالم الكتب- بيروت / ١٩٨٣م): ج ٣، ص ٧٤٠.

الفَصْلُ الخَامسُ

الْأَوَّلُ فِي الْجَانِبِ الْفِكْرِيِّ

الفَصْلُ الْخَامسُ

الأوائلُ في الجانبِ الفكريِّ

يُعدُّ الجانبُ الفكريُّ مِنْ أَكْثَرِ الجوانبِ التي بَرَزَتْ فِيهَا لِأَهْلِ البَصْرَةِ الرِّيَادَةُ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ الْإِسْهَاماتِ الْفَكْرِيَّةِ كَانَتِ الْأُولَى مِنْ نُوْعِهَا عَلَى نَطَاقِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، فَكَانَ أَوْلَئِكَ الْعُلَمَاءُ أَوَّلَائِلَ الْأَوَّلَائِلِ كَمَا سُنِّى.

- التَّعْلِيمُ فِي البَصْرَةِ

كَانَ لِأَهْلِ البَصْرَةِ الرِّيَادَةُ فِي مَجَالِ التَّعْلِيمِ، سَوَاءَ لِلرِّجَالِ أَمْ لِلنِّسَاءِ، وَفِيهَا بَرَزَتْ أَوَّلَ الْمُؤَسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي درَسَ فِيهَا أَوَّلَ الْمُعَلِّمِينَ، وَتَخَرَّجَ فِيهَا أَوَّلَ الْعُلَمَاءِ، كَمَا سَيِّطَمْ إِيْضَاحَهُ أَدَنَاهُ.

أَوَّلُ مُعَلِّمٍ فِي البَصْرَةِ

صَاحَبَ عَمَلِيَّةِ فَتْحِ البَصْرَةِ وَتَصْيِيرِهَا سَنَةَ (١٤/٦٣٥ م)، نَزَولَ عَدْدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِيهَا، وَاتِّخَاذُهَا مَوْطَنًا لَهُمْ^(١)، وَهُؤُلَاءِ بِالطبعِ شَكَّلُوا النَّوَّاةَ الْأُولَى لِحَرَكَةِ التَّعْلِيمِ دَاخِلَ الْبَصْرَةِ، وَإِنَّ الْبِدايَةَ الْفَعْلِيَّةَ لِنشَاطِ حَرَكَةِ التَّعْلِيمِ فِي البَصْرَةِ كَانَ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَلَايَةَ الْبَصْرَةَ سَنَةَ (١٧/٦٣٨ م)، وَكَلَّفَهُ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْمِبَادِرَةِ فِي تَعْلِيمِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ عَمَرَ قَالَ لِأَبِي مُوسَى:

(١) يُنْظَرُ: أَبْنُ سَعْدٍ، الطَّبَّقَاتُ: ج ٧ (وَهُوَ الْجَزءُ الْخَاصُّ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ).

«... فَأَبْعَثُكَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَتُعْلِمُهُمْ كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنْنَةَ نَبِيِّهِمْ...»، فَفَعَلَ ذَلِكَ^(١).
وَصَرَّحَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعُرِيُّ بِالْمَهْمَةِ الَّتِي أَسْنَدَتْ إِلَيْهِ فِي التَّعْلِيمِ، قَائِلاً:
«بُعْثُتُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَمِيرًاً وَمَعْلِمًا...»^(٢)، أَوْ قَوْلُهُ: «بَعَثْتُنِي إِلَيْكُمْ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ أَعْلَمُكُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ وَسُنْنَةَ نَبِيِّكُمْ»^(٣).

وَذَكَرَ أَنْسُ بْنُ مَالِكَ: أَنَّهُ حِينَمَا وَفَدَ عَلَى عُمَرَ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعُرِيِّ
بِقَوْلِهِ: «تَرَكْتُهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ»^(٤)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعُرِيَّ هُوَ أَوَّلُ مَعْلِمٍ
فِي الْبَصْرَةِ.

أَوَّلُ كَادِرٌ تَعْلِيمِيٌّ فِي الْبَصْرَةِ

قِيلَ: إِنَّ عُمَرَ حِينَمَا بَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعُرِيَّ إِلَى الْبَصْرَةِ، بَعَثَ مَعَهُ عَشْرَةً
مِنْ صَحَّابَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَتَوَلَّوْا مَهْمَةَ تَعْلِيمِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى جَانِبِ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعُرِيِّ^(٥).

(١) يُنْظَرُ: أَبُو عَسَاكِرُ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دَمْشَقٍ: ج٢، ٣٢، ص٦٧.

(٢) أَبُو عَسَاكِرُ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دَمْشَقٍ: ج٣٣، ص١٣٤.

(٣) أَبُو عَسَاكِرُ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دَمْشَقٍ: ج٣٢، ٦٩؛ وَبِلْفَاظِ مَشَابِهٍ رُوِيَّ: أَنَّ أَبَا مُوسَى
الْأَشْعُرِيَّ قَالَ: «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ لِأَعْلَمُكُمْ سَتَّكُمْ»، يُنْظَرُ: أَبُو شِيهَةَ، أَبُو
بَكْرِ الْكَوْفِيِّ (ت٢٣٥هـ)، كِتَابُ الْأَدْبِرِ، (تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ رَضَا الْقَهْوَجِيِّ، ط١، دَارُ الْبَشَّارَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ - بَيْرُوت / ١٩٩٩م): ج١، ص١٨٩؛ وَالْمَصْنَفُ: ج٦، ص١٦١.

(٤) الشِّيرازِيُّ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلَيٍّ (ت٤٧٦هـ)، طَبَقَاتُ الْفَقَهَاءِ، (تَحْقِيقُ: خَلِيلُ الْمَيْسِ، دَارُ
الْقَلْمَنْ - بَيْرُوت / د.ت.): ج١، ص٢٥.

(٥) أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينُورِيَّ، الْأَخْبَارُ الطَّوَالُ: ص١١٨؛ وَابْنُ الْأَثِيرَ، أَسْدُ الْغَابَةِ: ج٤، ص٤٠٠؛
وَالْمَزِّيُّ، تَهْذِيبُ الْكَمالِ: ج١٠، ص٣٣٢؛ وَابْنُ حَجْرِ الْعَسْقَلَانِيِّ، إِلَاصَابَةُ: ج٤، ص٢٠٧.

وجاء: أئمّهم سبعة وليس عشرة من الصحابة^(١)، وقيل: عددهم تسعه^(٢)، ومهمها يكُن العدد، فِإِنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ أَوَّلَ هِيَأَةٍ أَوْ كَادِرٍ تَعْلِيمِيًّا أَخْذَ عَلَى عَاتِقِهِ تَعْلِيمَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى جَانِبِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، نَذْكُرُ مِنْهُمْ:

١ - عبد الله بن مغفل، أبو سعيد المزني، وقيل: أبو عبد الرحمن (ت ٥٩٥، أو ٦٧٨ هـ أو ٦٧٩ م)^(٣)، كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر كي يعلّموا أهل البصرة^(٤).

٢ - عبد الله بن جعفر المزني، ورد: أَنَّهُ مِنَ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ عَمَرٌ لِيُفَقِّهُوْا أَهْلَ الْبَصْرَةِ^(٥)، وربما يكون هو نفسه عبد الله بن مغفل المذكور آنفاً.

٣ - أنس بن مالك بن النضر، انتقل إلى البصرة ليُفَقِّهَ النَّاسَ فِيهَا^(٦).

٤ - معمر بن حزم بن يزيد بن لوذان، الأنصاري، أحد العشرة الذين بعثهم عمر مع أبي موسى الأشعري إلى البصرة^(٧).

(١) يُنظر: الهيثمي، نور الدّين، عليّ بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد (دار الكتب العلمية- بيروت/ ١٩٨٨ م): ج ٥، ص ٢١٢.

(٢) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٧، ص ٤٤٦.

(٣) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٤، ص ٢٠٥؛ وتهذيب التهذيب: ج ٦، ص ٣٨.

(٤) يُنظر: ابن أبي عاصم، أبو بكر، محمد بن عمرو بن الصحّاح (ت ٢٨٧ هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق: جاسم فيصل أحمد الجوابرة، ط ١، دار الدّرية للطباعة-الرياض/ ١٩٩١ م): ج ٢، ص ٣٣٥؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٣٧، ص ٤٤٦؛ وابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٤، ص ٢٠٥، ٢٠٦؛ وتهذيب التهذيب: ج ٦، ص ٣٨.

(٥) يُنظر: الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ٥، ص ٢١٢.

(٦) يُنظر: الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال: ص ٢.

(٧) يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٤، ص ٤٠٠؛ وابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٦، ص ١٤٨.

٥- عمران بن حصين (ت ٦٧٢ هـ / ٥٥٢ م)، بعثه عمر إلى البصرة، وصيّره على تعليم الناس الفقه والقرآن^(١).

٦- أبو زيد، ثابت بن زيد بن قيس بن زيد، الأنصاريّ، البصريّ، كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر مع أبي موسى الأشعريّ إلى البصرة^(٢).

٧- البراء بن مالك بن النضر، منبني عدي بن النجار^(٣)، فقد ذُكر: أنّ عمر وجّه عشرة من الصحابة مع أبي موسى الأشعريّ، كان منهم: أنس بن مالك، والبراء بن مالك^(٤).

وجاء: أنّ ضمّنَ العشرة كلاً منْ: هشام بن عامر بن أمية من بنى النجار، وعون ابن وهب الخزاعيّ، وغيرهما^(٥).

تخریج أَوْلِ دَفْعَةٍ مِنْ قِرَاءِ الْقُرْآنِ فِي الْبَصْرَةِ

وعلى يد وفِدِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ بُعْثِنُوا إِلَى الْبَصْرَةِ، تَخْرِجَتْ أَوْلُ دَفْعَةٍ مِنْ قِرَاءِ الْقُرْآنِ وَحَفْظَتْهُ، وَبِهَذَا الشَّأْنِ ذُكِرَ: أَنَّهُ لَمْ يَمْضِ شَهْرَانِ حَتَّى خَتَمَ سَبْعَةً مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الْقُرْآنَ، كَانَ أَحَدُهُمْ أَبَا الْعَنْبَرِ غَنِيمَ بْنَ قَيْسِ، الْكَعْبِيُّ، التَّمِيمِيُّ، فَأَوْفَدُوهُمْ أَبْوَ مُوسَى إِلَى عَمْرٍ^(٦)، وَقِيلَ: إِنَّ عَمْرَ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى: أَنَّ اكْتُبْ إِلَيَّ بِمَنْ قَرَأَ

(١) يُنظر: ابن قتيبة الدِّينوريّ، المعرف: ص ٣٠٩؛ والذهبيّ، تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٢٩.

(٢) يُنظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج ٩، ص ٧٩؛ والمزيّ، تهذيب الكمال: ج ١٠، ص ٣٣٢.

(٣) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٦.

(٤) يُنظر: أبو حنيفة الدِّينوريّ، الأخبار الطوال: ص ١١٨.

(٥) يُنظر: د. عبد الجبار ناجي، من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة: ص ٥٨.

(٦) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٢٤.

القرآن ظاهراً^(١)، وحينما قدم السبعة الذين ختموا القرآن على عمر فرض لهم ألفين ألفين^(٢).

وقد وصف أحد التلامذة، وهو أبو رجاء العطاردي^(٣)، سير عملية التعليم بقوله: «كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد، مسجد البصرة يقعد حلقاً، فكأني أنظر إليه بين بُرَدَيْن أَبِيضَيْنْ يُقرئني القرآن، ومنه أخذت هذه السورة: ﴿إِقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤)، فكانت أول سورة أُنزلت على محمدٍ رسول الله ﷺ»^(٥).

فكان أبو رجاء العطاردي من تلقن القرآن على يد أبي موسى الأشعري^(٦).

تعليم النساء

لم يكن التعليم حكراً على الرجال فقط، بل تصدّت بعض النساء الصحابيات اللواتي نزلن البصرة وعشن بها مع أزواجهن، لتعليم النساء في البصرة^(٧)، ومن

(١) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٣٠.

(٢) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٢٤.

(٣) أبو رجاء العطاردي: اختلاف في اسمه، فقيل: هو عمران بن ملحان التميمي، وقيل: عمران بن عبد الله، أو عمران بن تيم، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، وكان معمراً، توفي سنة ١٠٧ أو ١٠٨ هـ، يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، المعرف: ص ٤٢٧؛ والذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٧، ص ٢٨٩؛ وسير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٢٥٤، ٢٥٧.

(٤) من سورة العلق، الآية (١).

(٥) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفباء، ط ٢، دار الكتاب العربي - بيروت / ١٤٠٥ هـ: ج ١، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٦) يُنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٧، ص ٢٨٧؛ وسير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٢٥٥.

(٧) يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٨، ص ٤٧٠، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٨٩.

أوائل تلك النسوة (معاذة العدوية)، فقد قيل إنها شوهدت وهي محتيبة النساء
حوّلها^(١).

- مراكز التعليم في البصرة تنوعت مراكز التعليم في البصرة، فكان أوّلها:

المسجدُ الجامِعُ

يُعد المسجد الجامع أوّل مؤسسةٍ تعليمية نشطت في ربوّعه حلقات الدرس
والتعليم، فكانت تقام فيه مختلف الأنشطة العلمية والثقافية، ودوره أشهر من أن
يخفي على المتّبع.

المدارس الرسمية (الحكومية)

برز دور المدارس في التعليم، فكانت أوّل مدرسةٍ أُنشئت في البصرة هي المدرسة
النظامية، التي أنشأها نظام الملك وزير السلطان السُّلْطَانُ السَّلْجُوقِيُّ (آل أرسلان)، كما
أسلفنا^(٢).

وقد اختصت المدرسة النظامية بتدرّيس: (القرآن، الحديث، علوم اللغة
والأدب)، فضلاً عن الفقه الشافعي، كما اقتصر التدرّيس فيها على يد علماء
يتّمدون إلى المذهب الشافعي فقط^(٣)، وقيل: إنّ الهدف من إنشاء النّظاميات منْ
أجل إعداد كوادر وظيفية لخدمة مؤسسات الدولة السُّلْطَانُ السَّلْجُوقِيَّةِ ممن يتّمدون إلى
المذهب الشافعي من قضاة، وكتّاب، وواعظ، وأئمة مساجد، ومدرّسين؛ لذا

(١) يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٨، ص ٤٨.

(٢) يُنظر الفصل الثالث (أول مدرسة رسمية).

(٣) يُنظر: حسين علي القيسي، طبيعة المجتمع العراقي: ص ١٥٢.

أصبح من شروط القبول للتدريس أو لتلقي العلم، وحتى العاملين فيها، أن يكونوا من أتباع المذهب الشافعى^(١).

أول معلم في المدرسة النظامية

من خلال متابعة المصادر التاريخية، لم نجد إشارة صريحة بشأن أول معلم درس في المدرسة النظامية بالبصرة، على الرغم من وجود العديد من الإشارات التي تخص تحديد أول من درس بالمدارس النظامية الآخر^(٢).

وكل ما عثر عليه بشأن مدرس نظامي البصرة هي رواية وحيدة تشير إلى أن محمد بن قنان، أبو الفضل الأنباري^(٣) (ت ١١٠٩ هـ / ٥٠٣ م)، كان يتولى التدريس بالمدرسة النظامية في البصرة^(٤). إلا إن من الصعب الجزم بأنه كان أول من درس في نظامية البصرة، لاسيما وأنه ولد سنة (١٠٥٣ هـ / ٤٤٥ م)، وعند إنشاء المدرسة كان لا يزال صغيراً، فلو افترضنا أن نظامية البصرة استكمل بناؤها وبُوشر العمل بها سنة (١٠٦٦ هـ / ٤٥٩ م)، أو ربما (١٠٦٧ هـ / ٤٦٠ م)، فإن سن أبي الفضل الأنباري -آنذاك- لم يكن يتجاوز خمسة عشر عاماً، وهو سن لا يؤهل

(١) يُنظر: حسين علي القيسي، طبيعة المجتمع العراقي: ص ١٥٠-١٥٢.

(٢) يُنظر: ابن خلkan، وفيات الأعيان: ج ٣، ص ٢١٧؛ والزركلي، الأعلام: ج ١، ص ٥١، ج ٤، ص ١٠، ١٦٠.

(٣) محمد بن قنان بن حامد بن الطيب، أبو الفضل الأنباري، الفقيه الشافعى، برع في المذهب والخلاف، وولي قضاء البصرة والتدريس بالنظامية، توفي سنة (٥٠٣ هـ)، يُنظر: الصفدي، الواقي: ج ٤، ص ٢٦٤؛ والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٦، ص ١٧٥.

(٤) يُنظر: الصفدي، الواقي: ج ٤، ص ٢٦٤؛ والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٦، ص ١٧٥.

لتسلّم وظيفة التّدريس في أهّم وأكّبر مدرسة في البصرة، هذا منْ جهةٍ، ومنْ جهةٍ أخرى، فإنّ المصادر ذكرتْ: أنّ أبا الفضل الأنباري تولّ قضاء البصرة والتّدريس بالنّظاميّة^(١)، وهاتان الوظيفتان المهمّتان لا يُمكّن إسنادهما إلى مَنْ هو في عمر خمس عشرة سنة، أو أقلّ من ذلك.

ويبقى احتمال أن يكون القاضي أبو العباس الجرجاني، البصريّ، الشافعيّ^(٢) (ت ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م)^(٣)، هو أَوْلَ مَدْرِسٍ في نظاميّة البصرة؛ إذ رُوي: أنّه كان قاضياً في البصرة ومدرّساً بها^(٤)، دون تحديد المكان الذي كان يُدرّسُ فيه، وبما أنّه كان على المذهب الشافعيّ، ومن الذين كانوا في خدمة السّلطة السّلجوقيّة، بوصفه قاضي البصرة، ووصف بأنّه «قاضي البصرة وشيخ الشافعية بها، ومنْ أعيان الأدباء في وقته»^(٥)، فلا يُستبعد أن يقع عليه الاختيار للتّدريس في نظاميّة البصرة، وما يجدر ذكره، أن العالّمة الدّكتور عبد الجبار ناجي يرى أنّ أبا العباس الجرجاني كان صاحب مدرسة عُنيت بالفقه الشافعيّ^(٦)، إلا إنّ المصادر لم تصرّح بأنّه كان قد أسّس مدرسةً خاصّةً في البصرة، أو في مكانٍ آخر، سوى الإشارة

(١) يُنظر: السّبكيّ، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٦، ص ١٧٥.

(٢) أبو العباس الجرجاني: أحمد بن محمد، كان قاضي البصرة، وشيخ الشافعية بها، ومنْ أعيان الأدباء في وقته، حدّث وتفقه، وصنف في الفقه، مات راجعاً من أصحابهان إلى البصرة سنة (٤٨٢ هـ)، يُنظر: الأسنوي، طبقات الشافعية: ج ١، ص ١٧١.

(٣) السّبكيّ، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٤، ص ١٧٤؛ والأسنوي، طبقات الشافعية: ج ١، ص ١٧١.

(٤) السّبكيّ، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٤، ص ١٧٥.

(٥) الأسنوي، طبقات الشافعية: ج ١، ص ١٧١.

(٦) يُنظر: من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة: ص ٢٩.

المذكورة آنفًا من أنه كان «قاضياً بالبصرة ومدرساً بها»^(١)، وهذا يدفعنا إلى ترجيح ما تم التوصل إليه من أنه كان مدرساً في نظمية البصرة الشافعية المذهب؛ لكونه قد عاصر زمن تأسيس المدرسة، وكان من شيوخ المذهب الشافعي في البصرة، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنَّ أبا العباس الجرجاني، أحمد بن محمد القاضي، البصريّ، هو أول من درَّس في المدرسة النَّظامية في البصرة، وهي أول مدرسة رسمية أُنشئت في مدينة البصرة.

ووردت الإشارة إلى أنَّ البصرة خلال مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، تحتوي على ثلاث مدارس (الحنفية، والشافعية، والمالكية)^(٢)، دون تحديد هل هي مدارس رسمية حكومية، أو مدارس أهلية، ودون الإشارة إلى الجهة أو الشخص الذي تولَّ بناءها، وأغلب الظنَّ أنها مدارس رسمية، وربما كانت المدرسة الشافعية هي نفسها المدرسة النَّظامية، وما يدلُّ على أنهنَّ مدارس رسمية ما ذُكرَ من أنَّ أمير البصرة أبا المظفر باتكين^(٣)، كان قد بني مدرسة للحنابلة

(١) السِّبكيُّ، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٤، ص ١٧٥ .

(٢) يُنظر: الأشرف الغساني، إسماعيل بن العباس (ت ٨٠٧ هـ)، العسجد المسوب والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، (تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي - بيروت / ١٩٧٥ م) : ج ٢، ص ٥١٣ - ٥١٤؛ و مجهول، مؤلَّف، كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المنسوب لابن الفوطي، (تحقيق: بشار عواد معروف، ود. عبد السلام رؤوف، مطبعة شريعت - قم / ١٤٢٦ هـ) : ص ٢٠٩؛ وينظر، العزاوي، رنا سليم شاكر، الحياة الفكرية في العراق خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة - كلية الآداب / ٢٠١٣ م) : ص ٦٣ .

(٣) أبو المظفر، باتكين بن عبد الله، الرومي، الناصري، كان ملوكاً لعاشرة بنت المستجد بالله المعروفة بـ (الفirozجية)، كان أميراً على البصرة، حَرَبَها وخراجها لمدة (٢٣) سنة، توفي سنة

في البصرة^(١)، وهذا بالطبع لوجود مدارس رسمية للمذاهب الأخرى المذكورة. وبذلك يمكن القول: إنّ أَوَّل مدرسة رسمية للحنابلة في البصرة، هي تلك التي بناها أبو المظفر باتكين.

المدارسُ الْخَاصَّةُ بِالْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ

أمّا بالنسبة إلى المدارسُ الْخَاصَّةُ في البصرة، فإنّ أَوَّل إشارة وردت تتعلق بالمدرسة التي أنشأها القاضي أبو الفرج، محمد بن عبيد الله بن الحسن البصريّ، الشافعيّ (ت ٤٩٩ هـ / ١٠٥٧ م)؛ إذ قيل: إنّه بنى في البصرة مدرسة^(٢). وأَوَّل إشارة عن مدرسة أهلية للحنابلة في البصرة تلك التي تعود إلى أبي عليّ، أحمد بن أحمد بن أبي الحسن بن دوييرة^(٣) (ت ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م)، فقد ذُكر: إنّه كان شيخ الحنابلة ورئيسهم ومدرسهم، أخذ عنه كبار العلماء بمدرسته في البصرة^(٤).

- أَوَّلُ الْمَكَتبَاتِ فِي الْبَصْرَةِ

أَوَّل خزانة كتب عامّة (مكتبة عامّة) هي خزانة دار سوار، التي وصفت بأنّها: «أكبر وأعمّر وأكثر كتاباً»، مِنْ خزانة دار سوار الآخر في رام هرمز^(٥)، وكان

(١) يُنظر: مؤلف مجهول، الحوادث الجامعة: ص ٢٠٩.

(٢) يُنظر: مؤلف مجهول، الحوادث الجامعة: ص ٢٠٩.

(٣) يُنظر: الأسنوي، طبقات الشافعية: ج ١، ص ١٢٢.

(٤) أبو عليّ، أحمد بن أحمد بن أبي الحسن بن دوييرة، البصريّ، المقرئ، الزاهد، اشتغل عليه الكثير، وختم عليه القرآن أكثر من ألف إنسان، وكان صالحًا زاهدًا ورعاً. ابن العماد الحنبليّ، شذرات الذهب: ج ٥، ص ٢٥٩.

(٥) يُنظر: ابن العماد الحنبليّ، شذرات الذهب: ج ٥، ص ٢٥٩.

(٦) رام هرمز: معنى رام بالفارسية: المراد والمقصود، وهرمز: أحد الأكاسرة، فاللفظة مركبة،

يَعْمَلُ فِيهَا أَجْرَاءً لِتَقْدِيمِ الْخَدْمَاتِ لِرَوَادِ الْمَكْتَبَةِ مِنْ لِزْمِ الْقِرَاءَةِ وَالنَّسْخِ^(١). أَمَّا عَنْ أَوَّلِ دَارِ كِتَبٍ وُفِقْتُ فِي الْإِسْلَامِ، فَهِيَ تِلْكَ الَّتِي وُفِقْتُ فِي الْبَصَرَةِ قَبْلَ أَيَّامِ عَضْدِ الدَّولَةِ الْبُويَهِيِّ، فَقَالَ عَضْدُ الدَّولَةِ عَنْهَا: «هَذِهِ مَكْرَمَةٌ سُبِقَنَا إِلَيْهَا»، وَقَدْ تَعَرَّضَتْ دَارُ الْكِتَبِ خَلَالِ هِجَاجَاتِ الْأَعْرَابِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، الْقَادِمِينَ مِنْ بَلَادِ الْأَحْسَاءِ سَنَةَ (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) لِلْخَرَابِ وَالتَّدْمِيرِ، فَكَانُوا قَدْ مُلْكُوكُوا الْبَصَرَةَ وَنَهَبُوا مَا فِيهَا، وَأَحْرَقُوا مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، وَفِي جَمِيلَةٍ مَا حَرَقُوا دَارَ الْكِتَبِ هَذِهِ^(٢).

وَفِيمَا يَتَعْلَقُ بِالْمَكْتَبَاتِ الْخَاصَّةِ، فَقَدْ وَرَدَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْعَدِيدِ مِنِ الْمَكْتَبَاتِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى عَدِيدٍ مِنْ كَبَارِ عُلَمَاءِ الْبَصَرَةِ، حَتَّى صَارَ مِنَ الصَّعُوبَةِ تَحْدِيدُ أَوَّلِ مَكْتَبَةِ خَاصَّةٍ فِيهَا، وَلَعِلَّ أَوَّلَ إِشَارَةٍ عَنِ الْمَكْتَبَاتِ الْخَاصَّةِ لِرِجَالِ الدَّولَةِ الْحَاكِمَةِ فِي الْبَصَرَةِ مِنْ كَانَ لَهُمْ اهْتِمَامٌ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَرِعَايَةُهُمْ لَهَا، جَاءَتْ بِشَأنِ مَكْتَبَةِ وَالِي الْبَصَرَةِ إِسْحَاقِ بْنِ سَلِيْمانِ^(٣)؛ إِذْ كَانَتْ لِدِيهِ مَكْتَبَةٌ ضَخِيمَةٌ، فَقَيْلٌ: إِنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ

وَتَعْنِي: مَقْصُودُ هُرْمَزٍ، أَوْ مَرَادُ هُرْمَزٍ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِنَوَاحِي خُوزَسْتَانِ، يَاقُوتُ الْحَموِيُّ، مَعْجمُ الْبَلَدَانِ: ج٤، ص٣٨٢.

(١) يُنْظَرُ: ابْنُ حَوْقَلَ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَقْدِسِيُّ (ت ٣٦٧هـ)، أَحْسَنُ التَّقَاسِيمِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَقَالِيمِ، (تَحْقِيقُ): غَازِي طَلِيَّاتٍ، وزَارَةُ الشَّفَافَةِ وَالْإِرْشَادِ الْقَومِيِّ - دَمْشَقٌ / ١٩٨٠م): ج١، ص٢٧٦.

(٢) يُنْظَرُ: ابْنُ الْأَثِيرِ، الْكَاملُ: ج٨، ص٤٦٤.

(٣) إِسْحَاقُ بْنُ سَلِيْمانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ، أَبُو يَعْقُوبَ، الْهَاشِمِيُّ، وَلِيُّ الْهَارُونَ الْمَدِينَةِ وَالْبَصَرَةِ وَمَصْرَ وَالسَّنَدِ، وَوَلِيُّ لِحَمْدِ الْأَمِينِ حَمْصَ وَأَرْمِينِيَّةِ، مَاتَ فِي بَغْدَادِ سَنَةِ (١٧٨هـ)، يُنْظَرُ: الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ، تَارِيخُ بَغْدَادٍ: ج٦، ص٣٢٧؛ وَالزَّرِكَلِيُّ، الْأَعْلَامُ:

ج١، ص٢٩٥.

في بيت كتبه-أي: مكتبه-و حوله الأساط (١) والرّقوق (٢) والقماط (٣)، والدّفاتر، والمساطر، والمحابر (٤).

- الأَوَّلُ فِي الْعِلُومِ الدِّينِيَّةِ

كان لأهل البصرة وعلمائها سابقة ملحوظة في تطوير العلوم الدينية، وعلى النحو الآتي:

علوم القرآن والقراءات

لعلّ أول إسهام في القرآن الكريم هو العمل على تنقيط المصحف الكريم، فكان أبو الأسود الدّؤليّ أول من نَقَطَ المصحف، كما سيتّم إيضاحه (٥)، وفي نقط القرآن الكريم وشكّلَه أَلْفَ الخليل بن أحمد الفراهيدي (٦) كتاباً في النقط (٧). وفي مجال غريب القرآن، كان لأهل البصرة قدّم سابقة على البلاد الإسلامية

(١) السَّفَطُ، مُحرَّكَةُ الَّذِي يُعَبَّأُ فِيهِ الطَّيْبُ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَدَوَاتِ النِّسَاءِ. وَفِي الْمُحْكَمِ: كَالْجُوَالِقِ، وَفِي غَيْرِهِ: أَوْ كَالْقُفَّةِ. الرَّبِيدِيُّ، تاج العروس: ج ١٠، ص ٢٨١.

(٢) الرَّقُّ بِالْفَتْحِ وَيُكْسِرُ، هُوَ جُلْدُ رَقِيقٍ يُكْتُبُ فِيهِ. الرَّبِيدِيُّ، تاج العروس: ج ١٧، ص ١٧٠.

(٣) الْقِمَطُرُ: مَا يُصَانُ فِيهِ الْكُتُبُ، وَالْجَمْعُ: قِمَاطِرُ. الرَّبِيدِيُّ، تاج العروس: ج ٧، ص ٤١٦.

(٤) يُنَظَّرُ: الْجَاحِظُ، الحَيْوَانُ: ج ١، ص ٦١.

(٥) يُنَظَّرُ (تنقيط المصاحف).

(٦) الخليل بن أحمد بن عمر بن تيم، أبو عبد الرحمن، الفراهيديُّ، نسبة إلى فراهيد بن مالك ابن فهم بن عبد الله بن مالك بن مضر، الأزديُّ، البصريُّ، سيد الأدباء في علمه وزهرده، كان شيخ أهل الرأي في عصره، توفي سنة (١٦٠هـ)، وقيل: (١٧٠هـ). ياقوت الحمويُّ، معجم الأدباء: ج ٣، ص ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢. ٣٠٣.

(٧) يُنَظَّرُ: ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٨٥هـ)، الفهرست، (تحقيق: رضا تجدد، قم/د.ت): ص ٣٨.

كافّة؛ إذ رُويَ: أنَّ أباً فيد مؤرِّج بن عمر، النَّحويُّ، السَّدوسِيُّ، البصريُّ^(١) (ت ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م)، أولَ مَنْ صنَّفَ في غريبِ القرآن^(٢).

وقيل: إنَّ أبا عبيدة مَعمر بن المثنى، البصريُّ (ت ٢٠٩ أو ٥٢١٠ هـ / ٨٢٤ م)، هو أولَ مَنْ صنَّفَ في غريبِ القرآن^(٣)، فقدْ صنَّفَ أبو عبيدة كتاب المجاز، وأخذ ذلك من ابن عباس حين سأله نافع بن الأزرق^(٤)، عن أشياءٍ من غريبِ القرآن، ففسَّرَها، واستشهد عليها بأبياتٍ مِنْ شعر العرب، وهو أولَ مَنْ روَى في ذلك^(٥). والاثنان - مؤرِّج وأبو عبيدة - مِنْ علماء البصرة.

وفي علم القراءات، ذُكِرَ: أنَّ أولَ مَنْ سَمِعَ في البصرة وجوه القراءات وألفها، وتتبَّع الشَّاذَّ منها، فبحث عن أسنادها، أبو عبد الله، هارون بن موسى الأعور^(٦)

(١) أبو فيد، مؤرِّج بن عمرو، السَّدوسِيُّ، صاحب العربية، قدم مِن البابية إلى البصرة، وتعلم القياس في العربية في حلقة أبي زيد الأنصارِيِّ، قدم ببغداد مع المأمون، يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٣، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) ابن النَّديم، الفهرست: ص ٥٣؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٣، ص ٢٥٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٩، ص ٣١٠.

(٣) ابن النَّديم، الفهرست: ص ٣٧؛ والقلقشني، صبح الأعشى: ج ١، ص ٤٧٨؛ والطَّريحِيُّ، مجمع البحرين: ص ٦ (مقدمة المحقق)، والبسنويُّ، محاضرة الأوائل: ص ١٠٠.

(٤) نافع بن الأزرق بن قيس، الحنفيُّ، البكريُّ، الوائليُّ، الحروريُّ، أبو راشد، رأس الخوارج الأزارقة، وإليهِ نسبتهم، من أهل البصرة، قاتل مع ابن الزبير، ثمَّ اختلف معه، فخرج من البصرة، قاتله المهلب بن أبي صفرة، وُقُتلَ في يوم دولاب على مقربة من الأحواز. الزركليُّ، الأعلام: ج ٧، ص ٣٥١-٣٥٢.

(٥) يُنظر: أبو هلال العسكريُّ، الأوائل: ص ١١٩؛ والبسنويُّ، محاضرة الأوائل: ص ١٠٠.

(٦) أبو عبد الله، هارون بن موسى الأعور، العنكبيُّ، البصريُّ، الأزديُّ، القارئ، النَّحويُّ، الشَّقة، ثقة مأمون. يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٤، ص ٦٠٤؛ والصفديُّ، الواقي

(ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، القارئ البصري^(١).

أمّا عن أَوَّلِ مَنْ قَرَا الْقُرْآنَ بِالْأَلْحَانِ، فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، الشَّفَّافُ^(٢)، وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ حَزَنًاً، لَيْسَتْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ الْأَلْحَانِ الْغَنَاءُ وَلَا الْحَدَاءُ، فَوَرَثَ ذَلِكَ عَنْهُ ابْنُ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: (قِرَاءَةُ ابْنِ عُمَرَ)^(٣). وَوَصَّفَ وَاعْظَمُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ صَالِحُ الْمَرْيَ^(٤) الْقَارِئَ بِأَنَّهُ كَثِيرُ الذِّكْرِ وَالْقِرَاءَةِ بِالْتَّحْزِينِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَرَا فِي الْبَصْرَةِ بِالْتَّحْزِينِ^(٥). وَفِي مَجَالِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ذُكِرَ: أَنَّ لَابْنِ عَبَّاسٍ كِتَابًاً رَوَاهُ مُجَاهِدٌ^(٦)،

بِالْوَفَيَاتِ: ج ٢٧، ص ١٢٣.

(١) يُنْظَرُ: السَّيُوطِيُّ، جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (ت ١١١ هـ)، بُغْيَةُ الْوَعَاءِ، (تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ أَبْوَ الفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ، الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ، لِبَنَانُ - صَيْدا / د.ت): ج ٢، ص ٣٢١؛ وَالْبَسْنُوِيُّ، مَحَاضِرَةُ الْأَوَّلَى: ص ١٠٠.

(٢) يُنْظَرُ: ابْنُ الجُوزِيِّ، الْمُتَظَّمُ: ج ٦، ص ٢٢٠؛ وَابْنُ تَغْرِيْ بَرْدِيِّ، النَّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ج ١، ص ٢٠٢.

(٣) يُنْظَرُ: ابْنُ قَتِيْبَةَ الدِّيْنُورِيِّ، الْمَعَارِفُ: ص ٥٣٣.

(٤) صَالِحُ الْمَرْيَ: أَبُو بَشِيرٍ، صَالِحُ بْنُ بَشِيرٍ، الْقَاصِ، الرَّاهِدُ، وَاعْظَمُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، تَوَفَّى سَنَةُ (١٧٢ هـ)، وَيُقَالُ: (١٧٦ هـ)، يُنْظَرُ: الْذَّهَبِيُّ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٨، ص ٤٦ - ٤٧؛ تَارِيخُ الْإِسْلَامِ: ج ١١، ص ١٨٤ - ١٨٦.

(٥) يُنْظَرُ: الْذَّهَبِيُّ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٨، ص ٤٦ - ٤٧؛ وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ: ج ١١، ص ١٨٤ - ١٨٦.

(٦) مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ، وَيُكَنُّ بِأَبِي الْحَجَّاجِ، مُولَى قَيْسِ بْنِ السَّائِبِ، الْمَخْزُومِيُّ، كَانَ فَقِيهَهَا عَالِمًا ثَقِيقًا، كَثِيرُ الْحَدِيثِ، تَوَفَّى فِي مَكَّةَ سَنَةَ (١٠٣، أَوْ ١٠٤ هـ) عَنْ عُمُرٍ نَاهِزَ (٨٣) سَنَةً، يُنْظَرُ: ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَّاقَاتُ الْكَبِيرَى: ج ٥، ص ٤٦٧.

وهو في تفسير القرآن^(١)، فهو أول من صنف في تفسير القرآن، وكان إسماعيل بن إسحاق القاضي^(٢) (٢٨٢ هـ / ١٩٥ م) أول من صنف في أحكام القرآن^(٣)، ويُعدّ الحسن البصريّ أول من صنف كتاب العدد في عدد آيات القرآن الكريم^(٤).

علم الحديث والسنّة النبوية

تصدرَ عدُّ من علماء البصرة التأليف في غريب الحديث، فكان أبو عبيدة، عمر بن المثنى، أولَ من ألف فيه^(٥)، وكان لمدينة البصرة السابقة في التصنيف بالسنّن، فعلى الرُّغم من الاختلاف في تحديد اسم أولَ من صنف في السنّن، إلّا إنَّ الاتفاق يؤكد أنَّ ذلك تمَّ في البصرة، ومن قبل أحد علمائها.

(١) يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٣٦.

(٢) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد، تولى قضاء عسكر المهدى العباسى سنة (٢٤٦ هـ)، وكان من أهل العلم والحديث والفقه، عُزل عن القضاء سنة (٢٥٥ هـ)، ثم ولي مرة أخرى سنة (٢٥٦ هـ) على الجانب الغربى لغاية (٢٨٢ هـ)، ثم جمعت بغداد له حتى وفاته (٢٨٢ هـ)، يُنظر: وكيع، أخبار القضاة: ج ٣، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٣) يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٤٠.

(٤) يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٤٠؛ د. عبد الجبار ناجي، من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة: ص ٦٤.

(٥) يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٢، ص ٤٠٣؛ وياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٥، ص ٥٠٩؛ والمزي، تهذيب الكمال: ج ٢٣، ص ٢٦٤؛ والسيوطى، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)، المزهر في علم اللغة وأنواعها، (تحقيق: فؤاد علي منصور، ط ١، دار الكتب العلمية- بيروت / ١٩٩٨ م): ج ٢، ص ٤٣٥.

فقد ذُكر: أنَّ ابن جريج^(١)، وابن أبي عروبة^(٢)، هما أَوَّلُ مَنْ صنَّفَ في السُّنْنِ، وبهذا الشَّأن روى عبد الله بن أحمد بن حنبل^(٣)، قائلاً: «قلتُ لأبي: مَنْ أَوَّلُ مَنْ صنَّفَ الْكِتَبِ؟ قال: ابن جريج وابن أبي عروبة»^(٤)، وورد: أنَّ ابن جريج أَوَّلُ مَنْ صنَّفَ في الحجاز، وابن أبي عروبة أَوَّلُ مَنْ صنَّفَ في العراق^(٥)، أي: إنَّ ابن جريج صنَّفَ في مَكَّةَ، وابن أبي عروبة صنَّفَ في البصرة^(٦).

وهناك مَنْ يرى أنَّ أَوَّلُ مَنْ صنَّفَ في هذا الْبَابِ أَحَدُ ثَلَاثَةَ، فَإِمَّا الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ، الْبَصْرِيُّ^(٧)، أو ابن أبي عروبة، أو ابن جريج^(٨). وجاء: أنَّ أَوَّلُ مَنْ صنَّفَ

(١) ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الْمَكِّيُّ، مولى لعييد بن خالد، يُكَنِّي أبا الوليد وأبا خالد، قدم بغداد على أبي جعفر المنصور، صدوقاً مَكِيًّا، توفي سنة ١٤٩ أو ١٥٠ هـ، يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٦.

(٢) ابن أبي عروبة: سعد بن أبي عروبة، أبو النَّضر بن مهران، العدوبي، مولاهم البصري، الإمام الحافظ، عالم أهل البصرة، توفي سنة ١٥٦ هـ، يُنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٩، ص ٤١٧-٤٠٤؛ وسير أعلام النَّبَلَاءِ: ج ٦، ص ٤١٣، ٤٠٤.

(٣) عبد الله بن أحمد بن حنبل، أبو عبد الرحمن، روى عن أبيه، ولد سنة ٢١٣ هـ، وتوفي سنة ٢٩٠ هـ، يُنظر: أبو يعلى، محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢١ هـ): طبقات الخنابلة، (دار المعرفة- بيروت/ د.ت): ج ١، ص ٨٨، ٨٠.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٥) يُنظر: الذهبي، العبر: ج ١، ص ٢١٣.

(٦) يُنظر: السيوطي، تاريخ: ص ٢٦١.

(٧) الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ، الْبَصْرِيُّ، العَابِدُ، الْإِمَامُ، مولىبني سعد، من أعيان مشايخ البصرة، كان من عباد أهل البصرة وزهادهم، توفي بالسُّنَدِ سنة ١٦٠ هـ. الذهبي، سير أعلام النَّبَلَاءِ: ج ٧، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٨) يُنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ج ١، ص ٣٤.

الرّبيع بن صبيح، البصريّ، ثُمَّ ابن أبي عروبة^(١).

وعلى الرُّغم من ذلك الاختلاف، فإنَّ الاِتِّفاق يدور حول سعيد بن أبي عروبة شيخ البصرة وعالماها بأنَّه أول منْ دون العلم في البصرة^(٢)، فابن أبي عروبة أول محدثٍ بصريٍّ بَوَّبَ الحديث، وقسَّمَ الأحاديث وفقاً لأبواب أصول الفقه، في الصلاة والصوم والحجّ والزكاة والطهارة، وهي الأبواب التي رَكَّزَتْ عليها كتب الفقه والسنن، وهو أول منْ صنَّفَ في الحديث على وفق المنهج المتبع^(٣)، وقيل: إنَّ مسَدَّداً^(٤) في البصرة أول منْ أفرد الأحاديث المسندة، دون الموقفات والمقاطع، على رأس المائتين^(٥).

علم الفقه

برز في البصرة العديد منْ كبار علماء الفقه الإسلاميّ، وظهر فيهم منْ كان له سبق القدم والرّيادة في استحداث بعض الجوانب الفقهية، فكان مسلم بن يسار،

(١) يُنظر: الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ج ٧، ص ٢٨٧-٢٨٨؛ والصفديّ، الواقي: ج ١٤، ص ٥٦.

(٢) يُنظر: الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ج ٦، ص ٤١٣؛ وتاريخ الإسلام: ج ٩، ص ٤٠٥؛ والبر: ج ١، ص ٢٢٥؛ واليافيّ، مرآة الجنان: ج ١، ص ٣٣٢؛ وابن العماد الحنبليّ، شذرات الذهب: ج ١، ص ٢٣٩.

(٣) يُنظر: د. عبد الجبار ناجي، من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة: ص ٧٣.

(٤) مسَدَّد بن مسرهد بن مسريل بن شريك، الأُسديّ، ويُكتَّب بأبي الحسن، توفي في البصرة سنة (٤٢٨هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٣٠٧؛ وقيل: إنَّ اسمه: عبد الملك بن عبد العزيز، ومسَدَّد لقبه، وهو أول منْ صنَّفَ المسند بالبصرة، يُنظر: ابن حجر العسقلانيّ، الإصابة: ج ٢، ص ١٧٥.

(٥) يُنظر: البستونيّ، محاضرات الأوائل: ص ١٠٢.

أبو عبد الله، البصري^(١)، الفقيه (ت ١٠٠ أو ٧١٨ هـ أو ٧١٩ م)، مفتى أهل البصرة، وأغلب الظنّ أنه أَوَّلُ مفتٍ في البصرة لما قيل: من آنَّه مفتى أهل البصرة قبل الحسن البصريّ، وعنه أخذ كبار فقهاء البصرة الفقه^(٢).

وأَوَّلُ مَنْ قدم البصرة برأي أبي حنيفة (زُفر بن المذيل، العنبريّ، الحنفيّ) (ت ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م)^(٣)، وجاء: أَنَّ سبب دخوله البصرة لَمْ يَكُنْ بقصد نشر الفقه الحنفيّ، وإنَّما دخلها—وكان أبوه مِنْ أَهْل أصبهان—في ميراث أخيه^(٤). وعنده دخوله البصرة كان قاضي البصرة—آنذاك—: سوار بن عبد الله، العنبريّ، فاستأذن زُفر لحضور مجلس القضاء، فمنعه سوار، فقيل لسوار: «إِنَّ زُفر رجُلٌ مِنْ أَهْل الْعِلْمِ، وَمِنَ الْعَشِيرَةِ»، فقال سوار: «أَمَّا مِنَ الْعَشِيرَةِ، فَنَعَمْ، وَأَمَّا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلَا، فَإِنَّهُ أَتَانَا بِيَدِعَةٍ، بِرَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ» ثُمَّ أَذِنَ له سوار بالحضور على أَنْ لا يتكلّم في العلم^(٥).

ويظهر أَنَّ مذهب أبي حنيفة كان مرفوضاً في البصرة، وهو مذهب أهل الرأي، وأنَّ أهل البصرة كانوا لا يزالون على مذهب أهل المدينة، وهو مذهب

(١) مسلم بن يسار، أبو عبد الله، البصريّ، الفقيه، مولىبني أمية، ويقال: مولى طلحة بن عبد الله، كان أحد القراء الذين خرجوا على الحجاج، توفي في حكم عمر بن عبد العزيز، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨، ص ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨.

(٢) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨، ص ١٣١؛ وابن حجر العسقلانيّ، تهذيب التهذيب: ج ١٠، ص ١٢٨.

(٣) ابن حجر العسقلانيّ، لسان الميزان: ج ٢، ص ٤٧٧.

(٤) ابن أبي الوفا، عبد القادر بن أبي الوفا، القرشيّ (ت ٧٧٥ هـ)، الجواهر المصيّة في طبقات الحنفيّة، (دار النشر: مير محمد كتب خانة—كراتشي/د.ت): ج ١، ص ٢٤٣.

(٥) يُنظر: ابن عدي، الكامل: ج ٣، ص ٤٥٢؛ وابن حجر العسقلانيّ، لسان الميزان: ج ٢، ص ٤٧٧.

أهل الحديث^(١). وقد تمكّن رُفرِّنْ نشر مذهب أبي حنيفة في البصرة؛ إذ ذُكرَ: أنه كان يأتي حلقة عثمان البَّيِّن^(٢)، فيناظرهم، ويُتّبع أصوّلهم، ويسألهم في فروعهم، فإذا رأى شيئاً خرجوا فيه عن الأصل تكلّم فيه مع عثمان، حتّى تبيّن خروجه من الأصل، ثم يقول: «في هذا جواب أحسن من هذا»، فإذا استحسنوا قوله قال لهم: «هذا قول أبي حنيفة»، فلم يلبث أنْ تحولتُ الحلقة إليه، وبقي عثمان البَّيِّن وحده^(٣)، أي: إنه تمكّن من إدخال مذهب أبي حنيفة ونشره بين أهل البصرة بالتدريج، وبذلك صار مذهب أبي حنيفة قبُولٌ في البصرة، وأصبح لزفير مكانة عندهم، حتّى قيل: إنّهم تشبيّوا به ومنعوه الخروج منها، وظلّ في البصرة حتّى توفّي فيها^(٤).

وهناك من زعم أنّ أول من جَلَب رأي أبي حنيفة إلى البصرة هو يوسف بن خالد السّمعتي، أبو خالد البصري^(٥)، في القرن الثاني الهجري^(٦)، إلا إنّ الرأي

(١) يُنظر: آل محسن، الشّيخ على، مسائل خلافية حار فيها أهل السنّة، (ط١، دار الميزان للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٩٩٩م): ص١١٩؛ والشّاكري، الحاج حسين، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، (ط١، المطبعة: ستارة- قم ١٤١٨هـ): ص١٨١.

(٢) عثمان البَّيِّن: عثمان بن سليمان بن جرموز، كان صاحب رأي وفقه من أهل الكوفة، وانتقل إلى البصرة، فنذر لها، وكان مولىبني زهرة، يُكتَنِي بأبي عمرو، وكان يبيع البُّوت، فقيل له: البَّيِّن، يُنظر: ابن سعد، الطّبقات: ج٧، ص٢٥٧.

(٣) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ج٢، ص٤٧٧.

(٤) يُنظر: ابن أبي الوفا، الجواهر المضيّة: ج١، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٥) يوسف بن خالد بن عمير، السّمعتي، أبو خالد، مولى سهل بن صخر، الليثي، منبني كنانة، ولد سنة (١٢٠هـ) في ولاية يوسف بن عمر، وسُمِّيَ باسمه، وقيل له: السّمعتي للحيث وهيأته وسمته، توفّي بالبصرة سنة (١٨٩هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطّبقات: ج٧، ص٢٩٣.

(٦) يُنظر: النّسوى، المعرفة والتاريخ: ج٣، ص١٣٥؛ وابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب:

الرَّاجح أَنَّ زُفَرَ بْنَ الْهَذِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ الْمَذَهَبَ الْحَنْفِيَّ إِلَى الْبَصْرَةِ؛ لِكُونِهِ أَقْدَمَ مِنَ السَّمْتِيِّ، وَلِشِيُوعِ أَمْرِهِ فِي نَقْلِ رَأْيِ أَبِي حِينَفَةَ فِي الْبَصْرَةِ - كَمَا أَسْلَفْنَا - . وَأَبُو خَالِدِ السَّمْتِيِّ، الْبَصْرِيُّ، كَانَ لَهُ بَصَرٌ بِالرَّأْيِ وَالْفَتْوَى وَالشَّرْوَطِ^(١)، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ كِتَابَ الشَّرْوَطِ^(٢) .

أَوَّلُ الزُّهَادِ وَالصُّوفِيَّةِ

سَبَقَتِ الْبَصْرَةُ غَيْرَهَا مِنَ الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَضَارِ الرُّزُّهُدِ وَالْتَّصُّوفِ، وَرَوِيَ أَبُو نَعِيمُ الْأَصْبَهَانِيُّ: «أَهُلُّ الْبَصْرَةِ بِالنِّسْكِ وَالْعِبَادَةِ أَشْهَرُ وَأَقْدَمُ مِنَ الْكُوفَيْنِ»^(٣) ، وَالْبَصْرَةُ هِيَ أَقْدَمُ مَدِينَةٍ مُصْرَّتٍ خَارِجَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ سَنَةَ (٤١ / هـ ٦٣٥) ، فَالْبَصْرَةُ إِذَا تَقْدَمَ عَلَى الْكُوفَةِ؛ لِأَنَّهَا بُيِّنَتْ قَبْلَهَا^(٤) . وَمِنْ أَقْدَمِ الزُّهَادِ وَالنُّسَاكِ فِي الْبَصْرَةِ، هُوَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ^(٥) ، الَّذِي قِيلَ: إِنَّهُ

ج ١١، ص ٣٦٢ .

(١) عِلْمُ الشَّرْوَطِ: هُوَ عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنْ كِيفِيَّةِ ثِبَاتِ الْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ عَنِ الْقَاضِيِّ فِي الْكِتَابِ وَالسِّجَالَاتِ، عَلَى وَجْهِهِ يَصْحُّ الْاحْتِجاجُ بِهِ عِنْدِ انْقَضَاءِ شَهُودِ الْحَالِ، وَمَوْضِعُهُ تِلْكَ الْأَحْكَامِ مِنْ حِيثِ الْكِتَابَةِ، وَبَعْضُ مَبَادِئِهِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْفَقَهِ، وَبَعْضُهَا مِنْ عِلْمِ الْإِنْشَاءِ، وَبَعْضُهَا مِنَ الرِّسُومِ وَالْعَادَاتِ وَالْأُمُورِ الْاسْتِحْسَانِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ فَرْوَعِ الْفَقَهِ مِنْ حِيثِ كُونِ تَرْتِيبِ مَعَانِيهِ مَوْافِقاً لِقَوْانِينِ الشَّرْعِ، وَقَدْ يُجْعَلُ مِنْ فَرْوَعِ الْأَدْبِ، باِعْتِبَارِ تَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ . حاجي خليفة، كشف الظُّنُون: ج ٢، ص ٤٥-٤٦ .

(٢) يُنْظَرُ: ابن حجر العسقلانيُّ، تهذيب التهذيب: ج ١١، ص ٣٦٢ .

(٣) يُنْظَرُ: أبو نعيم الأصبهانيُّ: ج ٢، ص ٤ .

(٤) يُنْظَرُ: أبو نعيم الأصبهانيُّ، حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤ .

(٥) عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ، ماتَ أَيَّامَ معاوِيَةَ، سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ (أَوَّلُ عَقْوَبَةِ نَفِيِّ)، وَيُنْظَرُ: الذَّهَبِيُّ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٤، ص ١٥، ١٩ .

أوّل من عُرف بالنسك، واشتهر مِنْ عُبَاد التَّابعِينَ في البصرة. وكانت البصرة - كذلك - الموطن الأوّل لعلم التصوّف^(١)، وكان من أوائل المتصوّفين الحسن البصري^(٢) (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م).

ومن أوائل النساء العابدات الزاهدات في البصرة (معاذة العدوية)^(٣)؛ إذ رُويت عنها أخبارٌ في الزهد والعبادة^(٤)، أمّا عن أوّل امرأةٍ بلغتُ أعلى مراتب الزهد والتّصوّف في البصرة، فهي: (رابعة العدوية)^(٥)، التي وصفت بأئمّها الزاهدة العابدة الخاشعة^(٦)، كثيرة البكاء^(٧).

(١) علم التصوّف: من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله: أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمّهور من لذةٍ ومالٍ وجاء، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، يُنظر: ابن خلدون، المقدمة: ص ٣٧٠.

(٢) يُنظر: أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية، الحارثي (ت ٣٨٦ هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، (تحقيق: باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٧ م): ج ١، ص ٢٦٩؛ والكتاني، الشّيخ عبد الحي الإدريسي، الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسماً: التّراتيب الإدارية، (دار إحياء التراث العربي- بيروت/ د.ت.): ص ٢٧٢.

(٣) معاذة بنت عبد الله العدوية، تُكَنَّى أم الصهباء، زوجة صلة بن أشيم، أدركت عائشة، وروت عنها ابن الجوزي، صفة الصفوة: ج ٤، ص ٢٢، ٢٤. ٢٤٣-٢٤١.

(٤) يُنظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة: ج ٤، ص ٢٢-٢٤.

(٥) رابعة بنت إسماعيل، تُكَنَّى أم عمرو، ولاؤها للعتكيني، توفيت سنة (١٨٠ هـ)، يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٨، ص ٢٤١، ٢٤٣. ٢٤٣-٢٤١.

(٦) يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٨، ص ٢٤١.

(٧) يُنظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة: ج ٤، ص ٢٧.

- الأَوَّلُ فِي عِلْمِ الْلُّغَةِ وَالْأَدْبِ وَالشِّعْرِ

سُجَّلَ لِلْبَصْرَةِ الرِّيَادَةُ فِي عِلْمِ الْلُّغَةِ وَالْأَدْبِ، فَفِي رِبْوَعِهَا اسْتُحْدِثَتِ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَسْسِ وَالْمَبَادِئِ وَالْمَفَاهِيمِ وَالْأَصْوَلِ، وَالْمَكْتَشَفَاتِ، وَالإِسْهَامَاتِ الْلُّغَوِيَّةِ وَالْأَدِيبِيَّةِ، وَمِنْهَا اتَّنَقَّلَتِ إِلَى عِمَومِ أَرْجَاءِ الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَبِهَذَا الشَّأنِ قِيلَ: «كَانَ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ قَدْمَةً، وَبِالنَّحْوِ وَلِغَاتِ الْعَرَبِ وَالْغَرِيبِ عَنْيَا»^(١)، وَقَدْ تَجَسَّدَتِ تِلْكَ الإِسْهَامَاتِ فِي الْآتِيِّ:

علم النحو

لَا شَكَّ فِي أَنَّ مَؤْسِسَ عِلْمِ النَّحْوِ هُوَ الْإِمَامُ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍعليه السلام، فَقَيْلَ: «إِنَّ عَلَيَّاًعليه السلام أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ النَّحْوَ وَسَنَّ الْعَرَبِيَّةَ»^(٢)، وَرَوِيَ: أَنَّ الْإِمَامَ عَلَيَّاًعليه السلام «هُوَ الَّذِي ابْتَكَرَهُ وَاخْتَرَعَهُ»^(٣)، وَكَانَ قَدْ أَقْرَى أَصْوَلَهُ لِعَالَمِ الْبَصْرَةِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤْلَيِّ (ت ٦٩٦هـ / ٦٨٨م) مِنْ أَجْلِ تَقوِيمِ لِسَانِ الْعَرَبِ مِنَ الْلَّحنِ^(٤)، فَعَمَدَ أَبُو الْأَسْوَدُ الدَّؤْلَيِّ إِلَى وَضُعِّفَ أَبْوَابِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ، وَالْمَضَافِ، وَحُرُوفِ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِّ وَالْجَزْمِ^(٥).

(١) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراً: ج ١، ص ١٢.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٤، ص ١٧٣؛ والصفدي، الوفي بالوفيات: ج ٦، ص ٣٠٧؛ والبسنوي، محاضرة الأوائل: ص ١٠٤.

(٣) الوطواط، أبو إسحاق، برهان الدين الكتباني (ت ٩٨١هـ)، غُرِّ الْخَصَائِصِ الْوَاضِحةِ وَعَرَرَ التَّقَائِصِ الْفَاضِحةِ، (دار صعب-بيروت/ د.ت.): ص ١٩٤.

(٤) يُنْظَرُ: أبو الفرج الأصفهاني، الأغانى: ج ١٢، ص ٣٤٨؛ وأبو هلال العسكري، الأوائل: ص ١١٥؛ والذهبى، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٨٤؛ وابن حجر العسقلانى، الإصابة: ج ٣، ص ٤٥٦؛ والسيوطى، سبب وضع العربية: ج ١، ص ٥٠.

(٥) يُنْظَرُ: ابن الجوزى، المنتظم: ج ٦، ص ٩٦.

وقيل: إنما سمي النحو، لأن أبو الأسود الدؤلي استأذن من الإمام علي عليه السلام، وقد ألقى إليه شيئاً في أصول النحو أن يصنع نحو ما صنع، فسمى ذلك نحواً^(١). وروي: أن الإمام علي عليه السلام قال لأبي الأسود الدؤلي: «ما أحسن هذا النحو الذي صنعته»، فسمى النحو نحواً^(٢)، وقد سُئل أبو الأسود الدؤلي عمن نهج له الطريق فقال: «تلقيته عن علي بن أبي طالب»^(٣).

وذكر بهذا الشأن: أن علياً مرب برجل يقرأ: «إن الله بريء من المشركين ورسوله»^(٤)، بكسر اللام في رسوله، فوضع النحو، وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي^(٥). ويبدو جلياً أن بداية التفكير في وضع النحو كان في داخل البصرة حينما قدم إليها الإمام علي عليه السلام سنة (٦٥٦ هـ) ، وكان ذلك الرجل الذي أخطأ في قراءة الآية الكريمة يعيش في البصرة، سواء كان أعجمياً لكثرة الأعاجم الذين سكناها فيها، أم كان عربياً إلا أنه كان يلحظ في اللغة؛ لاختلاطه بالأعاجم، ولتسرب الكلمات الأعجمية للغة العربية، ويعود هذا الاعتقاد ما ورد في رواية أخرى جاء فيها: أن أبو الأسود الدؤلي دخل على الإمام علي عليه السلام، فوجده مطرقاً متفكراً، فسأله عمّا يشغل فكره، فأجاب الإمام علي عليه السلام: «إني سمعت بيلدكم هذا لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية»، فأبدى الدؤلي سروره بالأمر، وقال: إذا فعلت

(١) يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٤٥.

(٢) يُنظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار: ج ١، ص ٦٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٣، ص ٤٥٦؛ وبلفظ آخر قوله: «أخذت حدوده عن علي»، البستوني، محاضرة الأوائل: ص ١٠٥.

(٤) الآية: «أَنَّ اللَّهَ بِرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ»، من سورة التوبة، الآية (٣٩).

(٥) يُنظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٤، ص ١٧٣.

هذا أحیيتنا، وبعد مرور ثلاثة أيام، قدم الدّؤلیٰ على الإمام عليه السلام، فألقى إليه الإمام صحيفة فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْكَلَامُ كُلُّهُ اسْمٌ وَفَعْلٌ وَحْرَفٌ، فَالاَسْمُ مَا أَنْبَأَ عَنِ الْمَسْمَىِ، وَالْفَعْلُ مَا أَنْبَأَ عَنْ حَرْكَةِ الْمَسْمَىِ، وَالْحَرْفُ مَا أَنْبَأَ عَنْ مَعْنَى لِيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فَعْلٍ»، وطلب منه الإمام أنْ يَتَبَعَّهُ ويزيد فيه، وقال له: «واعلم يا أبا الأسود، أنَّ الْأَشْيَاءَ ثَلَاثَةٌ: ظَاهِرٌ، وَمُضْمِرٌ، وَشَيْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمِرٌ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْرِفَةِ مَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمِرٌ»، فباشر الدّؤلیٰ بعمله، وعرضه على الإمام عليه السلام، فكان مِنْ ذَلِكَ حِرْفُ النَّصْبِ، فذَكَرَ مِنْهَا: «إِنَّ وَأَنَّ، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ، وَكَانَ»، ولمْ يذكر (لَكَنَّ)، فطلب منه الإمام أنْ يذكرها، وزاد له فيها^(١).

وبعد أنْ شرع أبو الأسود الدّؤلیٰ في إنجاز المهمة، ذاع صيته، وشاع خبرُه بأنَّه أَوَّلُ مَنْ أَسَسَ علم النحو ووضع أصوله، فقيل عنه: إِنَّه كَانَ «أَوَّلُ مَنْ أَسَسَ الْعَرَبِيَّةَ، وَفَتَحَ بَابَهَا، وَأَنْهَى سَبِيلَهَا، وَوَضَعَ قِيَاسَهَا»^(٢)، وَإِنَّه أَوَّلُ مَنْ عمل فيه كتاباً^(٣).

وفي الوقت الذي لا يُمْكِنُ فيه إنكار الدّور والجهد الذي قام به أبو الأسود الدّؤلیٰ في وضع علم النحو، إِلَّا إِنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْنِي إنكار إسهام الإمام عليه السلام وأثره، وهذا دون أدنى شك يندرج ضمن النهج الذي قُصد منه تحرير الإمام عليه السلام من

(١) يُنظر: الْذَّهَبِيُّ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج٤، ص٨٤؛ وَالْمَتَّقِيُّ الْهَنْدِيُّ، كِتَابُ الْعَمَالِ: ج١، ص٥٠٠؛ وَالْبَسْنُوِيُّ، مَحَاضِرُ الْأَوَّلِ: ص١٠٤-١٠٥.

(٢) ابن سَلَامُ الْجَمْحَيُّ، طَبَقَاتُ فَحْولِ الشِّعْرَاءِ: ج١، ص١٢؛ وَالْبَيْهَقِيُّ، الْمَحَاسِنُ وَالْمَساوِئُ: ج١، ص١٨٤؛ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ، الْمُنْتَظَمُ: ج٦، ص٩٦؛ وَابْنُ الْأَثِيرِ، الْكَاملُ: ج٤، ص٣٩٠.

(٣) يُنظر: ابن قَتْبَيَةَ الدِّينُورِيِّ، الشِّعْرُ وَالشِّعْرَاءُ: ج٢، ص٧١٩.

الفضائل^(١)؛ لذلك دسَت روایاتُ أعطَت الدّور والفضل لأبِي الأسود الدّؤلِي فقط في وضع علم النّحو، ولا يُمكِن استبعاد أثر السُّلطة الْأُمويَّة في ذلك الدّسّ، ومن تلك الروايات ما ذُكر من: أنَّ أباً الأسود الدّؤلِيَّ أولَ مَنْ وضع مِنَ النّحو باب التّعجِّب من أجل ابنته التي قالت يوماً: «يا أبا، ما أحسن السَّماء؟» فأجاب: «نجومها»، فقالت: «إِنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْ أَحْسِنِهَا، إِنِّي تَعجَّبُ مِنْ حُسْنِهَا، فَقَالَ لَهَا: «ما أَحْسَنِ السَّماءِ!»^(٢).

وفي روايَةٍ ثانية، ذُكر: أنَّ الدّؤلِيَّ جاء إلى والي البصرة زياد بن أبيه وطلب منه الإذن في وضع علم يُقيِّمُ به كلام العرب، بعد أنْ تغيَّرَتْ أسلوبُهم؛ بسبب اختلاطهم بالأعاجم، قائلاً له: «أفتاذن لي أنْ أصنع لهم علمًا يقيِّمون به كلامهم»، فرفض زياد، ولمْ يفعل أبو الأسود الدّؤلِيَّ شيئاً، حتَّى صادف أنْ جاء لزياد رجلٌ، فقال له: «مات أبانا وخلف بـنون»، فقال زياد: «مات أبانا وخلف بـنون!»، ثمْ أمر بإحضار الدّؤلِيَّ، وأمره أنْ يفعَّل ما نهَاهُ عنه، بقوله: «ضع للناسِ ما نهيتَكَ عنه»، فوضع لهم النّحو^(٣).

(١) يُنظر: النَّصَرُ اللَّهُ، د. جواد كاظم، فضائل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ المنسوبة لغيره، (سلسلة رد الشبهات)، مركز الأبحاث العقائدية-التجفف/٢٠٠٩م): ص ١٤٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٣١٢؛ والوطواط، غرر الخصائص الواضحة: ص ١٩٤.

(٣) يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٢، ص ٣٤٨-٣٤٩؛ وأبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ)، المصنون في الأدب، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت/١٩٦٠م): ج ١، ص ١٨؛ وابن الجوزي، المتنظم: ج ٦، ص ٩٨؛ وابن الأثير، أبو الفتح، ضياء الدين (ت ٦٢٢هـ)، المثل السائر، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد-بيروت/١٩٩٥م): ج ١، ص ٣١؛ واليافعي، مرآة الجنان: ج ١، ص ٢٠٤؛ والسيوطى، سبب

وُذِكِرَ في إحدى الرِّوَايَاتِ أَنَّ رَجُلًا فَارسِيًّا مِنْ أَهْلِ بَنْوَ جَانَ^(١)، اسْمُهُ (سَعْد)، كَانَ قَدْ قَدَمَ البَصْرَةَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَمَرَّ (سَعْد) يَوْمًا وَهُوَ يَقُودُ فَرْسَهُ، فَقَيْلَ لَهُ: «مَا لَكَ يَا سَعْدَ لَمْ لَا تَرْكِبُ»، فَقَالَ: «إِنَّ فَرَسِيَ ضَالِّ»، وَأَرَادَ: «ضَالِّاً»، فَضَحَّكَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مُوْجَدًا مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَد الدَّؤْلِيُّ: «هُؤُلَاءِ الْمَوَالِيَ قَدْ رَغَبُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَدَخَلُوا فِيهِ، فَصَارُوا النَّاجِحُونَ، فَلَوْ عَمِلْنَا لَهُمُ الْكَلَامَ»، فَوُضِعَ بَابُ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ^(٢).

وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَطَاءُ الْبَصْرَةِ عَلَى إِرْسَاءِ أَسْسِ عِلْمِ النَّحْوِ، بَلْ كَانَ لِلْخَلِيلِ بْنَ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ إِسْهَامٌ فَاعِلٌ فِي التَّوْسُّعِ بِعِلْمِ النَّحْوِ، فَقَيْلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَذَبَ النَّحْوَ وَتَوَسَّعَ فِيهِ وَبَيَّنَ عِلْلَهُ^(٣)، وَكَانَ الْفَرَاهِيدِيُّ أَوَّلُ مَنْ ضَبَطَ الْلِّغَةَ، وَأَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ كِتَابَ الْعَيْنِ مَرَّتَيًّا عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجمِ^(٤)، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْحُرُوفَ فِي بَيِّنِ شِعْرِيٍّ، فَقَالَ مِنَ الْبَسيطِ^(٥):

صِفْ خَلْقَ خُودِ كِمْثِلِ الشَّمْسِ إِذْ بَزَّعْتُ

يَحْظَى الصَّبَّاجِيُّ بِهَا نَجْلَاءُ مَعْطَارُ

وَضَعَ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ: ج١، ص٥٠-٥١. وَالْبَسْنُوِيُّ، مَحَاضِرَةُ الْأَوَّلِ: ص١٠٥.

(١) بَنْوَ جَانَ: رِبَّا الْمَقْصُودِ نُوبَنْدِجَانَ: مَدِينَةٌ مِنْ أَرْضِ فَارِسِ، مِنْ كُورَةِ سَابُورِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْجَانَ (٢٦) فَرَسِخَّاً، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ شِيرَازَ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ. يَاقُوتُ الْحَمْوَيِّ، مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ: ج٨، ص٤٠٤.

(٢) يُنْظَرُ: ابْنُ النَّدِيمِ، الْفَهَرِسُ: ص٤٦؛ وَالسَّيُوطِيُّ، سَبَبُ وَضَعِ الْعَرَبِيَّةِ: ج١، ص٥٣-٥٤.

(٣) يُنْظَرُ: الْأَمِينُ، مُحَسَّنُ، أَعْيَانُ الشِّيَعَةِ، (تَحْقِيقُ: حَسَنُ الْأَمِينِ)، دَارُ التَّعَاوُنِ - بَيْرُوت / د.ت.: ج١، ص١٦٣.

(٤) يُنْظَرُ: السَّيُوطِيُّ، الْمَزْهَرُ: ج١، ص٦١؛ وَحَاجِيُّ خَلِيفَةُ، كَشْفُ الظُّنُونِ: ج٢، ص١٤٤.

(٥) يُنْظَرُ: الصَّفْدِيُّ، الْوَافِيُّ: ج١٣، ص٢٤٢؛ وَالْيَافِعِيُّ، مَرَآةُ الْجَنَانِ: ج١، ص٣٦٤.

تنقيط المصاحف

كان للبصرة قصب السبق في تنقيط المصاحف، إذ كانوا المبتدئين بالنقط، السابقين إليه، ثم أخذ عنهم أهل المدينة عامّة، وأهل المغرب من الأندلسين وغيرهم، ونقطوا به مصاحفهم^(١).

وقد ورد الاختلاف في تحديد أول من نقط المصحف، فقيل: (نصر بن عاصم الليثي)^(٢)، أول من نَقَطَ المصاحف وعشّرها وَخَمْسَهَا^(٣)، وقيل: بل إنه (يحيى بن يعمر)^(٤)، الذي كان أول من نقط المصحف^(٥)، إلا إن الرّاجح والمتّفق عليه أنّ أول من نَقَطَ المصاحف هو أبو الأسود الدّؤلي^(٦)؛ إذ كان السابق إلى ذلك والمبتدئ به،

(١) يُنظر: أبو عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ)، المحكم في نقط المصاحف، (تحقيق: د. عزّة حسن، ط ٢، دار الفكر-دمشق / ١٤٠٧ هـ): ج ١، ص ٨.

(٢) نصر بن عاصم بن أبي سعيد، الليثي، المقرئ، النّحوبي، البصري، أخذ عن أبي الأسود الدّؤلي التّحو واللّغة، توفي سنة (٩٠ هـ) في البصرة، يُنظر: الفيروزآبادی، محمد بن يعقوب (ت ١٤١٧ هـ)، الْبُلْغَةُ فِي تَرَاجِمِ أَئمَّةِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ، (تحقيق: محمد المصري، ط ١، جمعية إحياء التّراث العربي الإسلامي-الكويت / ١٤٠٧ هـ): ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) يُنظر: أبو عمر الدّاني، المحكم في نقط المصاحف: ج ١، ص ٦، ص ٧؛ والذهبي، معرفة القراء: ج ١، ص ٧١؛ والفيروزآبادی، البلقة: ج ١، ص ٢٣٢.

(٤) يحيى بن يعمر، أبو سليمان العدواني، البصري، تابعيُّ جليل، عالم بالقراءات والعربية، توفي قبل سنة (٩٠ هـ)، يُنظر: الذهبي، سير أعلام النّبلاء: ج ٤، ص ٤٤٢-٤٤٣؛ وابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة: ج ١، ص ٢١٧.

(٥) يُنظر: المزي، تهذيب الكمال: ج ٣٢، ص ٥٤؛ وسير أعلام النّبلاء: ج ٤، ص ٤٤٢؛ ومعرفة القراء: ج ١، ص ٦٨؛ وابن كثير، البداية والنهاية: ج ٩، ص ٧٣؛ والبسنوبي، محاضرة الأوائل: ص ١٠٠.

(٦) يُنظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ١١٥؛ وابن الجوزي، المتنظم: ج ٦، ص ٩٧؛ وياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٤، ص ٥١٩؛ والصفدي، الواقي: ج ١٦، ص ٣٠٥.

وهو الّذِي جعل الحركات والتّنوين لا غير، ثُمَّ جعل الخليل بنُ أَحمد الفراهيديّ الهمز والتشديد والرّوْم^(١) والإشام^(٢)، ففُقِنَ النّاسُ فِي ذَلِكَ أثْرَهُمَا، واتّبعوا سُسْتَهُمَا وانتشر ذلك فِي سائر الْبَلْدَانِ، وظَهَرَ الْعَمَلُ بِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَأَوَانٍ^(٣).

وَفِي كِيفِيَّةِ التَّنْقِيَطِ، رُوِيَ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدَ الدَّؤْلَى طَلَبَ إِحْضَارَ رَجُلٍ لِقِنِّ^(٤)، فَوُجِدَ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ، فَقَالَ لَهُ الدَّؤْلَى: «إِذَا رَأَيْتِنِي لَفْظْتُ بِالْحُرُوفِ فَضَمِّمْتُ شَفْتِيَّ، فَاجْعَلْ أَمَامَ الْحَرْفِ نَقْطَةً، إِذَا ضَمِّمْتُ شَفْتِيَّ بُغْنَةً، فَاجْعَلْ نَقْطَتَيْنِ، إِذَا رَأَيْتِنِي قَدْ كَسَرْتُ شَفْتِيَّ، فَاجْعَلْ أَسْفَلَ الْحَرْفِ نَقْطَةً، إِذَا فَتَحْتُ شَفْتِيَّ بُغْنَةً، فَاجْعَلْ نَقْطَتَيْنِ، إِذَا رَأَيْتَ قَدْ فَتَحْتُ شَفْتِيَّ، فَاجْعَلْ عَلَى الْحَرْفِ نَقْطَةً، إِذَا فَتَحْتُ شَفْتِيَّ بُغْنَةً، فَاجْعَلْ نَقْطَتَيْنِ»^(٥).

علم العروض

العروض، عروض الشّعر، وهي فواصل أنصاف الشّعر، وهو آخر النّصف الأوّل مِنَ الْبَيْتِ، وسُمِّيَ عروضاً؛ لأنَّ الشّعر يُعْرَضُ عَلَيْهِ، فالنّصف الأوّل

وابن تغري برمي، النّجوم الزّاهِرَة: ج١، ص٣١؛ وابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج٣، ص٤٥٥-٤٥٦؛ والسيوطى: ج٢، ص٢٢؛ والبسنويّ، محاضرة الأوائل: ص٩٩.
 (١) الرّوْم: حركة مختَسَّةٌ مُخْتَفِأةٌ لضرِّ التّخفيفِ، وهي أَكْثَرُ مِنَ الإشامِ؛ لَأَنَّهَا تُسْمَعُ.

ابن منظور: ج١٢، ص٥٨.

(٢) الإشام: وإِشَامُ الْحَرْفِ أَنْ تُشَمَّهُ الضِّمةُ أَوِ الْكِسْرَةُ، وَهُوَ أَقْلَى مِنْ رَوْمِ الْحَرْكَةِ؛ لَأَنَّهُ لَا يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا يُتَبَيَّنُ بِحَرْكَةِ الشِّفَةِ.

ابن منظور، لسان العرب: ج١٢، ص٣٢٦.

(٣) يُنظر: أبو عمرو الدّاني، المحكم في نقط المصاحف: ص٦.

(٤) لِقِنٌ: أَيْ: فَهِمُ، حَسَنُ التَّلَقِينِ لِمَا يُسْمَعُهُ.

ابن منظور، لسان العرب: ج١٣، ص٣٩٠.

(٥) أبو عمرو الدّاني، المحكم في نقط المصاحف: ص٦-٧؛ وابن النّديم، الفهرست: ص٤٥؛

والبسنويّ، محاضرة الأوائل: ص٥٣.

عَروض؛ لأنّ الثّاني يُبني على الأوّل، والنّصف الآخر الشّطر، وذُكْر: إنّما سُمِّيَ وسط البيت عَروضاً لأنّ العَروض وسط البيت مِنَ البناء، والبيت مِنَ الشّعر مبنيٌّ في اللّفظ على بناء البيت المُسكون للعَرب، فقوام البيت مِنَ الْكَلَام عَروضه، كما أنّ قوام البيت مِنَ الْخَرْق العارضة التي في وسطه، فهي أقوى ما في بيت الْخَرْق، فلذلك يجب أن تكونَ العَروض أقوى مِنَ الضّرب، والعَروض ميزانُ الشّعر؛ لأنّه يُعارض بها^(١).

وقد مدح الجاحظ (ت ٤٢٥٥ هـ) العَروض وذمّها، فقال في مدحها: «العَروض ميزانٌ ومعراضٌ، بها يُعرف الصّحيح مِنَ السَّقِيم، والعلييل مِنَ السَّلِيم، وعليها مدار الشّعر، وبها يسلمُ مِنَ الأُود والكسر»، وقال في ذمّها: «هو علمٌ مولَدُ، وأدبٌ مستبرد، ومذهبٌ مرفوضٌ، وكلامٌ مجھولٌ، يستنكر العقل بمست فعلنْ وفعول، مِنْ غير فائدةٍ ولا مَحْصُولٍ»^(٢).

إنّ أولَ مَنْ اخترَع علم العَروض هو الخليلُ بنُ أَحمد، الفراهيديّ (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)^(٣)، مِنْ غير سابقة ابتداعه، وحصر فيه أوزان العَرب في خمسة

(١) يُنظر: ابن منظور، لسان العَرب: ج ٧، ص ١٨٤.

(٢) الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣ هـ)، زُهر الآداب وثمر الألباب، (تحقيق: د. زكي مبارك، وزاد فيه وضبطه وشرحه: محمد محبي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل - بيروت / ١٩٧٢ م): ج ٣، ص ٦٩٥.

(٣) أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ١١٧؛ والوطواط، غُرر الخصائص الواضحة: ص ١٩٤؛ والبسنوبي، محاشرة الأوائل: ص ٤٦.

عشر بحراً، فزاد عليها تلميذه الأخفش^(١) بحراً آخر سماه (الخَبَب)^(٢).
وذكر: أن الفراهيدى دعا الله سبحانه وتعالى أن يرزقه علمًا لم يسبق إليه،
فتتح الله له بالعرض^(٣)، فكان علم العروض من اكتشاف الفراهيدى، فلم يأخذ
عن حكيم، ولا احتذاه عن مثالٍ تقدّمه، وإنما اخترعه من ممّ له بالصفارين^(٤)، من
وقع مطرقة على طست^(٥)، وقيل: إن الفراهيدى استبط من العروض وعلمه ما لم
يستخرجه أحدٌ، ولم يسبقه إلى عمله سابقٌ من العلماء كُلُّهم^(٦).

وأكَّدَ الجاحظُ أنَّ العربَ لم يَكُنُوا قَدْ عَرَفُوا الغناءَ، «عَلَّهُ وَأَسْبَابُهُ، وَوْزْنُهُ
وَتَصَارِيفُهُ، وَكَانَ عَلَمُهُمْ بِهِ عَلَى الْهَاجِسِ، وَعَلَى مَا يَسْمَعُونَ مِنَ الْفَارَسِيَّةِ وَالْهَنْدِيَّةِ،
إِلَى أَنْ نَظَرَ الْخَلِيلَ الْبَصْرِيَّ فِي الشِّعْرِ وَوْزْنِهِ، وَخَارِجَ الْفَاظِهِ، وَمِيزَ مَا قَالَتِ الْعَرَبُ
مِنْهُ، وَجَمِيعَهُ، وَأَلْفَهُ، وَوَضَعَ فِيهِ الْكِتَابُ الَّذِي سَمِّاهُ: (الْعَرَوْضُ)؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ عَرَضَ
جَمِيعَ مَا رُوِيَ مِنَ الشِّعْرِ، وَمَا كَانَ بِهِ عَالِمًا مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي رَسَمَهَا، وَالْعِلْلَ الَّتِي

(١) الأخفش: هو الأخفش الأوسط، أبو الحسن، سعيد بن مسعدة، البلخي، البصري، مولى
بني مخاشع، أخذ عن الفراهيدى إمام النحو واللغة، توفي سنة (٢١٥هـ)، يُنظر: الذَّهَبِيُّ، سير
أعلام النبلاء: ج ١٠، ص ٢٠٦، ٢٠٨؛ والزِّركلى، الأعلام: ج ٣، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) يُنظر: ابن خلkan، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٢٤٤؛ وابن كثير، البداية والنهاية: ج ١٠،
ص ١٧٢.

(٣) يُنظر: الذَّهَبِيُّ، سير أعلام النبلاء: ج ٧، ص ٤٣٠؛ والصفدي، الواقي: ج ١٣، ص ٢٤١.

(٤) الصُّفَر: النحاس الجيد، والصفار: صانع الصُّفَر. ابن منظور، لسان العرب: ج ٤،
ص ٤٦١.

(٥) يُنظر: الذَّهَبِيُّ، سير أعلام النبلاء: ج ٧، ص ٢٣١؛ والصفدي، الواقي: ج ١٣، ص ٢٤١.

(٦) يُنظر: القسطي، علي بن يوسف (ت ٦٢٤هـ)، إنباء الرُّوَاةِ عَلَى أَنْبَاءِ النُّحَاةِ، (تحقيق: محمد

أبو الفضل إبراهيم، ط ١، المطبعة العصرية، صيدا-بيروت / ٢٠٠٤م): ج ١، ص ٣٧٧.

بيّنها، فلَمْ يجُد أحداً مِنَ العرب خرج منها، ولا قَصَرْ دوِيَّها، فلِمَا أَحْكَمَ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا بَلَغَ، أَخْذَ فِي تَفْسِيرِ النُّغْمَ وَاللُّحُونَ، فَاسْتَدِرَكَ مِنْهُ شَيْئاً، وَرَسَمَ لَهُ رِسَماً، احْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَلْفَهُ، وَاسْتَتَمَّهُ مِنْ عُنْيَ بِهِ^(١)، فَأَوْلُ مَنْ أَلْفَ الْأَوْزَانَ، وَجَمْعُ الْأَعْارِيْضَ وَالضَّرْوبَ، الْفَرَاهِيْدِيُّ، فَوُضِعَ فِيهَا كِتَاباً سَمِّاهُ: (كتاب العروض)^(٢).

فَالْفَرَاهِيْدِيُّ جَعَلَ مِنَ الْعَرَوْضِ مِيزَانًا لِلشِّعْرِ، يُعْرَفُ بِهِ التَّاءُ مِنَ النَّاقِصِ، وَصَاغَ لَهُ مِنَ التَّفَاعِيلِ ثَمَانِيَّةً أَجْزَاءً، لَا يَخْرُجُ شِعْرٌ مُوزَوْنٌ عَنْهَا، صَيَّرَهَا كَالْمَثَاقِيلِ، وَهِيَ: «فَعُولُنَّ، فَاعُولُنَّ، مَفَاعِلُنَّ، مَسْتَفْعِلُنَّ، فَاعْلَاتُنَّ، مَفَاعِلُنَّ، مَتَفَاعِلُنَّ، مَفْعُولَاتَ»، وَهَذِهِ الْمَثَاقِيلُ مَرْكَبَةٌ مِنْ سَبِّبٍ وَوَتِّدٍ، فَالسَّبِبُ نُوعَانٌ: خَفِيفٌ وَثَقِيلٌ، فَالْخَفِيفُ مَتَحْرِكٌ بَعْدِ سَاكِنٍ، نَحْوُ: (مَا، وَهْلُ)، وَالثَّقِيلُ مَتَحْرِكٌ بَعْدِ سَاكِنٍ، إِذَا سَأَلْتَ، وَالْوَتَدُ نُوعَانٌ: جَمْعُ وَمَفْرُوقٌ، فَالْمَجْمُوعُ مَتَحْرِكٌ بَعْدِ سَاكِنٍ، نَحْوُ: (دَعَا، رَمَى، سَعَى)، وَالْمَفْرُوقُ مَتَحْرِكٌ بَيْنَهُمَا سَاكِنٌ، نَحْوُ: (كَيْفَ)، وَجَعَلَ بَيْتَ الشِّعْرِ مَثَالَ بَيْتِ الشِّعْرِ؛ لِأَنَّ الْبَيْتَ مِنَ الشِّعْرِ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالْأَسْبَابِ، وَهِيَ الْأَطْنَابُ وَالْأَوْتَادُ الَّتِي تَضَرُّبُ فِي الْأَرْضِ، وَتُرْبَطُ فِيهَا الْأَطْنَابُ، فَيَقُومُ الْبَيْتُ، وَإِنَّمَا مُمْلِّئٌ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ فِي الشِّعْرِ حِرْوَافاً مُضطَرِبَةً يَطْرُأُ عَلَيْهَا الزَّحَافُ^(٣)، فُسِّمِيَّ

(١) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، رسائل الجاحظ - رسالة طبقات المغتدين - (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ١، مكتبة الخانكي - مصر / ١٩٧٩ م): ج ٣، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) يُنظر: ابن رشيق القيرواني، أبو علي، الحسن بن رشيق (ت ٤٦٥ هـ)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقدته، (تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت / ٢٠٠١ م): ج ١، ص ١٤٢.

(٣) الزَّحَافُ فِي الشِّعْرِ: هُوَ أَنْ يَسْقُطَ بَيْنَ الْحُرْفَيْنِ حَرْفٌ، فَيُحَفَّ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخِرِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِثَقْلِهِ، تَحُصُّ بِهِ الْأَسْبَابُ دُونَ الْأَوْتَادِ، إِلَّا الْقَطْعُ، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي الْأَوْتَادِ دُونَ الْأَعْارِيْضِ

أَسْبَابًاً لاضطرابهَا، تشبّهًا بأسباب بيت الشّعر، وفيه حروف ثابتة لا يطرأ عليها الزّحاف، فسمّيت أوتاداً لثباتها، وإلى ما قصده الفراهيدي في هذا التّمثيل أشار أبو العلاء المعرّي^(١)، قائلاً^(٢):

الْحُسْنُ يَظْهُرُ فِي شَيْئَنِ رَوْنَقٌ
بَيْتٌ مِنَ الشّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشّعْرِ

الْبَدِيعُ فِي الشّعْرِ الْعَرَبِيِّ

البديع هو منشى الأشياء على غير مثالٍ سبقَ، وفي البديع مبالغة ليست في المبدع، وهو يستحق الوصف به في غير حال الفعل على الحقيقة، بمعنى أنَّ مِنْ شأنه إنشاء الأشياء على غير مثالٍ^(٣).

وعلم البديع: «عِلْمٌ يُعرَفُ بِهِ وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته، ووضوح الدلالة، وهذه الوجوه ضربان: ضربٌ يرجع إلى المعنى، وضربٌ يرجع إلى اللّفظ، أمّا المعنويُّ، فمنه المطابقة، وتُسمى: الطّلاق، والتّضاد - أيضًا - وهي الجمع بين المتضادّين، أي: معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظتين مِنْ نوع واحدٍ اسمين، كقوله تعالى: ﴿وَتَخْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾

والضّروب، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ١٣١.

(١) أبو العلاء المعرّي: أحمد بن عبد الله بن سليمان، التّنخوي، الشّاعر، مِنْ أهل معّرة النّعيم، كان حسن الشّعر، جزل الكلام، فصيح اللّسان، عالماً باللّغة، حافظاً لها، ولد سنة (٣٦٣هـ)، وكان ضريراً، عمّي في صباحه، قدم بغداد، ثمّ عاد إلى معّرة النّعيم، وأقام بها لغاية وفاته سنة (٤٤٩هـ). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٤، ص ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥.

(٢) يُنظر: الخطيب القرويني، جلال الدين محمد بن أبي عبد الله (ت ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، (مطبعة أمير-قم / ١٤١١هـ): ص ٣٩٥؛ والوطواط، غرر الخصائص الواضحة: ص ١٩٤-١٩٥.

(٣) يُنظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية: ص ٩٤.

وَهُمْ رُقُودٌ^(١)، أو فعلين، كقوله تعالى: «تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مَمْنُ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ»^(٢)، وقول النبي محمد عليه السلام للأنصار: «إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عَنْدَ الْفَزِيعِ، وَتَقْلِيلُونَ عَنْدَ الظَّمَعِ»^(٣)، وقول بشار بن برد^(٤):

إِذَا أَيْقَظَنَا حِرْوَبَ الْعِدَى فَنَبَّهَهُ لَا عُمَراً ثُمَّ نَمَ

وإماماً بلفظتين من نوعين، كقوله تعالى: «أَوَ مَنْ كَانَ مَيْنَا فَأَخْيَنَا»^(٥)، أي: ضالاً فهديناه^(٦).

فَأَوْلُ مَنْ وَضَعَ عِلْمَ الْبَدِيعِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ (ت ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م)^(٧)، وذُكِرَ أَنَّ بِشَاراً أَرَقَ الْمُحَدِّثِينَ دِيَاجَةَ كَلَامِهِ، وُسُمِّيَ: (أبا الْمُحَدِّثِينَ)؛ لِأَنَّهُ فَتَقَ لَهُمْ

(١) من سورة الكهف، الآية (١٨).

(٢) من سورة آل عمران، الآية (٢٦).

(٣) الزمخشري، أبو القاسم، محمد بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، الفايق في غريب الحديث، (١، دار الكتب العلمية-بيروت / ١٩٩٦ م): ج ٣، ص ٢٩؛ وابن الأثير، أبو السعادات، المبارك ابن محمد (ت ٦٠ هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، (تحقيق: ظاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي-بيروت / ١٩٧٩ م): ج ٣، ص ٤٤٣؛ والخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، (تحقيق: سيد إبراهيم المياحي)، المطبعة الإسلامية-طهران / د.ت): ج ١، ٢١، ص ٥٣٠.

(٤) بشار بن برد بن يرجوح بن أزدكرد، وكان يرجوح من طخارستان، من سبي المهلب بن أبي صفرة، يُكَنِّي بأبي معاذ، وهو من مُخَرَّمي الدَّولَتَيْنِ الْأُمُوَّةِ وَالْعَبَاسِيَّةِ، ولد بشار أعمى، توفي سنة (١٦٧ هـ)، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٣، ص ٩٥، ١١٤؛ الزركلي، الأعلام: ج ٢، ص ٥٢.

(٥) من سورة الأنعام، الآية (١٢٢).

(٦) الخطيب القزويني، الإيضاح: ص ٣٤٨ - ٣٤٩؛ والنفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت ٧٩٢ هـ)، مختصر المعان، (ط ١، مطبعة قدس-قم / ١٤١١ هـ): ص ٢٦٥.

(٧) يُنظر: ابن رشيق القمي، العمدة: ج ١، ص ١٣٨.

أكْمَامُ المعاني، ونَهَجَ لَهُمْ سَبِيلَ الْبَدِيعِ، فَاتَّبَعُوهُ^(١).

الرَّجَز

الرَّجُزُ بَحْرٌ مِنْ بَحْرِ الشِّعْرِ مَعْرُوفٌ، وَنَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِهِ، يَكُونُ كُلُّ مِنْهُ مُفْرَداً، وَتُسَمَّى قَصَائِدُهُ (أَرْجِيز)، وَاحِدَهَا (أَرْجُوزَة)، فَهُوَ كَهِيَّةُ السَّجْعِ، إِلَّا إِنَّهُ فِي وزنِ الشِّعْرِ، وَيُسَمَّى قَائِلَهُ: (رَاجِزاً)، كَمَا يُسَمَّى قَائِلَ بَحْرِ الشِّعْرِ: (شَاعِراً)^(٢).
 وَسُمِّيَ الرَّجَزُ رَجَزاً؛ لِأَنَّهُ تَتَوَالَّ فِيهِ فِي أَوْلَهُ حَرْكَةُ وَسَكُونٌ إِلَى أَنْ تَتَهَيَّأَ أَجْزَاؤُهُ، يُشَبَّهُ بِالرَّجَزِ فِي رَجْلِ النَّاقَةِ وَرَعْدَتِهَا، وَهُوَ أَنْ تَتَحرَّكَ وَتَسْكُنَ، ثُمَّ تَتَحرَّكَ وَتَسْكُنَ، وَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاضْطِرَابِ أَجْزَاءِهِ وَتَقَارِبِهَا، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ صَدُورٌ بِلَا أَعْجَازٍ، وَذُكِرَ: أَنَّ كُلَّ شِعْرٍ تَرَكَبُ تَرْكِيبَ الرَّجَزِ سُمِّيَ (رَجَزاً)، وَقِيلَ -أَيْضًا-: إِنَّ الرَّجَزَ عِنْدَ الْعَرَبِ كُلُّ مَا كَانَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، وَهُوَ الَّذِي يَتَرَّمَّلُ بِهِ فِي عَمَلِهِمْ وَسُوقَهُمْ وَيَحْدُوْنَ بِهِ^(٣).

وَقَدْ كَانَ الْعَجَاجُ^(٤) أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ الرَّجَزَ وَشَرَفَهُ وَفَتَحَ أَبْوَابَهُ، وَشَبَّهَهُ بِالشِّعْرِ، فَجَعَلَ لَهُ أَوَّلَ وَتَشْيِيهِ، وَوَصَفَ فِيهِ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا، وَذَكَرَ مَا فِيهَا، وَذَكَرَ الرُّسُومَ وَالْقُلُوبَ، وَنَعَتَ الْإِبْلَ وَالظَّلَولِ^(٥). وَقِيلَ: إِنَّ الْعَجَاجَ يُشَبَّهُ مِنَ الرُّجَاجِ بِأَمْرِهِ

(١) يُنَظَّرُ: الْحَصْرِيُّ الْقِيرَوَانِيُّ، زُهْرُ الْآدَابِ: ج٢، ص٤٧٢.

(٢) يُنَظَّرُ: ابْنُ الْأَثِيرِ، النَّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ: ج٢، ص١٩٩.

(٣) يُنَظَّرُ: ابْنُ مَنْظُورِ، لِسَانُ الْعَرَبِ: ج٥، ص٣٥١.

(٤) الْعَجَاجُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَؤْبَةَ بْنِ لَبِيدِ بْنِ صَخْرَ بْنِ كَنِيفٍ، مَنْ بْنِي زِيدِ مَنَّا بْنِ تَمِيمٍ، الْبَصْرِيُّ، أَبُو الشَّعْنَاءِ، الْمَعْرُوفُ بِالْعَجَاجِ، وَالَّذِي رَؤْبَةُ بْنُ الْعَجَاجِ، رَاجِزٌ مُجِيدٌ مَاتَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، بَعْدَ أَنْ كَبَرَ وَفَلَجَ وَأَقْعَدَ. ابْنُ عَسَكِرٍ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دَمْشِقٍ: ج٢، ٢٨، ١٢٨، ١٣٠.

(٥) يُنَظَّرُ: أَبُو هَلَالَ الْعَسْكَرِيُّ، الْأَوَّلُ: ص١٣٤-١٣٥.

القيس بن حجر^(١) من الشعراء^(٢).

المثلث في اللغة

المثلث في اللغة أرجوزة في حدود ستين بيتاً^(٣)، وكان عالم النحو واللغة والأدب البصري المشهور بقطرب (٦٢٠٦ هـ / ٨٢١ م)^(٤)، أول من وضع المثلث في اللغة^(٥)، ووصف كتابه بأنه (وإنْ كان صغيراً إلَّا إِنَّه لِه فضيلة السبق)، وبه اقتدى عبد الله ابن السيّد البطليوسى (ت ١١٢٧ هـ / ٥٢١ م)^(٦)، وكتابه كبير^(٧). وقيل: إنَّ أرجوزة

(١) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر، أكل المرار، الكندي، أبو يزيد ويقال: أبو وهب، أو أبو الحارث، كان مَنْ عَلِمَ النَّاسَ الشِّعْرَ وَالْمَدحُ وَالْمَجَاءُ بِسَبِقِهِ إِيَّاهُمْ. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩، ص ٢٢٢، ٢٢٨.

(٢) يُنظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ج ١، ص ٤٩٣.

(٣) يُنظر: الطهراوي، آغا بزرك، الذريعة، (ط ٣، دار الأضواء- بيروت / ١٩٨٣ م): ج ٩، ص ٧٩.

(٤) قطرب: محمد بن المستير بن أحمد، أبو علي، المشهور بقطرب، نحوى عالم بالأدب واللغة من أهل البصرة من المولاي، وقطرب لقب دعا به أستاذه سيبويه فلزمته، توفي سنة (٢٠٦ هـ). يُنظر: اليافعي، مرآة الجنان: ج ٢، ص ٣١؛ والزركلي، الأعلام: ج ٧، ص ٩٥.

(٥) ابن خلkan، وفيات الأعيان: ج ٤، ص ٣١٢؛ والصفدي، الواقي بالوفيات: ج ٥، ص ١٤؛ والبسنوى، محاشرة الأوائل: ص ١٠٥، و حاجي خليفه، مصطفى بن عبد الله (ت ٦٧١ هـ): كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون (دار إحياء التراث العربي- بيروت / د.ت): ج ٢، ص ١٥٨٦.

(٦) العلامة أبو محمد، عبد الله بن محمد بن السيّد، النحوي، اللغوي، البطليوسى، صاحب التصانيف، توفي سنة (٥٢١ هـ)، يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ١٩، ص ٥٣٢-٥٣٣.

(٧) ابن خلkan، وفيات الأعيان: ج ٤، ص ٣١٢؛ واليافعي، مرآة الجنان: ج ٢، ص ٣١.

قطرب اثنان وثلاثونَ بيتاً^(١).

- الأَوَّلُ فِي عِلْمِ النَّسَبِ

كان لعلماء البصرة باعٌ وصدارةً في علم النسب، فقد كان أبو الحجّاف رؤبة ابن العجاج^(٢) (ت ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م)، أول من قال في تقصير الاسم وتحريف النسب، فقيل فيه^(٣):

قد رفع العجاج ذكرًا فادعني
باسمي أو الأنساب طالت يكفيني
في الوقت الذي كان (دغفل) النسبة البصري^(٤)، (ت ٦٨٤ هـ / ١٤٥ م)، أول عالم
في النسب، وذكر ابن النديم: أنه كان الصدر الأول من أخذ عنه المؤثر والأنساب
والأخبار^(٥).

- الأَوَّلُ فِي عِلْمِ الرِّجَالِ وَالجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ

كان أول من تكلّم في الرجال، وأول من فتّش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين، وصار علماً يقتدى به، وتبعه عليه بعده أهل

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون: ج ٢، ص ١٥٨٦.

(٢) أبو الحجّاف، رؤبة بن العجاج، ويقال أبو العجاج، التّمييّز الراجز المشهور، من أعرابيّ البصرة، مات أيام المنصور العباسي سنة (١٤٥ هـ)، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٢٢٣، ٢٢٨.

(٣) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٢٢٣.

(٤) دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربعة، السّدوسي في الطبقة الأولى من تابعي البصرة، يقال له: النسبة، كان له علم ورواية للنسب، توفي سنة (٦٥ هـ)، في يوم دولاًب في قتال الخوارج، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٧، ص ٢٨٦، ٢٩٠، ٣٠٣.

(٥) يُنظر: الفهرست: ص ١٠١.

العراق، هو عالم البصرة (أبو بسطام، شعبة بن الحجاج، الأزدي، العتكبي^(١))، (ت ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م)، وتبعد يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)^(٢)، الذي أصبح من علماء الجرح والتعديل^(٣). وقد وصف شعبة بن الحجاج بأنه إمام الأئمة في البصرة في معرفة الحديث، وهو أول من جرّح وعدل^(٤).

- الأوائل في التصنيف التاريجي ورواية الأخبار

نشأت في مدينة البصرة مدرسة برعت في التدوين التاريجي، وأنجبت كبار المؤرخين الذين كان لهم الريادة في التصنيف في مجالاتٍ وفروعٍ متعددةٍ من التاريخ العام والمحلّي، والطبقات والتراجم، والسير والمغازي، وغيرها^(٥). ففي المغازي والسير النبوية، ذُكر: أنّ أول من صنفَ فيما هو سليمان

(١) شعبة بن الحجاج، العتكبي، الأموي، أبو بسطام، الأزدي، الواسطي، نزل البصرة، وكان من سادات أهل زمانه حفظاً وإتقاناً وورعاً وفضلاً، توفي سنة (١٦٠ هـ)، يُنظر: ابن حبان البستي، الثقات: ج ٦، ص ٤٤٦؛ والذهببي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)، تذكرة الحفاظ، (دار إحياء التراث العربي- بيروت/ د.ت): ج ١، ١٩٣، ١٩٧.

(٢) يحيى بن سعيد القطان، التميمي، البصري، الحافظ، توفي سنة (١٩٨ هـ)، يُنظر: ابن شاهين، عمر بن شاهين (ت ٣٨٥ هـ)، تاريخ أسماء الثقات (تحقيق: صبحي السامرائي، ط ١، دار السلفية- تونس / ١٤٠٤ هـ): ص ٩.

(٣) يُنظر: ابن حبان البستي، الثقات: ج ٦، ص ٤٤٦؛ وابن شاهين، تاريخ أسماء الثقات: ص ٩؛ والذهببي، تهذيب الكمال: ج ١٢، ص ٤٩٥؛ والسيوطبي، طبقات الحفاظ: ج ١، ص ٩٠.

(٤) يُنظر: الذهببي، سير أعلام النبلاء: ج ٧، ص ٢٠٦.

(٥) يُنظر: ناجي، د. عبد الجبار، إسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريجية حتى القرن الرابع الهجري، (ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد / ١٩٩٠ م): الصفحات جميعها.

ابن طرخان، البصري^(١) (١٤٣٥هـ / ٧٦٠م)^(٢)، رواها ابنه المعتمر بن سليمان^(٣) (ت ١٧٨٤هـ / ٧٩٤م)^(٤).

وفي الطبقات كان أول من صنف في البصرة المؤرخ البصري محمد بن سعد^(٥) (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، صاحب كتاب: **الطبقات الكبرى**^(٦)، وفي التاريخ المحلي كان الحسن البصري^(٧) (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م) أول من صنف في تاريخ مكة، أو فضائل مكة^(٨)، أمّا أبو عبيدة معاشر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)، فإنه أول من صنف في

(١) سليمان بن طرخان، التّيمي، أبو المعتمر، توفي (١٤٣هـ). ابن سعد، **الطبقات**: ج ٧، ص ٢٥٢.

(٢) ورد اسم الكتاب بـ(كتاب في السيرة)، يُنظر: **الصالحي الشامي**، سُبل الهدى والرشاد: ج ٣، ص ٢٠٦؛ وورد باسم: (المغازي)، يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، **السيرة النبوية**، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٦م): ج ٤، ص ٥٠٦؛ والبداية والنهاية: ج ٥، ص ٢٧٥.

(٣) المعتمر بن سليمان بن طرخان، التّيمي، أبو محمد (ت ١٨٧هـ)، خليفة بن خيّاط، **الطبقات**: ص ٣٨٧.

(٤) يُنظر: **الطهراوي**، **الذرّيعة**: ج ٢١، ص ٢٩٢؛ والزركلي، **الأعلام**: ج ٧، ص ٢٦٥، وكحالة، **معجم المؤلفين**: ج ١٢، ص ٣٠٤.

(٥) محمد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله، مولىبني هاشم، كاتب الواقدي، كان من أهل الفضل والعلم، وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة، والتّابعين، والخالفين إلى وقته، فأجاد وأحسن، توفي سنة (٢٣٠هـ). الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**: ج ٢، ص ٣٦٩، ٣٧٠.

(٦) يُنظر: ابن النديم، **الفهرست**: ص ١١١.

(٧) يُنظر: الحسن البصري، الحسن بن يسار (ت ١١٠هـ)، فضائل مكة والسكن فيها، (تحقيق: سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح - الكويت، ١٤٠٠هـ).

تاریخ البصرة^(١)، وأبو عبیدة نفسه هو أول من صنف كتاب: (قضاة البصرة)^(٢). وجاء: أن علي بن زید بن جدعان^(٣) (ت ١٢٩، أو ١٣١ هـ، ٧٤٦ م)، كان من روی أخباراً تخص الإمام علي بن أبي طالب^(٤)، وهو أحد رواة حادثة الغدیر^(٥)، ويمكن عده من أوائل رواة أخبار الشیعه في البصرة.

وكان محمد بن صالح البصريي، المعروف بابن النطاح^(٦) (ت ٢٥٢ هـ، ٨٦٦ م)، صاحب كتاب (الدوله) أول من صنف في أخبارها كتاباً^(٧)، وكان عمر بن أبي

(١) يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٥٩.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ص ٥٩؛ وينظر: نصوص من روایاته الضائعة، سلمى عبد الحميد الهاشمي، أخبار القضاة لوكيع: ص ١١٣-١١٨.

(٣) علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة، من ولد عبد الله بن جدعان، القرشي، البصري، المكفوف، يكنى بأبي الحسن، وهو من أوعية العلم، وفيه تشیع، توفي سنة ١٢٩ هـ أو ١٣١ هـ، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٤٨٨، ٤٠٢؛ والذهبی، تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ١٤١.

(٤) الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن علي (ت ٦٨٥ هـ)، المناقب (تحقيق: الشيخ مالک المحمودي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي - قم / ١٤١٤ هـ): ص ١٥٥؛ والأمين، أعيان الشیعه: ج ١، ص ٢٩١، ٣٦٥.

(٥) أبو عبد الله، محمد بن صالح بن مهران، النطاحي، البصري، مولىبني هاشم، من أهل البصرة، قدم بغداد، كان أخبارياً ناسباً راویة للسیر، توفي سنة ٢٥٢ هـ، يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٢، ص ٢٣٢، ٤٣٣؛ والسمعاني، الأنساب: ج ٥، ص ٥٠٥؛ والبغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (دار إحياء التراث العربي - بيروت / د.ت): ج ٢، ص ١٥.

(٦) يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٢، ص ٤٣٢؛ والسمعاني، الأنساب: ج ٥، ص ٥٠٥؛ والمزي، تهذيب الكمال: ج ٢٥، ص ٣٨٣؛ والبغدادي، هدية العارفين: ج ١، ص ٤٥١.

عمر، الأَزْدِي^(١)، أَوْلُ مَنْ صَنَفَ كِتَابًا: (الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ)^(٢).

- أَوَّلُ الْقُصَاصِ وَمَعْبُرِي الرُّؤْيَ

نَشَطَتْ فِي الْبَصْرَةِ مُجَالِسُ الْقُصَاصِ وَالتَّذْكِيرِ مِنْذُ وَقْتٍ مُبْكِرٍ، فَكَانَ أَوْلُ مَنْ قَصَّ فِيهَا الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ، التَّمِيمِيُّ (ت ٤٢ هـ / ٦٦٢ م)^(٣)؛ إِذْ كَانَ يُذَكَّرُ وَيُقْصَّ فِي مَؤْخَرِهِ مَسْجِدُ الْبَصْرَةِ^(٤).

وَيَبْدُوا أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ سَرِيعٍ كَانَ يُغَالِي فِي إِثْرَةِ مَشَاعِرِ النَّاسِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ الْأَصْوَاتَ كَانَتْ تَرْفَعُ فِي مَجْلِسِهِ، فَجَاءَ مَجَاشِعَ بْنَ مُسْعُودَ السَّلْمِيِّ، فَرَحَّبَ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجُلوسَ بِقَرْبِهِ، فَقَالَ مَجَاشِعٌ: «مَا جَئْتُ لِأَجْلِسَ، وَإِنْ كُنْتُمْ جَلَسَاءَ صَدِيقٍ، وَلَكُنْ عَلْتُ أَصْوَاتُكُمْ فَاشْتَهَرْتُمْ أَهْلَ الْمَسْجَدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمَا أَنْكَرَ الْمُسْلِمُونَ رَحْمَكُمُ اللَّهُ»، فَأَجَابَ الْأَسْوَدُ، قَائِلًاً: «رَحْمَكُ اللَّهُ، نَقْبُلُ نَصِيْحَتَكَ»^(٥)، وَقِيلَ: إِنَّ مَجَاشِعًا، قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ لِنَجْلِسَ، وَلَكُنْ رَأَيْتُكُمْ

(١) عمر بن أبي عمر بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، الأَزْدِيُّ، يُنْظَرُ: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٤، ص ٤٧٠.

(٢) يُنْظَرُ: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٤، ص ٤٦٩-٤٧٠.

(٣) الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ بْنُ حَمِيدٍ بْنُ عَبَّادٍ، التَّمِيمِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، تَوْفَّى يَوْمَ الْجَمْلِ (٣٦ هـ)، وَقِيلَ: بَقَى إِلَى أَيَّامِ مَعاوِيَةَ، وَقِيلَ: تَوْفَّى سَنَةً (٤٢ هـ)، يُنْظَرُ: ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتِ: ج ٧، ص ٤١-٤٢؛ وَالْبَخَارِيُّ، التَّارِيخُ الْكَبِيرُ: ج ١، ص ٤٤٥؛ وَالتَّارِيخُ الصَّغِيرُ: ج ١، ص ١١٤؛ وَابْنُ حَبَّانُ الْبَسْتَيِّ، مَشَاهِيرُ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ: ص ٦٧؛ وَالْطَّوْسِيُّ، الرَّجَالُ: ص ٢٥؛ وَالْتَّفَرْشِيُّ، نَفَدُ الرَّجَالِ: ج ١، ص ٢٣٦؛ وَابْنُ الْأَثِيرِ، أَلْسُنُ الْعَابَةِ: ج ١، ص ٨٦.

(٤) يُنْظَرُ: ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتِ: ج ٧، ص ٤٢؛ وَابْنُ الْمَبَارِكَ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَبَارِكِ (ت ١٨١ هـ)، الزَّهْدُ، (تَحْقِيقُ: حَبِيبُ الرَّحْمَنِ الْأَعْظَمِيُّ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَلَمِيَّةِ - بَيْرُوتٌ / د.ت.): ج ١، ص ٢٣٢.

(٥) ابْنُ الْمَبَارِكَ، الزَّهْدُ: ج ١، ص ٢٣٣-٢٣٢.

صنتُماليوم شيئاً أنكره المسلمين، فإياكم وما أنكره المسلمين!»^(١).
كما بَرَزَ في البصرة تعبير الرؤيا، وُيمكِن أنْ نعدَ محمد بن سيرين^(٢) (ت ١١٠هـ)،
أشهرَ مَنْ برعَ في مجال تعبير الرؤيا^(٣)؛ إذ لمْ نجدَ مَنْ سبقَه في هذا المضمار، فقد
رويَ: أنَّ محمد بن سيرين مِنْ أشهرِ العلماء فيه، وكتب عنه في ذلك القوانين،
وتناولها الناس^(٤)، وكان ابن سيرين أولَ مَنْ صنف كتاباً في تعبير الرؤيا^(٥).

- الأوائل في الترجمة

تعود بدايات الترجمة إلى أيام الحكم الأموي (المواني)، إذ ظهر الاهتمام بترجمة
عددٍ من الكتب المصنفة بلغاتٍ أجنبية إلى اللغة العربية^(٦)، وفي البصرة كان أولَ
مَنْ ذُكِرَ أنه تولى عمل الترجمة هو (مسر جويه)^(٧)، الطبيب البصري المشهور؛ إذ

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص،
التحقيق: محمد الصباغ، ط ٢، المكتب الإسلامي - بيروت / ١٩٧٤م)؛ ج ١، ص ١٨٣.

(٢) محمد بن سيرين، الأنباري، أبو بكر، مولى أنس بن مالك، كان ثقةً مأموناً فقيهاً إماماً
كثير العلم ورعاً، أصله مِنْ سبي عين التمر، توفي سنة (١١٠هـ)، يُنظر: ابن سعد، الطبقات:
ج ٧، ص ١٩٣؛ والذهببي، تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٧٧-٧٨.

(٣) يُنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمي، المغربي (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، (دار
العودـة - بيـروـت / ١٩٨١م)؛ ص ٣٧٨؛ وابن تغـري بـرـديـ، التـجـوـمـ الزـاهـرـةـ: ج ١، ص ٢٦٨؛
ويُنظر: حسين علي القيسـيـ، طـبـيعـةـ المـجـتمـعـ العـراـقـيـ: ص ٢٠٧.

(٤) يُنظر: ابن خلدون، المقدمة: ص ٣٧٨.

(٥) يُنظر: محمد بن سيرين، أبو بكر الأنباري (ت ١١٠هـ)، منتخب الكلام في تفسير
الأحلام، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر / ١٩٤٠م).

(٦) يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٣٠٣.

(٧) مسر جويه: متطلب البصرة، كان يهوديًّا المذهب، سريانياً، عاصر حكامبني أمية، ترجم
في الطب من السريانية إلى العربية، وله مصنفات طبية، يُنظر: ابن أبي أصيبيعة، موفق الدين، أبو

تولى ترجمة كتاب: أهرن بن أعين^(١)، من السريانية إلى العربية في الدولة المروانية^(٢).

- الأَوَّلُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ

علم الكلام: هو علم لإثبات العقائد الدينية بغير ادحاج، ودفع الشبه، والغرض الذي من أجله وضع علم الكلام من علماء الإسلام، هو إقامة الحجّة المعتبرة من العقل والتّقليل بالتي هي أحسن، على أصول الدين، وعد علم الكلام من العلوم الضروريّة؛ لأنّه المتّكّل ببيان ما على المكلفين الالتزام به من النّاحية الاعتقاديّة، كما أنّ علم الفقه يتّكّل ما يجوز وما لا يجوز عليهم من النّاحية العمليّة، مع جواز التّقليد فيه^(٣).

وقيل: إنّ تسميته بعلم الكلام جاء لأنّه يمنحك رؤاده القدرة على الكلام والاستدلال، وقال البعض: إنّه سمي بذلك؛ لأنّ علماء هذا الفن كانوا يشرعون في كتبهم بكلمة الكلام في كلّها، وكانوا يكررونها، وقيل: لأنّ مباحثه عند أهل الحديث مما ينبغي السّكوت فيها، وقال آخرون: إنّ الوجه في التّسمية أنّ مسألة خلق كلام الله وعدمه لما احتمد فيها البحث والتّنزاع شغلت نقطة عطفٍ في هذا

العباس، أحمد بن القاسم، السعدي، الخزرجي (ت ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (تحقيق: د. نزار رضا - دار مكتبة الحياة - بيروت / د. ت): ج ١، ص ٢٣٢، ٢٣٤.

(١) أهرن القس: عمل كتاباً بالسريانية، وله من الكتب: كتاب الكناش، وجعله ثلاثين مقالة، يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٣٥٥.

(٢) يُنظر: ابن أبي أصيبيعة، عيون الأنباء: ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) يُنظر: المظفر، الشّيخ محمد حسن، دلائل الصدق لنهج الحق، (ط ١، تحقيق: مؤسسة آل البيت للإحياء التّراث - قم / ١٤٢٢هـ): ج ١، ص ١٧ - ١٩.

العلم، فُسُمِيَ على إثرها بعلم الكلام^(١).

ومن أهم المذاهب الكلامية: (الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة، المرجئة)^(٢)، وقد كانت البصرة موطنًا لفئات سكانية عديدة ومتعددة -كما مرّ بنا-، فأسهمَ ذلك في تفتح أذهان أهلها قبل غيرهم نحو أمورٍ عقليةٍ، والخوض في مجادلاتٍ كلاميةٍ، أسفر عنها نشأة العديد من الفرق الكلامية.

ومن الفرق التي برزت في البصرة فرقة القدرية^(٣)، وكان أول من قال بالقدر في البصرة هو: (عبد بن خالد الجهني)^(٤) (ت ٨٠ هـ / ٦٩٩ م)^(٥)، ويقال: إنه

(١) يُنظر: الحسيني اللواساني، السيد حسن، نور الأفهام في علم الكلام، (تحقيق: السيد إبراهيم اللواساني، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي - قم / ٤٢٥ هـ)؛ ج ١، ص ٦.

(٢) يُنظر: السيد حسن الحسيني، نور الأفهام: ج ١، ص ٦.

(٣) القدرية: من القدر، والقدر هو وجود الأفعال على مقدار الحاجة إليها والكافية لما فعلت من أجله، يُنظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية: ص ٤٢٢؛ والقدرية: قومٌ يُنسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء، وقال بعض متكلميهم: لا يلزمنا هذا اللقب؛ لأنّا ننفي القدر عن الله -عز وجل- ومن أثبته فهو أولى به، وهذا تمويهٌ منهم؛ لأنّهم يُثبتون القدر لأنفسهم؛ ولذلك سُموا، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٧٤-٧٥.

(٤) عبد بن خالد، ويقال: عبد بن عبد الله بن عويمر، ويقال: عبد بن عبد الله بن عكيم، من أهل البصرة، كان من الفقهاء، أول من تكلّم بالقدر في البصرة، قتله عبد الملك بن مروان سنة (٨٠ هـ)، وصلبه بدمشق، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩، ص ٣١٢، ٣١٤ / ٣٢٥.

(٥) يُنظر: البخاري، التاريخ الصغير: ج ١، ص ٢٣٦؛ ومسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، (دار الفكر - بيروت / د.ت): ج ١، ص ٢٨؛ وابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص ٤٨٤؛ وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٨، ص ٢٨٠؛ والبيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨)، السنن الكبرى، (دار الفكر - بيروت / د.ت): ج ١، ص ١٤٦؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩، ص ٣١٤؛ وابن الأثير، أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٩٠.

أخذ القول بالقدر عن رجل مِنَ الْأَسَاوِرَةِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو يُونُسُ سَنْسُوِيَّهُ^(١)، الْأَسَاوِرِيُّ^(٢)، وَجَاءَ: أَنَّ مَعْبُدًا الْجَهْنَمِيًّّ أَخْذَ هَذَا الرَّأْيَ مِنْ رَجُلٍ نَصْرَانِيًّّ يُقَالُ لَهُ (سَوْسَن)، أَسْلَمَ ثُمَّ تَنَصَّرَ^(٣).

وَهُنَاكَ مَنْ يَرِي أَنَّ الْأَسَاوِرِيًّّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقَدْرِ فِي الْبَصْرَةِ، وَأَنَّ مَعْبُدًا الْجَهْنَمِيًّّ أَخْذَ عَنْهُ^(٤)، وَيَبْدُو أَنَّ الْأَسَاوِرِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِالْقَدْرِ فِي الْبَصْرَةِ فَعَلَّا، إِلَّا إِنَّهُ لَمْ يُسْتَطِعْ نَشَرَ رَأْيِهِ، أَوْ الْجَهْرَ بِهِ، فَأَخْذَ عَنْهُ مَعْبُدَ الْجَهْنَمِيِّ، فَكَانَ الْجَهْنَمِيُّ هُوَ مَنْ جَهَرَ بِالْقَوْلِ بِالْقَدْرِ فِي الْأَسْلَامِ، وَنَشَرَ رَأْيِهِ فِي الْبَصْرَةِ؛ إِذْ قَيْلَ: إِنَّهُ حَيْنَا تَكَلَّمَ بِالْقَدْرِ سَلَكَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ مَسْلَكَهُ لَمَّا رَأَوْا عُمَرَ بْنَ عَبِيدَ^(٥) يَتَحَلَّهُ^(٦).

الكامل في التّارِيخ: ج ٤، ص ١٩٤؛ والذّهبيّ، سير أعلام النّبلاء: ج ٤، ص ١٨٥؛ والسبكيّ، طبقات الشّافعية الكبرى: ج ١، ص ١٠٩؛ وابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة: ج ١، ص ٢٠٦؛ والبسنوّيّ، محاضرات الأوائل: ص ١١٢.

(١) جاءَ أَنَّهُ (سَيْبُوِيَّهُ)، وَلَيْسُ (سَنْسُوِيَّهُ)، يُنْظَرُ: ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، لِسانُ الْمِيزَانَ: ج ٦، ص ٣٣٥.

(٢) يُنْظَرُ: ابْنُ النَّدِيمَ، الفَهْرَسُ: ص ٢٠١.

(٣) يُنْظَرُ: ابْنُ عَسَكَرَ، تارِيخِ مَدِينَةِ دَمْشَقَ: ج ٤٨، ص ١٩٢؛ وَابْنُ كَثِيرَ، الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ: ج ٩، ص ٣٤؛ وَابْنُ حَجْرِ الْعَسْقَلَانِيِّ، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ: ج ١، ص ٢٠٣.

(٤) يُنْظَرُ: ابْنُ النَّدِيمَ، الفَهْرَسُ: ص ٢٠٢؛ وَابْنُ حَجْرِ الْعَسْقَلَانِيِّ، لِسانُ الْمِيزَانَ: ج ٦، ص ٣٣٥.

(٥) عَمَرُو بْنُ عَبِيدِ بْنِ بَابَ، مُولَى بْنِ تَمِيمٍ، يَكْنَى بِأَبِي عُثْمَانَ، مُعْتَزِلِيٌّ صَاحِبُ رَأْيٍ، وَكَانَ يَحْدُثُ عَنْ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ، تَوْفَّى سَنَةً (١٤٤هـ)، وُدُفِنَ بِمَرْأَنَ، عَلَى لِيَالٍ مِنْ مَكَّةَ، عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ، يُنْظَرُ: ابْنُ سَعْدَ، الطَّبَقَاتُ: ج ٧، ص ٢٧٣.

(٦) يُنْظَرُ: ابْنُ حَبَّانَ الْبَسْتَيِّيَّ، مُحَمَّدُ بْنُ حَبَّانَ (ت ٤٣٥هـ)، الْمَجْرُوْحَيْنُ، (تَحْقِيقُ: مُحَمَّدٌ إِبْرَاهِيمٌ زَایدُ، مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ / د.ت.): ج ٣، ص ٣٦.

وبرز الإرجاء^(١) في البصرة خلال العصر الأموي، وكان حسان بن بلال ابن الحارث، المزني (ت حدود ١٠٠ هـ / ٧١٨ م)^(٢)، أول من أحدث الإرجاء في البصرة^(٣).

وكان عليّ بن إسماعيل، أبو الحسن، الميشمي (توفي حدود سنة ٤٦٤ هـ / ٨٦٤ م)^(٤)، أول من تكلّم على مذهب الإمامية في البصرة، وهو كوفي من ذرّة ميشم التمار،

(١) الإرجاء: التّأخير، والمرجئة: صنف من المسلمين، يقولون: «الإيمان قول بلا عمل»، لأنّهم قدّموا القول وأرجؤوا العمل، أي: آخروه؛ لأنّهم يرون أنّهم لو لم يصلوا ولم يصوّموا لنجّاهم إيمانهم، فهم يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وسمّوا: مرّجئة؛ لأن الله أرجأ تعذيبهم عن المعاصي، أي: آخره عنهم، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٨٤، ج ١٤، ص ٣١١؛ والمرجئة: هم الفرقة الجبرية، الذين يقولون: إن العبد لا فعل له، وإضافة الفعل إليه بمنزلة إضافته إلى المجازات، كجرى النهر، ودارت الرحا، وإنما سمّيت المجبرة مرّجئة؛ لأنّهم يؤخّرون أمر الله، ويرتكبون الكبائر. الطريحي، جمع البحرین: ج ١، ص ١٧٦.

(٢) ورد أنه حسان بن بلال بن الحارث، من مزينة مصر، من الثقات، يُنظر: ابن حبان البستي، الثقات: ج ٣، ص ٢٨.

(٣) ابن قتيبة الدّينوري، المعارف: ص ٢٩٨؛ وابن حبان البستي، الثقات: ج ٣، ص ٢٨-٢٩؛ والسيخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٢٩٠ هـ)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة، (دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٣ م): ج ١٠، ص ٢٢٠.

(٤) عليّ بن إسماعيل بن ميشم التمار، وميشم من أجلة أصحاب الإمام علي عليه السلام، أول من تكلّم على مذهب الإمامية. الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، يُنظر: الفهرست، تحقيق: د. جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ: ص ١٥٠؛ وابن شهرآشوب، أبو جعفر، محمد بن علي (ت ٨٥٨ هـ)، معالم العلماء، (قم/د.ت): ج ١، ص ١٣.

سكن البصرة^(١)، وقد صنف كتاباً في الإمامة سماه: (الكامل)^(٢).

ومدينة البصرة هي الموطن الذي نشأ فيه الفكر الاعتزالي^(٣)، فكان واصل ابن عطاء^(٤) (ت ١٣١ هـ / ٧٤٨ م) - أحد تلامذة الحسن البصري - أول من تكلم في الاعزال^(٥)، وذكر: أنه أول من سمي: معتزلياً؛ وذلك «لجانبته تقصير المرجئة

(١) يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٢٢٣؛ وابن شهرآشوب، معالم العلماء: ج ١، ص ١٣؛ والطوسيّ، الفهرست: ص ١٥٠؛ والتفرشيّ، نقد الرجال: ج ٣، ص ٢٣٢؛ وأبو داود الحلبي، الحسن بن عليّ (ت ٧٤٠ هـ)، رجال أبي داود، (تحقيق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية-النجف/١٩٧٢ م): ص ١٣٥؛ الميرزا التورى، الشیخ حسين التورى، الطبرسيّ (ت ١٣٢٠ هـ)، خاتمة مستدرک الوسائل، (تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث-قم/١٤١٦ هـ): ج ٤، ص ٤٧٦-٤٧٧.

(٢) الطوسيّ، الفهرست: ص ١٥٠؛ وابن شهرآشوب، معالم العلماء: ج ١، ص ١٣؛ التفرشيّ: نقد الرجال: ج ٣، ص ٢٣٢.

(٣) أساس نشأة الفكر الاعتزالي يعود إلى أصل المنزلة بين المترفين، فحينما خالف واصل بن عطاء أستاذة الحسن البصري حول مرتكب الكبيرة، قال واصل: إنّ مرتكب الكبيرة فاسق وليس كافراً، قال ذلك وخرج، وترك الحاضرين، واعتزلهم، ولحق به تلميذه وصهره عمرو ابن عبيد، فقال الحسن البصري: «اعزل عننا»، أو «اعزل لا قول الأمة»، فسمّوا المعتزلة، وبذلك أسس واصل مذهب الاعزال، يُنظر: السيد حسن الحسيني اللواساني، نور الأفهام: ج ١، ص ٨.

(٤) واصل بن عطاء، البصريّ، الغزال، المتكلّم، البلّيغ، المتشدق، أبو حذيفة، سمع من الحسن البصريّ وغيره، وكان من أجياله المعتزلة كبيرهم ورئيسهم، ولد سنة (٨٠ هـ) بالمدينة، ومات سنة (١٣١ هـ)، يُنظر: الصفديّ، الواقي: ج ٢٧، ص ٢٤٥؛ وابن حجر العسقلانيّ، لسان الميزان: ج ٣، ص ٩٤.

(٥) يُنظر: ابن عديّ، الكامل: ج ٥، ص ١٠٣؛ والعقيلّي، أبو جعفر، محمد بن عمرو (ت ٣٢٢ هـ)، ضعفاء العقيلّي، (تحقيق: عبد المعطي أمين قلعيجي، ط٢-بيروت/١٩٩٨ م):

وغلوّ الخوارج، وكلّ مَنْ نُبَزَّ بشيءٍ آنف منه، مثل الرّفض والجبر^(١).
وواصل بن عطاء أوّلَ مَنْ أَظْهَرَ القول بالمتزلة بين المترلتين^(٢)، ووُصف بأنه
شيخ المعتزلة^(٣)، وهو أوّلَ مَنْ أَلْفَ في الكلام، فقيل عنه: «لَمْ يُعْرَفْ فِي الإِسْلَامِ
كُتُبٌ كُتُبٌ عَلَى أَصْنَافِ الْمُلْحِدِينَ، وَعَلَى طَبَقَاتِ الْخَوَارِجِ، وَعَلَى غَالِيَّةِ الشِّيَعَةِ
وَالْمَشَايِعَيْنِ فِي قَوْلِ الْحَشُوَيْهِ»^(٤)؛ قبل كتب واصل بن عطاء،... وهو أوّلَ مَنْ قال:

ج٣، ص٢٨٥؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٦، ص١٠٥؛ والصفدي، الوافي: ج٢٧،
ص٢٤٥.

(١) أبو هلال العسكري، الأوائل: ص١١٦.

(٢) إنّ اعتقاد المعتزلة (أصل المترلة بين المترلتين) على أثر ما أبداه واصل بن عطاء، فإنه كان
حاضرًا عند أستاذه الحسن البصري، فطرحت مسألة حكم مرتكب الكبيرة، وهذه المسألة هي
محل خلاف بين الخوارج والمرجئة، فالخوارج يذهبون إلى أنّ مرتكب الكبيرة كافر، بينما ترى
المرجئة أنّه لا يضر بالإيمان؛ لأنّ الإيمان أمر قلبي، ولا يخدشه العمل الفاسد، ولما أجاب الحسن
البصري عن السؤال، قال واصل: إني أعتقد أنّ أهل الكبائر فساقٌ وليسوا كفاراً، فمرتكب
الكبيرة في منزلة بين منزلتين، بين الكفر والإيمان، ينظر: السيد حسن الحسيني اللواساني، نور
الأفهام: ج١، ص٧-٨.

(٣) ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ج٣، ص٩٤.

(٤) الحشوية: لقب تحقير أطلق على ذلك الفريق من أصحاب الحديث الذين اعتقدوا صحة
الأحاديث المسرفة في التجسيم من غير نقدٍ، بل فضّلواها على غيرها، وأخذوها بظاهر لفظها،
وهم الذين قالوا: إنّ الإيمان قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وجوز قوم
منهم على الأنبياء الكبائر، كالزنا واللواء، وغيرها من الأقوال واضحة البطلان، وذكر: أنّ
الخشوية هم الذين قالوا: إنّ طريقة معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل، فمن أهمّ
عناصر الموقف الحشوبيّ:

- ١- الاعتماد على النّصّ وحده طريقاً إلى المعرفة الاعتقادية، ورفض العقل وأدله.
- ٢- سوء فهم النّصوص الدينية، أو الاعتماد على الأحاديث الضعيفة، أو المدسوسة في السنّة

الْحَقُّ يُعْرَفُ مِنْ وِجُوهٍ: كِتَابٌ نَاطِقٌ، وَخَبْرٌ مُجَمَّعٌ عَلَيْهِ، وَحِجَّةٌ وَعُقْلٌ وَإِجْمَاعٌ،
...»^(١).

أَوَّلُ جَمَاعَةٍ اجْتَمَعَتْ عَلَى تَصْنِيفِ كِتَابٍ فِي أَنْوَاعِ الْحِكْمَةِ (جَمَاعَةُ إِخْوَانِ الصَّفَا وَخَلَانِ الْوَفَا)

إِخْوَانُ الصَّفَا: هُمْ جَمَاعَةٌ أَصْدِقَاءٌ وَأَصْفِيَاءٌ تَأَلَّفُوا فِي الْبَصْرَةِ أَوْاسِطَ الْقَرْنِ
الرَّابِعِ الْهِجْرِيِّ / الْعَاشِرِ المِيلَادِيِّ، وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ سَرًّا، يَتَبَاحِثُونَ فِي الْفَلْسَفَةِ
عَلَى أَنْوَاعِهَا^(٢)، فَصَنَّفُوا كِتَابًا فِي أَنْوَاعِ الْحِكْمَةِ الْأُولَى، وَرَتَّبُوهُ عَلَى إِحْدَى وَخَمْسِينَ
رِسَالَةً، خَمْسَوْنَ رِسَالَةً مِنْهَا فِي حَسِينَ نَوْعًا مِنْ الْحِكْمَةِ، وَالْحَادِيَةِ وَالْخَمْسُونَ جَامِعَةً
لِأَنْوَاعِ الْمَقَالَاتِ عَلَى طَرِيقِ الْأَخْتِصَارِ، وَهِيَ مَقَالَاتٌ مَشْوُّقَاتٌ غَيْرُ مُسْتَقْصَاءَ،
وَلَا ظَاهِرَةُ الْأَدَلَّةِ، وَكَانَهَا لِلتَّنْبِيهِ وَالْإِيمَاءِ إِلَى الْمَقْصُودِ الَّذِي يَحْصُلُ عَلَيْهِ الطَّالِبُ
لِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِكْمَةِ^(٣).

وَقَدْ طُبِّعَ الْكِتَابُ بِاسْمِ: (رَسَائِلُ إِخْوَانِ الصَّفَا) فِي: مصر، وَبُومَبَايِ، وَلَا يَسْبُكُ،
وَتُرْجِمَ إِلَى اللِّغَةِ الْفَارَسِيَّةِ، وَطُبِّعَ فِي لَندَنِ -أَيْضًاً-، وَشَمِلَتْ رَسَائِلَهُمْ: النَّظَرُ

لِلْاستِدَالِلَّالْ بِهَا فِي الْعَقَائِدِ.

٣- التَّزُوُّعُ إِلَى الْفَهْمِ الْحَرْفِيِّ لِتَلْكَ التَّصْوُصَ، مَا يُؤَدِّي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ.
يُنْظَرُ: الْكَثِيرِيُّ، السَّيِّدُ مُحَمَّدُ: السَّلْفِيَّةُ بَيْنَ أَهْلِ السَّنَّةِ وَالْإِمَامِيَّةِ، (ط١)، الْغَدِيرُ لِلطبَّاعَةِ وَالنَّشْرِ -
بِيروت/١٩٩٧م): ص ٤٥-٤٦.

(١) أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ١١٦.

(٢) يُنْظَرُ: سركيس، إيلان، معجم المطبوعات العربية، (مطبعة بهمن-قم، ١٤١٠هـ): ج ١،
ص ٤٠٩.

(٣) يُنْظَرُ: الققْطِيُّ، جمال الدِّين، أبو الحسن، عليّ بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، كتاب: إخبار العلماء
بأخبار الحكماء، (مكتبة المتبنّي - القاهرة/ د.ت.): ص ٥٨.

في مبادئ الموجودات، وأصول الكائنات، والأرض والسماء، ووجه الأرض وتغييراته، والكون والفساد، والسماء والعالم، وعلم النجوم، وتكوين المعادن، وعلم النبات، وأوصاف الحيوانات، ومسقط النقطة، وتركيب الجسد، والحسّ والمحسوس، والعقل والمعقول، والصنائع العلمية والعملية، والعدد وخواصه، والهندسة، والموسيقى، والمنطق وفروعه، واختلاف الأخلاق، وطبيعة العدد، وأنّ العالم إنسانٌ كبيرٌ، والإنسان عالم صغير، وماهية العشق، والبعث والنشور، وأجناس الحركات والعلل والمعلومات، والحدود والرسوم، وبالجملة ضمنها كل علم طبيعيٌّ، أو رياضيٌّ، أو فلسفياً، أو إلهيٌّ، أو عقليٌّ، وفيها بحث من قبيل: النشوء والارتقاء، وفي ذلك الكتاب فصل في كيفية عشرة إخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة. وقيل: إنَّ الغرض منها التعارض في الدين، وذكروا شروطاً لقبول الإخوان فيها، وغير ذلك^(١).

وقيل: إنَّ إخوانَ الصفا كتموا أسماءِهم، لكنَّ أبا حيانَ التّوحيدِيَّ^(٢)، لما سأله الوزير صمصاص الدّولة^(٣) عنهم، ذَكَرَ له أسماءَ جماعةٍ منهم، ومنْ هؤلاء الجماعة:

(١) يُنظر: الأمين، السّيّد محسن، أعيان الشّيعة: ج ٣، ص ٢٢٦، وينظر: إلياس سركيس، معجم المطبوعات العربية: ج ١، ص ٤٠.

(٢) أبو حيان التّوحيدِيَّ: عليٌّ بن محمد بن العباس، البغداديُّ، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية؛ إذ كان أدبياً نحوياً لغوياً وفلاسفةً، وُصف بأنه شيخ الصوفية، توفي سنة (٤٠٠هـ)، يُنظر: الذهبيُّ، سير أعلام النبلاء: ج ١٧، ص ١١٩؛ وابن الدّمياطيُّ، أبو الحسين، أحمد بن أبيك (ت ٧٤٩هـ)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية- بيروت/ ١٩٩٧م): ص ١٤٨؛ الزركليُّ، الأعلام: ج ٤، ص ٣٢٦.

(٣) صمصاص الدّولة، أبو كاليجار بن عضد الدّولة، اجتمع القواد على ولايته بعد وفاة أبيه عضد الدّولة، ونازعه الملك أخيه شرف الدّولة، أبو الفوارس، ودارت بينهما حروبٌ طاحنةٌ

(أبو سليمان، محمد بن مشعر، البستيّ، ويُعرف بالمقدسيّ، وأبو الحسن، عليّ بن هارون الزنجانيّ، وأبو أحمد المهرجانيّ، وزيد بن رفاعة، العوضيّ^(١)، فقيل: إنّهم كانوا يجتمعون في منزل أبي سليمان، وكان شيخهم، وإن لم يحُز شهرتهم^(٢).

ونظراً إلى كتمان أسمائهم، فقد اختلف النّاس في تحديد الجهة التي وضعوا رسائل إخوان الصّفا، ومن هُم؟ وكلّ قوم قالوا قولًا بطرق الحدّس والتّخيّن. فقوم قالوا: هي من كلام بعض الأئمّة من نسل الإمام علي^(٣)، وقال آخرون: هي من تصنيف بعض متكلّمي المعتزلة في العصر الأوّل^(٤)؛ إذ رُوي: أنّ المعتزلة كانوا يتّناقلون رسائل إخوان الصّفا ويتدارسونها، ويحملونها معهم سرّاً، فربّما كان هذا سبباً في نسبتها إليهم^(٤).

أمّا عن أسباب كتمان أسمائهم ومذهبهم فربّما يعود إلى ما يقال -آنذاك- من أنّ الانتساب إلى الفلسفة كان مرادفاً للانتساب إلى التعطيل، وشاعت النّقمة على المؤمن؛ لأنّه كان السبب في نقل الفلسفة إلى اللغة العربيّة، أو ربّما لأنّ كتابهم

دامت أربع سنوات انتهت بتغلّب شرف الدولة، وقتل صمّاصم الدّولة سنة (٣٨٨هـ)، يُنظر: ابن خلدون: تاريخ، ج ٤، ص ٤٥٦، ٤٦٧؛ ومغنيّة، محمد جواد، الشّيعة في الميزان، (ط ٤، دار التّعّارف للمطبوعات-بيروت/١٩٧٩م): ص ١٤٤.

(١) زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الماشميّ، أحد مؤلّفي رسائل إخوان الصّفا، كان في الرّيّ، وأقام في البصرة، واعتقد رأي الفلسفه، وُصف باتقاد الذهن والتبصر في الرّأي، توفي بعد سنة (٤٤٠هـ)، يُنظر: الزّركليّ، الأعلام: ج ٣، ص ٥٩.

(٢) يُنظر: إلياس سركيس، معجم المطبوعات العربيّة: ج ١، ص ٤١٠.

(٣) يُنظر: القفطيّ، أخبار العلماء: ص ٥٨؛ وإلياس سركيس، معجم المطبوعات العربيّة: ج ١، ص ٤١٠.

(٤) يُنظر: السيد محسن الأمين، أعيان الشّيعة: ج ٣، ص ٢٢٦.

هذا كتاب زندقة كما كانوا يرونـه -آنذاكـ، فخافوا إظهار أسمائهم، وأنْ يُؤخذوا بذلك ويُقتلوا^(١).

ويبدو أنّ موطن إخوان الصّفا في البصرة يعود إلى تفتح ذهنية أهل البصرة؛ إذ إنّهم أصحاب الريادة في الفلسفة وعلم الكلام وبقية علوم الحكمة، ما شجّع على ظهور جماعة إخوان الصّفا فيها.

- الأوائل في الطب

وردت العديد من الإشارات التي تؤكّد مدى تطوير علم الطب بفروعه المختلفة، ومنذ زمن مبكر في البصرة، ولعلّ أقدم وأول إشارة إلى من برع في الطب تعلّق بالحارود بن المعلى، العبدى^(٢) (ت ٦٤١ هـ / ٢١ م)، فقد ذكر الحسن البصريّ: أنّ الحارود بن المعلى كان بصيراً بالطب^(٣)، وبذلك يُمكن أن نعدّ الحارود أول طبيب في البصرة.

وقد توالّت الإشارات إلى وجود الأطباء في البصرة خلال القرن الأول الهجريّ، فقد رويَ: أنّ رجلاً دخل على محمد بن سيرين يشتكي مرضًا أصابه، فنصحه ابن سيرين بأنّ يُراجع أحد الأطباء، قائلًا له: «إئت فلاناً، فاستوصفه،

(١) يُنظر: السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٢٢٦.

(٢) الحارود بن المعلى، واسمه: بشر بن عمرو بن حنس بن المعلى، العبدى، من عبد القيس، والحارود لقب له، قدم من البحرين وافداً على رسول الله ﷺ، وكان سيد عبد القيس، ثم انتقل إلى البصرة، وقتل أيام عمر بن الخطاب (٢١ هـ)، يُنظر: ابن حبان البستيّ، مشاهير علماء الأوصاف: ص ٧٠؛ والمزيّ، تهذيب الكمال: ج ٤، ص ٤٧٩.

(٣) يُنظر: ابن كثير، السيرة النبوية: ج ١، ص ١٤٤؛ والبداية والنهاية: ج ٢، ص ٢٩١.

فإنه حسن العلم بالطب...»^(١)، وهنا يظهر توجّه النّاس للاستشفاء إلى الرّجال الصالحين والزّهاد في البصرة، إلّا إنّ ابن سيرين نصحه بمراجعة أحد الأطباء البارعين في علم الطّبّ، وما يؤسف له أنّ الرواية أهملت الإشارة إلى اسم ذلك الطّبيب، ولم تصرّح به.

وعند مراجعة كتاب: (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء)، الذي يحوي تراجم لأقدم الأطباء في العالم الإسلاميّ، وأهمّهم، وأشهرهم، يظهر أنّ أول إشارة عن أطباء البصرة كانت في العصر الأمويّ، بشأن الطّبيب (ماسرجويه) (توفي بعد سنة ١٠١ هـ/٧١٩ م)، طبيب البصرة المشهور، الذي برع في معالجة العديد من الحالات المرضيّة في البصرة، وهو أول طبيب بصريٍّ صنّف كُتُباً في الطّبّ، منها: كتاب في الغذاء، وآخر في العين^(٢).

وهناك إشارات باللغة الأهميّة بشأن تقديم الطّب في البصرة بفروعه المختلفة، وإنْ كانت تلك الإشارات حالياً من تحديد أسماء الأطباء، وعلى النحو الآتي:

طُبُّ الأَسْنَانِ

ورد في إحدى الروايات: أن الشاعر عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ/٧١١ م)^(٣)،

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ١٩٦.

(٢) يُنظر: ابن أبي أصيحة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء: ج ١، ص ٢٣٢، ٢٣٤.

(٣) عمر بن أبي ربيعة: عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة، المخزوميّ، القرشيّ، أبو حفص، كان يُفتَّ على عبد الملك، فيكرمه، غزا في البحر، فاحترقت السفينة به وبمن معه، فهات غرقاً سنة (٩٣ هـ)، وقد جاوز السبعين، يُنظر: كحالة، عمر، معجم المؤلفين، (بيروت/د.ت): ج ٧، ص ٢٩٤.

أتى الشّرّي^(١) يوماً، وكانت النّساء -آنذاك- يختمن في أصابعهن العشر، فخرجت إليه، فضربته بظاهر كفها، فأصابت الخواتيم ثيتيه العلّييَن، فغضبتا^(٢)، وكادتا تسقطان، فقدم البصرة، فubo لحتا له، فثبتتا واسودتا، فقال الحزين الكناني^(٣)، يعيّره بذلك، وكان عدوه، وقد بلغه خبره، قائلاً^(٤):

ما باُل سينكَ أم ما باُل كسرهما
أهكذا كُسرا في غير ما باسِ
أم نفحةٌ من فتاةٍ كنت تألفها
أم نالها وسط شُربٍ صدمة الكاسِ

ويظهر هنا مدى تطور طب الأسنان في البصرة منذ وقت مبكر، ووجود أطباء أكفاء، أو ربما طبيب مشهور في طب الأسنان، ما دفع ذلك عمر بن أبي ربيعة التوجّه نحو البصرة دون غيرها من البلاد الإسلامية، إلا إنّ الرواية لم تصرّح باسم ذلك الطبيب الذي عالجه.

(١) الشّرّي بنت عبد الله بن الحارث، ويقال: بنت عليٍّ بن عبد الله بن الحارث، أو هي بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس، القرشية، وصفت بالجمال، وكان عمر بن أبي ربيعة يعشقها ويقول الشّعر فيها، تزوجت وتحولت من مكة إلى الشّام، يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ٨١-٨٣.

(٢) الغض: التحرّك والاضطراب، وغضّتُ أسناني: أي: قلقتُ وتحرّكتُ، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ٢٣٨.

(٣) الحزين الكناني: عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، أبو الحكم، الديلي، الكناني، والحزين لقب غلب عليه، حجازيُّ الموطن من شعراء السّلطة الأمويَّة، كان هجّاءً خبيث اللّسان، يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٥، ص ٣١٣.

(٤) يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٥، ص ٢٣٠.

طِبُّ الْعَيْنِ

وَرَدَ فِي ذِكْرِ (خِرْقَاءِ الْعَامِرِيَّةِ)^(١)، الَّتِي كَانَتْ كَحَّالَةً، وَقِيلَ: إِنَّهَا عَالِجَتْ عَيْنَ السَّاعِرِ ذِي الرُّمَّةِ^(٢) مِنْ رَمِّدٍ كَانَ بِهَا فَرَالٌ^(٣).

طِبُّ الْأَذْنِ

فِي مَعَالِجَةِ الْأَذْنِ، ذُكِرَ: أَنَّ حَصَّاً دَخَلَتْ فِي أَذْنِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ، فَعَالَجَهَا الْأَطْبَاءُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى صَمَاهِهِ، فَذَهَبَ إِلَى رَجُلٍ صَالِحٍ، فَدَعَا لَهُ بَدْعَاءِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَشُفِيَ^(٤)، وَذُكِرَ أَنَّ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيَّ دَعَا حِينَ خَاصَّ الْبَحْرَ: «اللَّهُمَّ، يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ»^(٥).

وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَؤَكِّدُ وُجُودَ أَطْبَاءَ لَدِيهِمْ مَعْرِفَةً فِي مَعَالِجَةِ أَمْرَاضِ الْأَذْنِ فِي

(١) خِرْقَاءُ: إِحْدَى نِسَاءِ بْنِي عَامِرَ بْنِ رِبِيعَةَ، كَانَتْ تَأْتِي فَلْجَاهُ، وَيَمْرُّ بِهَا الْحَاجُّ، فَتَقْعُدُ لَهُمْ وَتَحَادِثُهُمْ وَتَهَادِيهِمْ، وَكَانَتْ تَقُولُ: أَنَا مَنْسِكٌ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجَّ، وَكَانَ الشَّاعِرُ ذُو الرُّمَّةِ يَتَشَبَّهُ بِهَا، يُنْظَرُ: أَبُو الْفَرْجِ الْأَصْفَهَانِيُّ، الْأَغَانِيُّ: ج١٨، ص٤١-٤٣.

(٢) ذُو الرُّمَّةِ: اسْمُهُ: غِيلَانُ بْنُ عَقبَةَ، التَّيْمِيُّ، يُكَنِّي بِأَبِي الْحَارِثِ، وَذُو الرُّمَّةِ لَقْبُهُ بِهِ مِيَّةُ، وَكَانَ قُدْ اجْتَازَ بِخَبَائِهَا، وَهِيَ جَالِسَةٌ إِلَى جَنْبِ أُمَّهَا، فَاسْتَسْقَاهَا مَاءً، فَقَالَتْ لَهَا أُمَّهَا: قَوْمِي فَاسْقِيَ، أَوْ إِنَّهَا قَالَتْ: يَا خِرْقَاءُ، وَالخِرْقَاءُ: الَّتِي لَا تَعْمَلُ بِيَدِهَا شَيْئًا لِكَرَامَتِهَا عَلَى قَوْمِهَا، فَقَامَتْ فَأَتَتْهُ بِالْمَاءِ، وَكَانَتْ عَلَى كَتْفِهِ رُمَّةٌ، وَهِيَ قَطْعَةٌ مِنْ حَبْلٍ، فَقَالَتْ: «اَشْرُبْ يَا ذَا الرُّمَّةِ»، فَلُقِّبَ بِذَلِكَ، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ يُصْبِيَهُ فِي صَغْرِهِ فَرْعَ، فَكُتِّبَتْ لَهُ تَقِيمَةٌ، فَعَلَّقَهَا بِحَبْلٍ، فَلُقِّبَ بِذِي الرُّمَّةِ، تَوَقَّيَ أَيَّامَ حُكْمِ هَشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، يُنْظَرُ: أَبُو الْفَرْجِ الْأَصْفَهَانِيُّ، الْأَغَانِيُّ: ج١٨، ص٥٦-٤٧.

(٣) يُنْظَرُ: أَبُو الْفَرْجِ الْأَصْفَهَانِيُّ، الْأَغَانِيُّ: ج١٨، ص٤١.

(٤) يُنْظَرُ: الْأَبْشِيَّهِيُّ، الْمُسْتَطْرِفُ: ج٢، ص٥٣٦.

(٥) ابْنُ أَبِي شِيفَةَ الْكَوْفِيِّ، الْمُصْنَفُ: ج٧، ص١٣٠.

البصرة، وفي الوقت نفسه تؤكّد توجّه النّاس -آنذاك- نحو الزّهاد والصالحين للترّك بدعائهم كوسيلة للاستشفاء مِنَ الأمراض.

علم الحيوان

علم الحيوان هو علم باحث عن أحوال خواص أنواع الحيوانات وعجائبها، ومنافعها ومضارّها، و موضوعه: جنس الحيوان البري والبحري، والماشي، والزاحف، والطّائر، وغير ذلك، والغرض منه: التداوي، والانتفاع بالحيوانات، والاحتماء عن مضارّها، والوقوف على عجائب أحوالها، وغرائب أفعالها^(١).

وعند متابعة أخبار علماء البصرة للوقوف على بدايات اهتمامهم بعلم الحيوان، ظهر أنّ أولَ مَنْ أظهر الاهتمام بهذا العلم في البصرة (إياس بن معاوية، المزني) (ت ١٢١ هـ / ٧٣٨ م)، فقد أدلت المصادر بالعديد من الإشارات الرائعة التي تؤكّد معرفة إياس بأحوال الحيوانات وأوضاعها، وعجائبها، تلك المعرفة التي عزّزت بمشاهداته، وإخضاعه بعض الحيوانات للتجربة والمراقبة، ووصفه العلمي الدقيق لخواصها ومنافعها وعجائبها، أمثل: (الكلب، والدّيك، والسمك، القمل^(٢)، وغيرها^(٣)، وقد صنف المدائني (ت ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م) كتاباً بعنوان:

(١) يُنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ج ١، ص ٦٩٥.

(٢) القمل: بضم القاف وتشديد الميم: صغار الذر، والدب الذي لا أجنحة له، والقمل، بالفتح والسكن، معروف، يُنظر: الزبيدي، تاج العروس: ج

(٣) يُنظر: سلمى عبد الحميد، الهاشمي، أخبار القضاة، لوكيع: ص ٨٣.

(ذكر إيس)^(١)، كشفت رواياته عن مدى براعة إيس في علم الحيوان^(٢)، وربما يكون إيس قد صنف كتاباً في الحيوان، إلا إن المتصادر لم تصرح بذلك، فكان أول كتاب صنف في الحيوان ذلك الذي صنفه أبو عبيدة معمر بن المنى (ت ٢٠٨ هـ، أو ٩٢٠ هـ / ٨٢٤ م، أو ٤٨٢ م)^(٣)، غير أن هذا الكتاب في عِدَاد المفقودات، وأول كتاب في الحيوان سلم من نوائب الزَّمن، ووصل إلينا هو كتاب: (الحيوان)، للجاحظ (ت ٥٥٥ هـ / ٨٦٨ م).

علم النجوم

علم النجوم هو علم يُعرف للاستدلال على حوادث عالم الكون والفساد بالتشكيلات الفلكية، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب، كالمقارنة، والمقابلة، والتسلیث، والتسلیس، والتربیع، إلى غير ذلك، وينقسم على ثلاثة أقسام: حسابيات، وطبيعيات، ووهیمات^(٤).

وقد بُرِزَ اهتمام العرب في مجال النجوم والأفلاك؛ لما لها من أهمية في حياتهم وتجارتهم، وبهذا الشأن رُوي عن الرسول ﷺ قوله: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون».

(١) يُنظر: الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، النيسابوري (ت ٥٨١ هـ)، مجمع الأمثال، (المطبعة الرضوية المقدسة/ د.ت): ج ١، ص ٣٣٩؛ وحاجي خليفة، كشف الظنون: ج ٢، ص ٩٥٥؛ وسمّاه ابن النديم: كتاب (أخبار إيس بن معاوية)، يُنظر: الفهرست: ص ١١٧. والرَّكَنُ: التَّفَرَّسُ، والظَّنُّ، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١٣، ص ١٩٨.

(٢) سلمى عبد الحميد، الهاشمي، أخبار القضاة، لوكيغ: ص ٧٩-٨٠.

(٣) يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٥٨-٥٩.

(٤) يُنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ج ٢، ص ١٩٣٠.

وإذا ذهبَ أهلُ بيتي أتى أهلَ الأرضِ ما يكرهونَ^(١)، وقوله «إنَّ مَثَلَ الْعَلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدِي بِهَا فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انطَمَسَتِ النُّجُومُ، أَوْشَكَ أَنْ تَضَلَّ الْهُدَةُ»^(٢).

ومن الّذين برعوا في علم النّجوم بالبصرة (دغفل النّسبة) (ت ٦٥ هـ / ٦٨٤ م)؛ ونظرًا إلى علو منزلته في العلم، فقد بعث إليه معاوية بن أبي سفيان، فسألته عن النّجوم، وكلّفه أنْ يتولّ تعليم ولده يزيد النّجوم، فضلاً عن الأنساب^(٣). وكان أول من ألف كتاباً في الأنواء^(٤) بالبصرة العالم: (مؤرج السدوسي) (ت ١٩٥ هـ / ٨١٠ م)، وعرف كتابه باسم: «الأنواء في علم السماء»^(٥).

(١) المجلسي، محمد باقر (ت ١١١ هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: محمد باقر البهبودي، و عبد الرحيم الربّاني، (مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م): ج ٢٣، ص ١٩.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مستند أحمد بن حنبل، (دار صادر - بيروت / د.ت): ج ٣، ص ١٥٧.

(٣) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٧، ص ٢٩١-٢٩٢؛ وابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ١٣٢؛ والمزيّ، تهذيب الكمال: ج ٨، ص ٤٨٩.

(٤) يُنظر: ابن قتيبة الدّينوري، المعارف: ص ١٨، (مقدمة المحقق)، ابن التّديم، الفهرست: ص ٤؛ وابن خلّakan، وفيات الأعيان: ج ٥، ص ٣٠.

(٥) البغدادي، هدية العارفين: ج ٢، ص ٤٢٦.

الخاتمة

الخاتمة

خير ما أختتم به هذا البحث المتواضع أنْ أتوجّه بالشّكر لله - جلَّ وعلا - على عظيم فضله، ووافر نعمه، وعونه، وتوفيقه، ولنبيه الكريم محمد ﷺ، وأُوجز في أدناه بعض التّنتائج التي تم التّوصل إليها:

أولاًً: تُعدّ البصرة مدينة الأوائل؛ إذ إنّ ربوعها شهدت إرساء العديد من النّظم والمؤسّسات، وقد بُرِزَ فيها أوائل الأوائل من الإسهامات التي ابتكرها ووضع أُسسها رجالاتٌ من أعلام البصرة، ليس على صعيد البصرة فقط، بل على صعيد العالم الإسلاميّ.

ثانياً: ظهر أنَّ أغلب حالات الريادة والسبق التي برزت في البصرة كانت تمثّل الجانب الإيجابيّ، مقارنةً بالحالات والظواهر السلبية.

ثالثاً: كَشَفَ البحث عن أنَّ للبصرة وأهلها الفضل الكبير في خدمة التّطوير الحضاريّ في العالم الإسلاميّ، فمن البصرة انتقلت العديد من الإسهامات والمبتكرات إلى مختلف أرجاء البلاد الإسلاميّة.

رابعاً: في الوقت الذي كانت فيه البصرة خلال العصور الإسلاميّة على درجةٍ من التقدّم والرقيّ والنّضوج، وفي الأصعدة كافة: الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والإداريّة، والفكريّة، فإنَّ البصرة كانت تفوق غيرها من مدن العالم الإسلاميّ في مقدار ما حلَّ بها من بلاءات وويلات؛ لما تعرَّضتُ إليه من هجمات وكوارث وأمراض، وما تحملَّ أهلها من معاناة، بسبب ما تعرَّضتُ إليه من خرابٍ وتدميرٍ

وتهجير، إِلَّا إِنَّ الْبَصْرَةَ كَانَتْ تَنْهَضُ فِي أَعْقَابِ كُلِّ حَرْبٍ، أَوْ هَجْمَةٍ، أَوْ كَارِثَةٍ،
وَتَعُودُ أَقْوَى وَأَكْثَرَ مَا سَبَقَ، وَسَتَبْقَى الْبَصْرَةُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - سَبَاقَةً فِي مُخْتَلَفِ
الْمِيَادِينِ الْعُلْمَيَّةِ وَالْحَضَارَيَّةِ.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاًً: المصادر الأولية.

- القرآن الكريم.

- الأ بشيئي، شهاب الدين، محمد بن أحمد، أبي الفتح (ت ٨٥٠ هـ).

١- المستطرف في كل فن مستطرف، (تحقيق: مفید محمد قمیحة، ط ٢، دار الكتب العلمية-بيروت / ١٩٨٦ م).

- ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ).

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، (دار الكتاب العربي-بيروت / د.ت).

٣- الكامل في التاريخ، (تحقيق: عبد الله القاضي، ط ٢-بيروت / ١٤١٥ هـ).

٤- الباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر-بيروت / د.ت).

- ابن الأثير، مجذ الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد، الجزري (ت ٦٠٦ هـ).

٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمد محمد الطناحي، ط ٤، بيروت / ١٩٧٩ م).

- ابن الأثير، أبو الفتح، ضياء الدين، محمد بن نصر الله بن محمد (ت ٦٢٢ هـ).

٦- المثل السائر، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد-بيروت / ١٩٩٥ م).

- ابن إدريس الحلبي، أبو جعفر، محمد بن منصور (ت ٥٩٨ هـ).

٧- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، (ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي-

قم / ١٤١٠ هـ).

- الإدريسي، محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠ هـ).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ط١، عالم الكتب-بيروت/١٩٨٩ م).
- ابن الأزرق، أبو عبد الله، محمد بن علي بن محمد، الأزرق، الغرناطي، الأندلسبي، المالكي (ت ٨٩٦ هـ).
- بدائع السّلك في طبائع الملك، (تحقيق: د. علي سامي النّشار، ط١، وزارة الإعلام-العراق/د.ت).
- الأسنوي، جمال الدين، عبد الرحيم (ت ٧٧٢ هـ).
- طبقات الشافعية، (تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٨٧ م).
- الأشرف الغساني، إسماعيل بن العباس (ت ٨٠٧ هـ).
- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، (تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار التّراث الإسلامي-بيروت/١٩٧٥ م).
- ابن أبي أصيبيعة، موفق الدين، أبو العباس، أحمد بن القاسم، السّعدي، الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ).
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة-بيروت/د.ت).
- البخاري، أبو عبد الله، إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ).
- التّاريخ الصّغير، (تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، دار المعرفة-بيروت/١٤٠٦ هـ).
- التّاريخ الكبير، (المكتبة الإسلامية، ديار بكر-تركيا/د.ت).

- البُسْنَوِيُّ، الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ دَدَهُ، السَّكْتُوْرَامِيُّ (تُوْفِيَ بَعْدَ سَنَةِ ٩٩٨ هـ).
- مَحَاضِرُ الْأَوَّلَى وَمَسَامِرُ الْآخِرَةِ، (ط١، المطبعة العامرة الشرفية/ ١٤١١ هـ).
- الْبَغْدَادِيُّ، عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ عَمْرٍ (ت١٠٩٣ هـ).
- خِزَانَةُ الْأَدْبِ، (تَحْقِيقُ: مُحَمَّدٌ نَبِيلٌ طَرِيفِيٌّ وَأَمِيلٌ بَدِيعُ الْيَعْقُوبِيٌّ، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت/ ١٩٩٨ م).
- الْبَغْدَادِيُّ، أَبُو مُنْصُورٍ، عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ت٤٢٩ هـ).
- الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ، (ط٢، دار الآفاق الجديدة- بيروت/ ١٩٧٧ م).
- الْبَلَادِرِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ (ت٢٧٩ هـ).
- أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ، (حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ: د. سَهْيَلُ زَكَارٍ، وَد. رِيَاضُ زَرْكَلِيٌّ، دار الفكر- بيروت/ د.ت).
- الْبَلْدَانُ وَفَتوَحُهَا وَأَحَامِكُهَا، (حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ: د. سَهْيَلُ زَكَارٍ، ط١، بَيْرُوت / ١٩٩٢ م).
- الْبَهْوَقِيُّ، الشَّيْخُ مُنْصُورُ بْنُ يُونَسٍ (ت١٠٥١ هـ).
- كَشْفُ الْفَنَاعِ، (تَحْقِيقُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدٌ حَسَنُ الشَّافِعِيُّ، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت/ ١٩٩٧ م).
- الْبَيْهَقِيُّ، الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ (ت٣٢٠ هـ).
- الْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِئُ، (وَضَعَ حَوَاشِيهُ: عَدْنَانُ عَلَيٌّ، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت/ ١٩٩٩ م).
- الْبَيْهَقِيُّ، أَبُو بَكْرٍ، أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ (ت٤٥٨ هـ).
- السِّنَنُ الْكَبِيرُ، (دار الفكر- بيروت/ د.ت).

- التّفتازاني، سعد الدّين، مسعود بن عمر (ت ٧٩٢ هـ).
- ٢٣- مختصر المعاني (ط١، مطبعة قدسي-قم ١٤١١ هـ).
- التّفرشى، مصطفى بن الحُسين (ت ق ١١ هـ).
- ٢٤- نقد الرّجال، (مؤسسة آل البيت للإحياء التّراث-قم ١٤١٨ هـ).
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن، يوسف الأنابكي (ت ٨٧٤ هـ).
- ٢٥- النّجوم الزّاهرة في أخبار مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي-مصر/د.ت).
- التّنوخي، أبو علي، المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ).
- ٢٦- الفرج بعد الشّدة (مطبعة أمير-قم ١٣٦٤ هـ).
- ٢٧- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، (تحقيق: عبود الشّاجي المحامي / ١٩٧٣ م).
- التّعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ).
- ٢٨- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، (دار المعارف-القاهرة/د.ت).
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ).
- ٢٩- البخلاء، (تحقيق: أحمد العوامري بك، وعلي الجارم بك، دار الكتب العلمية-بيروت ٢٠٠١ م).
- ٣٠- البيان والتّبيين، (تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب-بيروت/د.ت).
- ٣١- الحيوان (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل-بيروت ١٩٩٦ م).
- ٣٢- رسائل الجاحظ-رسالة طبقات المغنين، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة الخانكي-مصر ١٩٧٩ م).
- ٣٣- العثمانية، (شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل-

بيروت/د.ت).

- ابن أبي جمهور، الأحسائي، الشّيخ محمد بن علي (ت ٨٨٠ هـ).
- عوالي الّاء العزيزية في الأحاديث الدينية، (تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي)، ط ١، مطبعة سيد الشهداء-قم/١٩٨٣ م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ).
- صفة الصّفوة، (ط ٢، تحقيق: محمود فاخوري، ود. محمد رواسي قلعة جي، دار المعرفة-بيروت/١٩٧٩ م).
- المدهش، (تحقيق: د. مروان قباني، ط ٢، دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٨٥ م).
- المتنظم في تاريخ الملوك والأمم، (ط ١، دار صادر-بيروت/١٣٥٨ هـ).
- الجوهرى، أبو بكر، أحمد بن عبد العزيز (ت ٣٢٣ هـ).
- السقيفة وفدلها، (جمع وتحقيق: د. الشّيخ محمد هادي الأميني، ط ٢، شركة الكتبى للطباعة والنشر-بيروت/١٩٩٣ م).
- الجوهرى، أبو نصر، إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣ هـ).
- الصّحاح، (تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط ٤، دار العلم للملايين-بيروت/١٩٨٧ م).
- ابن أبي حاتم، الرّازى، أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ).
- الجرح والتّعديل، (ط ١، حيدر آباد الدّكّن-الهند/١٩٥٢ م).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ٦٧٠ هـ).
- كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، (دار إحياء التّراث العربي-بيروت/د.ت).

- ابن حبان البستي، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٤٣٥ هـ).
- الثقات، (ط ١، حيدر آباد الدكن- الهند / ١٣٩٣ هـ).
- المجر و حين (تحقيق: محمود إبراهيم زايد- مكة المكرمة / د. ت.).
- مشاهير علماء الأمصار، (تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط ١، المنصورة / ١٤١١ هـ).
- ابن حبيب، محمد بن حبيب، البغدادي (ت ٢٤٥ هـ).
- المحبر (مطبعة الدائرة / ١٣٦١ هـ).
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة، (تحقيق: الشیخ عادل أحمد عبد الموجود، ط ١- بيروت / ١٤١٥ هـ).
- تقريب التهذيب، (دراسة و تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت / ١٩٩٥ م).
- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعى الكبير، (دار الفكر- بيروت / د. ت.).
- تهذيب التهذيب، (ط ١، دار الفكر- بيروت / ١٩٨٤ م).
- لسان الميزان، (تحقيق: دائرة المعرفة النظامية، ط ٣، مؤسسة الأعلمى- بيروت / ١٩٨٦ م).
- ابن أبي الحميد، أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ).
- شرح نهج البلاغة، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية- بيروت / ١٩٥٩ م).
- الحرافي، أبو عروبة، الحسين بن أبي معشر (ت ٣١٨ هـ).

- الأوائل، (تحقيق: مشعل بن باني الجبريت المطيري، ط١، دار ابن حزم- بيروت/٢٠٠٣م).
- ابن حزم الأندلسيّ، عليّ بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ).
- جمهرة أنساب العرب، (تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت/١٩٨٣م).
- الحسن البصريّ، الحسن بن يسار (ت ١١٠هـ).
- فضائل مكّة والسكن فيها، (تحقيق: سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح- الكويت/١٤٠٠هـ).
- الحصريّ القيرواني، إبراهيم بن عليّ (ت ٤٥٣هـ).
- زهر الآداب وثمر الألباب، (تحقيق: د. زكي مبارك، وزاد فيه وشرحه: محمد محى الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجليل- بيروت/١٩٧٢م).
- الخلبيّ، برهان الدين، عليّ بن إبراهيم (ت ١٠٤٤هـ).
- السيرة الخلبية، (دار المعرفة- بيروت/١٤٠٠هـ).
- ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت ٥٦٢هـ).
- التذكرة الحمدونية، (تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، ط١، دار صادر- بيروت/١٩٩٦م).
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).
- مسند أحمد بن حنبل، (دار صادر- بيروت/د.ت).
- أبو حنيفة الدينوريّ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ).
- الأخبار الطّوال، (إعداد وتحقيق وفهرسة: د. عمر فاروق الطبّاع، دار القلم- بيروت/د.ت).

- ابن حوقل، محمد بن أحمد، المقدسي (ت ٣٦٧هـ).
- ٦٠ - أحسن التقاسيم في معرفة الأفاليم، (تحقيق: غازي طليبات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق / ١٩٨٠م).
- الخزرجي، الأنصارى، صفي الدين، أحمد بن عبد الله (ت ٩٢٣هـ).
- ٦١ - خلاصة تذهيب الكمال، (قدم له ونشره: عبد الفتاح أبو غدة، ط٤، دار البشائر الإسلامية - بيروت / ١٤١١هـ).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ).
- ٦٢ - تاريخ بغداد، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - بيروت / ١٩٩٧م).
- الخطيب التبريزى، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله (ت ٧٤١هـ).
- ٦٣ - الإكمال في أسماء الرجال، (تحقيق: أبوأسد الله بن عبد الله الأنصارى، مؤسسة أهل البيت للطباعة - قم المقدسة / د.ت).
- الخطيب القزويني، جلال الدين، محمد بن أبي عبد الله (ت ٧٣٩هـ).
- ٦٤ - الإيضاح في علوم البلاغة والمعانى والبيان والبديع، (مطبعة أمير - قم / ١٤١١هـ).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمي (ت ٨٠٨هـ).
- ٦٥ - تاريخ ابن خلدون، (ط٥، دار القلم - بيروت / ١٩٨٤م).
- ٦٦ - المقدمة، (دار العودة - بيروت / ١٩٨١م).
- ابن خلّكان، أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ).
- ٦٧ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت / د.ت).
- ابن خيّاط، خليفة بن خيّاط (ت ٢٤٠هـ).

- ٦٨ - تاريخ خليفة بن خيّاط، (تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت/د.ت).
- ٦٩ - الطبقات، (تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر-بيروت/١٩٩٣م).
- الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد (ت ٥٦٨هـ).
- ٧٠ - المناقب، (تحقيق: الشیخ مالک المحمودی، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامية-قم/١٤١٤هـ).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، السجستاني (ت ٢٧٥هـ).
- ٧١ - سنن أبي داود، (تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت/١٩٩٠م).
- أبو داود الحلي، الحسن بن علي (ت ٧٤٠هـ).
- ٧٢ - رجال أبي داود، (تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية-النجف/١٩٧٢م).
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر، عبد الله بن محمد (ت ٢٨١هـ).
- ٧٣ - إصلاح المال، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١-بيروت/١٤١٤هـ).
- ابن الدّمياطي، أبو الحسين، أحمد بن إيمك (ت ٧٤٩هـ).
- ٧٤ - المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٩٧م).
- الدّميري، كمال الدين، محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ).
- ٧٥ - حياة الحيوان الكبرى، (ط ١، دار مكتبة الهلال-بيروت/د.ت).
- الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ).
- ٧٦ - تاريخ الإسلام، (تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب

- العربيّ-بيروت/١٩٨٧م).
- تذكرة الحفاظ، (دار إحياء التراث العربيّ-بيروت/د.ت).
- سير أعلام النبلاء، (أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرناؤوط، ط٩، مؤسسة الرسالة-بيروت/١٩٩٣م).
- العبر في خير مَنْ غير، (تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط٢، مطبعة حكومة الكويت/١٩٨٤م).
- الكاشف في معرفة مَنْ له رواية في كتب السنّة، (تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة/١٩٩٢م).
- معرفة القراء الكبار، (تحقيق: بشار عواد معروف، وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة-بيروت/٤١٤٠هـ).
- الراغب الأصبغاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ).
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (تحقيق: عمر الطباع، دار القلم-بيروت/١٩٩٩م).
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي، الحسن بن رشيق، الأزدي (ت ٤٥٦هـ).
- العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده، (تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية-بيروت/٢٠٠١م).
- الزبيدي، أبو بكر، محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ).
- طبقات النحوين واللغويين، (تحقيق: أحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف-مصر/١٩٧٣م).
- الزمخشري، أبو القاسم، محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ).
- أساس البلاغة، (دار ومطبع الشعب-القاهرة/١٩٦٠م).

- ٨٦- ربيع الأبرار ونصول الأخبار، (تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي-بيروت/١٩٩٢م).
- ٨٧- الفائق في غريب الحديث، (ط١، دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٩٦م).
- ابن زنجويه، حميد بن زنجويه (ت ٢٥١هـ).
- ٨٨- الأموال، (تحقيق: شاكر ذيب فياض، ط١-الرّياض/١٩٨٦م).
- السُّبْكِي، أبو نصر، عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ).
- ٨٩- طبقات الشافعية الكبرى، (تحقيق: محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢-دار هجر/١٤١٣هـ).
- السّخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ).
- ٩٠- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة، (دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٩٣م).
- ابن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ).
- ٩١- الطبقات الكبرى، (دار صادر-بيروت/د.ت).
- ابن سلام الجمحى، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ).
- ٩٢- طبقات فحول الشّعراء، (تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدنى-جدة/د.ت).
- السمعانى، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ).
- ٩٣- الأنساب، (تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان للطباعة والنشر-بيروت/١٩٨٨م).
- ابن سيدة، أبو الحسن، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ).
- ٩٤- المخصص، (تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي-بيروت/د.ت).
- السيوطي، جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ).

- بغية الوعاة، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان- صيدا/د.ت).
- تاريخ الخلفاء، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة- مصر/١٩٥٢م).
- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، (تحقيق: محمد الصباغ، ط٢، المكتب الإسلامي- بيروت/١٩٧٤م).
- الجامع الصغير، (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت/١٩٨١م).
- سبب وضع علم العربية، (تحقيق: مروان العطية، ط١، دار الهجرة، بيروت- دمشق/١٩٩٨م).
- لب الألباب في تحرير الأنساب، (دار صادر- بيروت/د.ت).
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت/١٩٩٨م).
- ابن شاذان، الفضل بن شاذان، الأزدي (ت ٢٦٠هـ).
- الإيضاح، (تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني،الأرموي، انتشارات- طهران/١٩٦٣م).
- ابن شاكر الكتبى، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ).
- فوات الوفيات، (تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت/١٩٧٤م).
- ابن شاهين، عمر بن شاهين (ت ٣٨٥هـ).
- تاريخ أسماء الثقات، (تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، دار السلفية- تونس/١٤٠٤هـ).
- ابن شبة النميري، عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ).

- ١٠٥ - أخبار البصرة، (جمع ودراسة وتحقيق: د. سلمى عبد الحميد الهاشمي)، مراجعة وضبط: مركز تراث البصرة-العتبة العباسية المقدّسة، دار الكفيل للطباعة والنشر/ ٢٠١٥م).
- ١٠٦ - تاريخ المدينة المنورة، (تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطبعة قدس- قم/ ١٤١٠هـ).
- ١٠٧ - ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، الكوفي (ت ٢٣٥هـ).
- ١٠٨ - كتاب الأدب، (تحقيق: محمد رضا القهوجي، ط١، دار البشائر الإسلامية-بيروت/ ١٩٩٩م).
- ١٠٩ - المصنّف، (تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر-بيروت / ١٩٨٩م).
- ١١٠ - ابن شهرآشوب، أبو جعفر، محمد بن علي (ت ٨٨٥هـ).
- ١١١ - معالم العلماء، (قم/ د.ت).
- ١١٢ - الشهيد الثاني، زين الدين العاملی (ت ٩٦٥هـ).
- ١١٣ - مسالك الأفهام إلى تنقیح شرائع الإسلام (ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية-قم/ ١٤١٩هـ).
- ١١٤ - الشيرازي، إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ).
- ١١٥ - طبقات الفقهاء، (تحقيق: خليل الميس، دار القلم-بيروت/ د.ت).
- ١١٦ - الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ).
- ١١٧ - سبل الهدى والرشاد، (تحقيق وتعليق: الشیخ عادل أحمد عبد الموجود، والشیخ علی محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت/ ١٩٩٣م).
- ١١٨ - الصدوق، الشیخ أبو جعفر، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ).

- ١١٣ - المقنع، (تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، قم / ١٤١٥ هـ).
- الصّفديّ، صلاح الدين، خليل بن أبيك (ت ٧٦٤ هـ).
- ١١٤ - الوافي بالوفيات، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ-بيروت / د.ت).
- الصّناعيّ، أبو بكر، عبد الرّزّاق بن همام (ت ٢١١ هـ).
- ١١٥ - المصنّف، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظميّ، د.م / د.ت).
- أبو طالب المكيّ، محمد بن عليّ بن عطية، الحارثيّ (ت ٣٨٦ هـ).
- ١١٦ - قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التّوحيد، (تحقيق: باسل عيون السّود، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت / ١٩٩٧ م).
- الطبرانيّ، أبو القاسم، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ).
- ١١٧ - المعجم الأوسط، (تحقيق: قسم التّحقيق بدار الحرمين / ١٩٩٥ م).
- الطبرانيّ، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).
- ١١٨ - تاريخ الرّسل والملوك، (مراجعة وتصحيح: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسّسة الأعلميّ-بيروت / د.ت).
- ١١٩ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تقديم: الشّيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق: صدقى جميل العطار، دار الفكر-بيروت / ١٩٩٥ م).
- الطبرانيّ الشّيعيّ، محمد بن جرير بن رستم، (توفيّ أوائل القرن الرابع المجريّ).
- ١٢٠ - المسترشد في إمامية أمير المؤمنين عليه السلام (تحقيق: الشيخ أحمد المحموديّ، ط ١، مؤسّسة الثقافة الإسلامية-قم / د.ت).

- الطريحي، فخر الدين (ت ١٠٨٥ هـ).
- ١٢١ - مجمع البحرين، (ط ٢، طراوت / ١٣٦٢ ش).
- الطهري، آغا بزرگ (١٣٨٩ هـ).
- ١٢٢ - الدرية إلى تصانيف الشيعة، (ط ٣، دار الأضواء- بيروت / ١٩٨٣ م).
- الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ).
- ١٢٣ - رجال الطوسي، (تحقيق: جواد القمي، الأصفهاني، قم / ١٤١٥ هـ).
- ١٢٤ - الفهرست، (تحقيق: د. جواد القمي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي / ١٤١٧ هـ).
- ابن طيفور، أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر، البغدادي (ت ٢٨٠ هـ).
- ١٢٥ - بلاغات النساء، (مكتبة بصيرتي- قم المقدسة / د.ت.).
- ابن أبي عاصم، أبو بكر، أحمد بن عمر بن الضحاك (ت ٢٨٧ هـ).
- ١٢٦ - الآحاد والثانوي، (تحقيق: جاسم فيصل أحمد الجوابرة، ط ١ ، دار الدرية للطباعة- الرياض / ١٩٩١ م).
- العصامي المكي، عبد الملك بن حسين (ت ١١١١ هـ).
- ١٢٧ - سمط النجوم العوالي، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت / ١٩٩٨ م).
- ابن عبد البر، النمرى، أبو عمرو، يوسف بن عبد البر، القرطبي (ت ٤٦٣ هـ).
- ١٢٨ - الاستذكار، (تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، ط ١ ، دار الكتب العلمية- بيروت / ٢٠٠٠ م).
- ١٢٩ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١ ، دار الجليل- بيروت / ١٤١٢ هـ).

- ابن عبد ربّه، الأندلسّي، أحمد بن محمد (ت ٣٢١ هـ).
- ١٣٠ - العقد الفريد، (ط ٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٩٩ م).
- أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ).
- ١٣١ - الأموال، (تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر - بيروت ١٩٨٨ م).
- أبو عبيد البكريّ، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ).
- ١٣٢ - معجم ما استعجم، (تحقيق: مصطفى السقا، ط ٢، عالم الكتب - بيروت ١٩٨٣ م).
- ابن عديّ، عبد الله بن عديّ، الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ).
- ١٣٣ - الكامل، (تحقيق: يحيى مختار الغزاوي، ط ٣، دار الفكر - بيروت ١٩٨٨ م).
- ابن عساكر، أبو القاسم، عليّ بن الحسين (ت ٥٧١ هـ).
- ١٣٤ - تاريخ مدينة دمشق، (تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت ١٤١٥ هـ).
- ابن العديم، كمال الدين، عمر بن أحمد بن جراده (ت ٦٦٠ هـ).
- ١٣٥ - بُغية الطلب في تاريخ حلب، (تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر / د.ت.).
- ابن العربيّ، محمد بن أبي بكر (ت ٤٣ هـ).
- ١٣٦ - العواصم من القواصم، (تحقيق: محب الدين الخطيب، ط ٢ - جدة / ١٣٨٧ هـ).
- العقيليّ، أبو جعفر، محمد بن عمرو (ت ٣٢٢ هـ).
- ١٣٧ - الضيّفاء، (تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط ٢، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٨ م).

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩ هـ).
- شدرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، (تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، دار ابن كثير-دمشق / ١٤٠٦ هـ).
- أبو عمر الدّاني، عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ).
- المحكم في نقط المصاحف، (تحقيق: د. عزّة حسن، ط ٢، دار الفكر- دمشق / ١٤٠٧ هـ).
- العيني، أبو محمد، محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ).
- عمدة القارئ، (دار إحياء التراث العربي- بيروت / د.ت).
- الغزالى، أبو حامد، محمد بن محمد (ت ٥٥٠ هـ).
- إحياء علوم الدين، (دار المعرفة- بيروت / د.ت).
- ابن فارس، أبو الحُسين بن فارس بن زكريّا (ت ٣٩٥ هـ).
- معجم مقاييس اللغة، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي / ١٤٠٤ هـ).
- أبو الفدا، عياد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ).
- المختصر في أخبار البشر، (دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت / د.ت).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ، أو ١٧٥ هـ).
- كتاب العين، (تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ط ٢، دار الهجرة- إيران / ١٤٠٩ هـ).
- أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحُسين (ت ٣٥٦ هـ).
- الأغاني، (دار إحياء التراث العربي / د.ت).
- مقاتل الطالبيين، (تقديم: كاظم المظفر، ط ٢، المكتبة الحيدريّة- النّجف

الأشرف / ١٩٦٥ م).

- الفسوسي، أبو يوسف، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ).

- ١٤٧ - المعرفة والتاريخ، (تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية-

بيروت / ١٩٩٩ م).

- ابن الفقيه الهمданى، أحمد بن محمد (ت ٤٠ هـ).

- ١٤٨ - البلدان، (تحقيق: يوسف الهاדי، ط ١، عالم الكتب للطباعة والنشر-

بيروت / ١٩٩٦ م).

- الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ).

- ١٤٩ - البلغة في تراجم أئمّة النّحو واللغة، (تحقيق: محمد المصريّ، ط ١، جمعيّة إحياء التّراث الإسلاميّ - الكويت / ١٤٠٧ هـ).

- ابن قتيبة الدينوريّ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ).

- ١٥٠ - الإمامة والسياسة، (تحقيق: عليّ شيري، منشورات الشّريف الرّضيّ -

بيروت / ١٩٩٠ م).

- ١٥١ - الشّعر والشّعراء، (تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة / ٢٠٠٦ م).

- ١٥٢ - عيون الأخبار، (ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت / ٢٠٠٢ م).

- ١٥٣ - غريب الحديث، (تحقيق: عبد الله الجبورى - مطبعة العاني - بغداد / ١٣٩٧ هـ).

- ١٥٤ - المعارف، (تحقيق: د. ثروت عكاشه، دار المعارف - مصر / ١٩٦٩ م).

- ابن قدامة، عبد الله بن قدامة (ت ٦٢٠ هـ).

- ١٥٥ - المغني، (دار الكتاب العربيّ - بيروت / د.ت).

- القرشيّ، يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ).
- ١٥٦ - كتاب الخراج، (تحقيق: د. حسين مؤنس، ط١، دار الشروق- القاهرة/١٩٨٧ م).
- القرطبيّ، عريب بن سعد (ت ٣٢٠ هـ).
- ١٥٧ - صلة تاريخ الطبرىّ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت/د.ت).
- القفطىّ، جمال الدين، أبو الحسن، عليّ بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ).
- ١٥٨ - إخبار العلماء بأخبار الحكام، (مكتبة المتنبي- القاهرة/د.ت).
- ١٥٩ - إنباء الرؤاة على أنباء النّحاة، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المطبعة العصرية، صيدا- بيروت /٢٠٠٤ م).
- القلقشنديّ، أحمد بن عليّ (ت ٨٢١ هـ).
- ١٦٠ - صبح الأعشى في صناعة الإنسا، (تحقيق: د. يوسف علي طويل، ط١، دار الفكر- دمشق/١٩٨٧ م).
- ١٦١ - مآثر الإنافة في معالم الخلافة، (تحقيق: عبد السّتّار أحمد فرّاج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت- الكويت/١٩٨٥ م).
- القميّ، عليّ بن بابويه (ت ٣٢٩ هـ).
- ١٦٢ - فقه الرّضا، (ط١، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التّراث للله عليه السلام- قم/١٤٠٦ هـ).
- ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ).
- ١٦٣ - الطُّبُّ النّبويّ، (مراجعة وتقديم: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية- بيروت/د.ت).
- ١٦٤ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، (تحقيق: د. محمد جميل غازي،

- مطبعة المدنى-القاهرة/د.ت).
- ابن كثير، أبو الفدا، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).
- ١٦٥ - البداية والنهاية، (مكتبة المعارف-بيروت/د.ت).
- ١٦٦ - السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة-بيروت/١٩٧٦م).
- الكحلاوي، محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ).
- ١٦٧ - سُبل السَّلام، (مراجعة وتعليق: الشَّيخ محمد عبد العزيز الخولي، ط٤- مصر/١٩٦٠م).
- الكليني، أبو جعفر، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ).
- ١٦٨ - الكافي، (تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفارىي، ط٣، دار الكتب الإسلامية-طهران/١٣٨٨هـ).
- المازندراني، الشَّيخ محمد صالح، الحائري (ت ١٠٨١هـ).
- ١٦٩ - شرح أصول الكافي، (تحقيق وتعليق: الميرزا أبي الحسن الشُّعراني، صحيحه: السيد علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي-بيروت/٢٠٠٠م).
- ابن ماكولا، أبو نصر، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ).
- ١٧٠ - إكمال الكمال، (دار الكتاب الإسلامي-القاهرة/د.ت).
- الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ).
- ١٧١ - أدب القاضي، (تحقيق: محى هلال السّرحان، جامعة بغداد/١٩٦٩م).
- ابن المبارك، عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ).
- ١٧٢ - الزُّهد، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية-بيروت/د.ت).

- المتّقي الهنديّ، عليّ بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ).
- ١٧٣ - كنز العمال، (تحقيق: الشّيخ بكر حياني، مؤسّسة الرّسالة-بيروت/ ١٩٨٩م).
- المجلسيّ، محمد باقر بن محمد تقى (ت ١١١١هـ).
- ١٧٤ - بحار الأنوار، تحقيق: محمد باقر البهبوديّ، و عبد الرحيم الربّاني، (مؤسّسة الوفاء، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- مجهول، مؤلّف.
- ١٧٥ - أخبار الدّولة العباسية، (تحقيق: د. عبد العزيز الدّوريّ، ود. عبد الجبار المطّلي، دار صادر-بيروت/ د.ت).
- مجهول، مؤلّف.
- ١٧٦ - مختصر الأخبار البّياعية، (تحقيق: الأب د. بطرس حدّاد، مطبعة الديوان، بغداد/ ٢٠٠٠م).
- مجهول، مؤلّف.
- ١٧٧ - الحوادث الجامعية والتجارب النافعة في المائة السابعة، المنسوب لابن الفوطيّ، (تحقيق: بشّار عوّاد معروف، ود. عبد السلام رؤوف، مطبعة شريعت- قم/ ١٤٢٦هـ).
- محمد بن سيرين، أبو بكر الأنصاريّ (ت ١١٠هـ).
- ١٧٨ - منتخب الكلام في تفسير الأحلام، (مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده-مصر/ ١٩٤٠م).
- أبو مخنف، لوط بن يحيى، الأزديّ (ت ١٥٧هـ).
- ١٧٩ - مقتل الحسين عليه السلام، (تحقيق وتعليق: حسين الغفاري، المكتبة العلمية-

قم/د.ت).

- المزيّ، جمال الدين، أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ).

١٨٠ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (تحقيق وتعليق: د. بشّار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة-بيروت/١٩٩٢م).

- المسعوديّ، أبو الحسن، عليّ بن الحسين (ت ٣٤٦هـ).

١٨١ - التنبيه والإشراف، (دار صعب-بيروت/د.ت).

- مسكونيه، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ).

١٨٢ - تجارب الأمم، (تحقيق: د. أبو القاسم إمامي، ط١، دار سروش/٢٠٠٠م).

- مسلم القشيريّ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ).

١٨٣ - صحيح مسلم، (دار الفكر-بيروت/د.ت).

- المقدسيّ، المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ).

١٨٤ - البدء والتاريخ، (مكتبة الثقافة الدينية-بور سعيد/د.ت).

- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ).

١٨٥ - لسان العرب، (قم/١٤٠٥هـ).

- الميدانيّ، أبو الفضل، أحمد بن محمد النيسابوريّ (ت ٥٨١هـ).

١٨٦ - مجمع الأمثال، (المطبعة الرضوية المقدسة/د.ت).

- ابن ناصر الدين الدمشقيّ، شمس الدين محمد (توفي في القرن التاسع المجريّ).

١٨٧ - توضيح المشتبه، (تحقيق: محمد نعيم العرقاوي، بيروت/١٩٩٣م).

- ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٨٥هـ).

- ١٨٨ - الفهرست، (تحقيق: رضا تجدد-قم / د.ت).
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ).
- ١٨٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ط ٢، دار الكتاب العربي- بيروت / ١٤٠٥ هـ).
- النّوويّ، محي الدين شرف (ت ٦٧٦ هـ).
- ١٩٠ - تهذيب الأسماء واللغات، (تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ط ١، دار الفكر- بيروت / ١٩٩٦ م).
- النّويريّ، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ).
- ١٩١ - نهاية الأرب في فنون الأدب، (مطبعة كوستانتسو ماس-القاهرة / د.ت).
- أبو هلال العسكريّ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ).
- ١٩٢ - الأوائل، (تحقيق: محمد السيد الوكيل- المدينة المنورة / ١٩٦٦ م).
- ١٩٣ - جمهرة الأمثال، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط ٢، دار الجليل- بيروت / د.ت).
- ١٩٤ - الفروق اللغوية، (تحقيق: مؤسسة النّشر الإسلامي- قم / ١٤١٢ هـ).
- ١٩٥ - المصنون في الأدب، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت / ١٩٦٠ م).
- الهمدانيّ، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ).
- ١٩٦ - تكملة تاريخ الطبرىّ، (تحقيق: إلبرث يوسف كنعان، ط ٢، المطبعة الكاثوليكية- بيروت / ١٩٦١ م).
- الهمشميّ، نور الدين، عليّ بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ).

- ١٩٧ - مجمع الزوائد، (دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٨٨م).
- الوطواط، أبو إسحاق، برهان الدين الكتبى (ت ٨١٨هـ).
- ١٩٨ - غُرر الخصائص الواضحة وعُرر النقائض الفاضحة، (دار صعب- بيروت/د.ت).
- ابن أبي الوفا، عبد القادر بن أبي الوفا، القرشى (ت ٧٧٥هـ).
- ١٩٩ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (دار النشر: مير محمد كتب خانة- كراتشي/د.ت).
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان، الضّبّي (ت ٣٠٦هـ).
- ٢٠٠ - أخبار القضاة، (صحّحه وعلّق عليه: عبد العزيز مصطفى المراغي، عالم الكتب-بيروت/د.ت).
- اليافعي، أبو محمد، عبد الله بن أسعد، اليمني (ت ٧٦٨هـ).
- ٢٠١ - مرآة الجنان وعبرة اليقطان، (دار الكتاب الإسلامي-القاهرة/ ١٩٩٣م).
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ).
- ٢٠٢ - معجم الأدباء، (ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت/١٩٩١م).
- ٢٠٣ - معجم البلدان، (قدم له: محمد عبد الرحمن، المرعشلي، ط ١، دار إحياء التراث العربي-بيروت/٢٠٠٨م).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ).
- ٢٠٤ - تاريخ اليعقوبي، (دار صادر-بيروت/د.ت).
- أبو يعلى الحنبلي، محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢١هـ).
- ٢٠٥ - طبقات الحنابلة، (دار المعرفة-بيروت/د.ت).

- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ).
- ٢٠٦ - الخراج، (القاهرة / ١٣٤٦ هـ).
ثانياً: المراجع الحديثة.
- الأمين، السيد محسن (ت ١٣٧١ هـ).
- ٢٠٧ - أعيان الشيعة، (تحقيق: حسن الأمين، دار التعاون-بيروت/د. ت).
- الأميني، الشيخ عبد الحسين بن أحمد (ت ١٣٩٢ هـ).
- ٢٠٨ - الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، (دار الكتاب العربي-بيروت/د.ت).
- البغدادي، إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩ هـ).
- ٢٠٩ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنّفين، (دار إحياء التراث العربي-بيروت/د.ت).
- التونسي، د. محمد.
- ٢١٠ - المعجم الذهبي-فارسي/ عربي، (بيروت / ١٩٦٩ م).
- الحسيني اللواساني، السيد حسن.
- ٢١١ - نور الأفهام في علم الكلام، (تحقيق: السيد إبراهيم اللواساني، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي-قم / ١٤٢٥ هـ).
المحصنة، رائد حمود.
- ٢١٢ - الحسبة في الإسلام، نشأتها وتطورها، (دار الصفاء للطباعة-عمان/ ٢٠١٢ م).
- ٢١٣ - نشأة السجون وتطورها في الدولة العربية الإسلامية، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة-كلية الآداب / ٢٠٠٢ م).

- الحلفي، صبيح نوري خلف.
- ٢١٤ - نساء البيت الأموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الأموي، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة-كلية الآداب/٢٠٠٦م).
- الخوئي، السيد أبو القاسم (ت ١٤١١هـ).
- ٢١٥ - معجم رجال الحديث وتصنيف طبقات الرواية، (ط٥، د.م/١٩٩٢م).
- الخوئي، حبيب الله (ت ١٣٢٤هـ).
- ٢١٦ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، (تحقيق: سيد إبراهيم المياحي، المطبعة الإسلامية-طهران/د.ت).
- الدبراوي، مكي عبد اللطيف.
- ٢١٧ - دير الدهدار بين القرننة والبصرة، (مطبعة البهاء-البصرة/٢٠٠٦م).
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ).
- ٢١٨ - تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: علي شيري، دار الفكر-بيروت/١٩٩٤م).
- الزركلي، خير الدين (ت ١٤١٠هـ).
- ٢١٩ - الأعلام، (دار العلم للملائين-بيروت/١٩٨٠م).
- الزبيدي، سامي جودة بعيد.
- ٢٢٠ - تجاوزات السلطة في فرض وتنفيذ العقوبات، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة-كلية الآداب/٢٠١٢م).
- سركيس، يوسف إليان (ت ١٣٥١هـ).
- ٢٢١ - معجم المطبوعات العربية والمعربة، (مطبعة بهمن-قم/١٤١٠هـ).

- السّلميّ، د. إبراهيم جَدْوَع الشّيخ محسن (معاصر).
- ٢٢٢ - إمارة البطائح العربية، دراسة في أحوالها السياسيّة والفكريّة منذ القرن الرابع الهجريّ / العاشر الميلادي حتّى منتصف القرن السابع الهجريّ / الثاني عشر الميلاديّ، (ط١، النّجف الأشرف / ٢٠١٤ م).
- السّهّاويّ، الشّيخ محمد (هـ ١٣٧٠).
- ٢٢٣ - إبصار العين في أنصار الحُسْنَى، (تحقيق: الشّيخ محمد جعفر الطّبسيّ، ط١، مطبعة حرس الثّورة الإسلاميّة - طهران / ١٤١٩ هـ).
- الشّاكري، الحاج حسين.
- ٢٢٤ - نشوء المذاهب والفرق الإسلاميّة، (ط١، المطبعة: ستارة - قم / ١٤١٨ هـ).
- العزّاويّ، رنا سليم شاكر (معاصر).
- ٢٢٥ - الحياة الفكريّة في العراق خلال القرن الثامن الهجريّ / الرابع عشر الميلاديّ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة - كلية الآداب / ٢٠١٣ م).
- العلي، د. صالح أحمد (ت ٢٠٠٣ م).
- ٢٢٦ - التنظيمات الاجتماعيّة والاقتصاديّة في البصرة في القرن الأوّل الهجريّ (ط٢، دار الطّليعة - بيروت / ١٩٦٩ م).
- ٢٢٧ - خطط البصرة ومناطقها، (مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ - بغداد / ١٩٨٦ م).
- العلي، فيصل أحمد كاظم.
- ٢٢٨ - نصارى العراق، دراسة في أحوالهم العامّة في العصر العبّاسيّ (١٣٢ هـ ٧٤٩ - ١٢٥٨ م)، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة - كلية

- الآداب / ٢٠١١م).
- فتح الله، د. أحمد.
- ٢٢٩ - معجم ألفاظ الفقه الجعفري، (ط١، مطبع المدخل-الدمام / ١٩٩٥م).
- القيسى، حسين علي.
- ٢٣٠ - طبيعة المجتمع العراقي في العصر العباسي المتأخر، دراسة تاريخية-اجتماعية (٤٤٧-٤٦٥٦هـ / ١٠٥٥-١٢٥٨م)، (ط١-بغداد / ٢٠٠٧م).
- الكتاني، الشيخ عبد الحفيظ الأدرسي، الفاسي.
- ٢٣١ - نظام الحكومة النبوية، المسمى الترتاتيب الإدارية، (دار إحياء التراث العربي-بيروت / د.ت).
- الكثيري، السيد محمد.
- ٢٣٢ - السلفية بين أهل السنة والإمامية، (ط١، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت / ١٩٩٧م).
- كحالة، عمر رضا (ت ١٩٨٧م).
- ٢٣٣ - معجم المؤلفين، (بيروت / د.ت).
- الكناني، مصطفى سالم حازم.
- ٢٣٤ - جريمة التزوير في الكتب الرسمية في الدولة العربية الإسلامية، دراسة تاريخية، (رسالة ماجستير، جامعة البصرة-كلية الآداب / ٢٠١٤م).
- المازندراني، السيد موسى الحسيني.
- ٢٣٥ - العقد المنير في تحقيق ما يتعلّق بالدرّاهم والدّنانير، (ط٢، المطبعة الإسلامية-طهران / ١٣٨٢هـ).

- الماجد، مبارك حسن ذياب.
- جريمة الرّشوة في الدّولة العربيّة الإسلاميّة لغاية سنة ٢٣٦ (١٢٥٨هـ / ١٢٥٦م)، دراسةٌ تاريخيّة، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة- كلية الآداب / ٢٠١٤م).
- آل محسن، الشّيخ عليّ.
- مسائل خلافية حار فيها أهل السنّة، (ط١، دار الميزان للطبّاعة والنشر والتّوزيع- بيروت / ١٩٩٩م).
- المظفر، الشّيخ محمد حسن (ت ١٣٧٥هـ).
- دلائل الصّدق لنهج الحقّ، (ط١، تحقيق: مؤسّسة آل البيت للإحياء التّراث- قم / ١٤٢٢هـ).
- مغنية، محمد جواد (ت ١٤٠٠هـ).
- الشّيعة في الميزان، (ط٤، دار التّعارف للمطبوعات- بيروت / ١٩٧٩م).
- الميرزا النّوري، الشّيخ حسين النّوري، الطّبرسي (ت ١٣٢٠هـ).
- خاتمة مستدرك الوسائل، (تحقيق: مؤسّسة آل البيت للإحياء التّراث- قم / ١٤١٦هـ).
- ناجي، د. عبد الجبار (معاصر).
- إسهامات مؤرّخي البصرة في الكتابة التاريخيّة حتّى القرن الرابع الهجريّ، (ط١، دار الشّؤون الثقافية العامّة- بغداد / ١٩٩٠م).
- مِنْ تاريخ البصرة السياسي- إسهامات البصريّين العسكريّة وصمودهم إزاء التّحدّيات في التّاريخ الإسلاميّ، (مطبعة دار الحكمة- جامعة البصرة / ١٩٩٠م).

- ٢٤٣ - مِنْ تارِيخ الحركة الفكريّة في البصرة في العصر الإسلاميّ - في الدراسات الإنسانية، (مطبعة دار الحكمة-جامعة البصرة/١٩٩١م).
- النّصّر الله، د. جواد كاظم (معاصر).
- ٢٤٤ - البصرة الموطن الأوّل لـأوّل عملة عربّية إسلاميّة، (بحث منشور في مجلّة دراسات البصرة، مركز دراسات البصرة، جامعة البصرة، العدد الأوّل، السّنة الأولى/٢٠٠٦م).
- ٢٤٥ - فضائل أمير المؤمنين علیه السلام المنسوبة لغيره، (سلسلة ردة الشّبهات، مركز الأبحاث العقائدية، النّجف/٢٠٠٩م).
- الهاشميّ، سلمى عبد الحميد (معاصر).
- ٢٤٦ - أخبار القضاة لوكيع مصدرًا للدراسة أحوال البصرة الحضاريّة، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة-كلية الآداب/١٩٩٠م).
- ٢٤٧ - آل عثمان بن عفان و موقفهم من الحكم الأمويّ، (مطبعة دار الكتب-جامعة البصرة/٢٠١٢م).
- هنتس، فالتر.
- ٢٤٨ - المكاييل والأوزان وما يعادلها في النّظام المترّى، (ترجمة: د. كامل العسليّ، عمان/١٩٧٠م).
- اليوزبكيّ، توفيق سلطان.
- ٢٤٩ - دراسات في النّظم العربيّة الإسلاميّة (ط٣-الموصل/١٩٨٨م).

فهرس المحتويات

٧.....	الإِهَدَاء
٩.....	مقدمة المركز
١٧.....	المقدمة
٢٣.....	الفَصْلُ الْأَوَّلُ / الأوائل في الجانب السياسي
٥٧.....	الفَصْلُ الثَّانِي / الأوائل في الجانب الإداري
٩٩.....	الفَصْلُ الثَّالِثُ / الأوائل في الجانب العُمْراني
١٢٣.....	الفَصْلُ الرَّابِعُ / الأوائل في الجانبين: الاجتماعي والاقتصادي
١٧١.....	الفَصْلُ الْخَامِسُ / الأوائل في الجانب الفكري
٢٣١.....	الخاتمة
٢٣٥.....	المصادر والمراجع
٢٦٥.....	فهرس المحتويات

